من المسرح العالمى

من الأعمال المختارة

جبرييل مارسيل - ١

- رجل الله
- القلوب النهمة أو الظمأ

ترجمة وتقديم : فؤاد كامل

مسلسلة
من
المسرح العالمي

سلسلة يشرف عليها

أحمد مشاري العدواني
الوكيل المساعد للشئون الفنية

د. عادل سلامه
استاذ الأدب الانجليزي المساعد بجامعة الكويت

زكي طليمات
المشرف الفني لشئون المسرح

المراسلات باسم :

الوكيل المساعد للشئون الفنية
وزارة الإعلام
ص.ب ١٩٣

من المسرح العالمي
أول ديسمبر ١٩٧١
شهرية

٢٧ / ١

هـ/ ٦٦٨ م

من الأعمال المختارة

جبرييل مارسل - ١

- رجل الله
- القلوب النهمة أو الظمأ

ترجمة وتقديم : فؤاد كامل

تصدر عن : وزارة الإعلام - الكويت

العنوان الأصلي للمسرحية

GABRIEL MARCEL

UN HOMME DE DIEU

Pièce en quatre actes

LA TABLE RONDE
8, rue Garancière
PARIS

مقدمة عامة

بقلم المترجم

جبرييل مارسل • حياته • فلسفته • مسرحه

أ ــ حياته

ولد جبرييل مارسل ــ الفيلسوف «الموسيقى» والكاتب المسرحي ــ فى السابع من ديسمبر ١٨٨٩ ــ من أسرة باريسية موفورة الثراء ، فقد تقلد أبوه ــ هنرى مارسل ــ عدة مناصب هامة : فكان مستشارا للدولة وسفيرا لبلاده فى بلاط ملك السويد ، ومشرفا على الفنون الجميلة ، ومديرا لدار الكتب القومية فى باريس . وكان فضلا عن ذلك ناقدا فنيا بارزا ، عرف بدراساته عن المصور « مييَّيه » Mi llet وعن فن التصوير الفرنسي فى القرن التاسع عشر . وقد انصرف الأب فى شبابه عن تعاليم المذهب الكاثوليكي تحت تأثير كتابات « رينان » و « تين » المتحررة التي انتشرت فى أواخر القرن التاسع عشر انتشارا واسعا ، فأصبح « لا أدريا » ، ومن ثم لم يَعْنَ عنايةً كافية بتلقين ابنه تعاليم الديانة المسيحية .

وفَقَدَ جبرييل مارسل والدته وهو فى الرابعة من عمره ، فتولت تربيته خالته التى كانت بدورها بروتستانتية متحررة ، ولكنها كانت مع ذلك شخصية مستبدة طاغية ، تتسم نظرتها الى العالم بمسحة من التشاؤم ، وكأنه مكان غير صالح للسكنى. وهكذا كانت طفولة جبرييل مارسل خالية من السند الدينى العميق ، وكان عليه ــ فيما بعد ــ أن يهتدى الى الايمان الدينى بجهده الشخصى .

ولم يلبث الأب أن تزوج الخالة بعد وفاة والدة مارسل ببضع سنوات ، ولما كان « جبرييل » هو الطفل الوحيد فى ذلك البيت الذى أعيد بناؤه العائلي ، فقد كان موضع رقابة شديدة ، وخاصة من زوجة أبيه التى كانت تدس أنفها فى كل كبيرة

وصغيرة تتعلق به . فكانت طفولته قاحلة مجدبة لا يكاد يجد فيها متنفسا لنزوات المشاعر ، وفراغات الوجدان . كما أن شعوره بحضور أمه ـ رغم وفاتها ـ جعله فى وعى مبكر بذلك الاستقطاب المتوتر بين المرئى وغير المرئى الذى كان له فيما بعد تأثير عميق على كتاباته .

وقد أرضع « جبرييل » حب المسرح فى صباه الباكر ، اذ كان أبوه من عشاق المسرح المولعين بكل ما يحيط به ، ويدور حوله ، فكان يقرأ لابنه فى الامسيات التي يقضيها داخل المنزل روائع المسرحيات الفرنسية ، أو الاجنبية المترجمة اليها ، قراءة ذات أداء ممتاز ، تركت أثرها العميق على خيال الطفل وعلى عواطفه .

هذا الجو الثقافى الرفيع ، وتلك الرقابة المشددة ، دفعا الطفل الى التفوق فى دراسته تفوقا ملحوظا ، فتألق تألقا باهرا فى ليسيه كارنو Carnot فكان ينتزع الجوائز الأولى من أقرانه دون انقطاع ، ومع ذلك ، فانه لا يحمل لهذه الفترة من حياته اية ذكريات طيبة ، اذ كان يمقت القيود المدرسية مقتا شديدا ، جعله يثور فيما بعد على التقاليد والمواصفات الاجتماعية .

وأتيح أول تحرر له من ربقة تلك القيود ، حين سافر مع أبيه الى استوكهولم فى يناير عام ١٨٩٨ ، وكان أبوه مديرا بوزارة الخارجية الفرنسية حين استدعى لتمثيل بلاده فى العاصمة السويدية . غير أن هذا التحرر لم يستمر أكثر من عام ، انتقل بعده الصبى الى باريس لاستئناف دراسته . وكانت المناظر التى وقعت عليها عيناه فى السويد : « الصخور والاشجار ومياه البحر » ترمز أفضل رمز للعالم المعذب الذى « تنطوى عليه جوانحه » ـ على حد تعبيره . وبين أبناء رجال السلك الدبلوماسي ، كان الصبي يمارس هوايته المفضلة وهي أن يستشف من ملامح الوجوه تلك العوالم المجهولة التي يحتفظ بها كل منهم دفينة فى أعماق نفسه .

وفى الأعوام التالية ، أشبعت الاجازات الصيفية حب استطلاعه للبلاد المجهولة ، وهو يستحضر ـ فى استعراضه لماضيه ـ اقامة له فى احدى قرى جبال الألب فى بافاريا تدعى هوهنشفنجاو ، استحضارا رائعا فيقول : « أعتقد اننى لا أجانب الصواب اذا قلت ان غرامى بالرحلات كان مرتبطا دائما بحاجتى الى مزج عالمي الداخلي بالطبيعة على قدر الامكان . وكنت قد تخليت منذ أمد بعيد عن فكرة أن هذا المزج يمكن أن يكتسب فى مسقط رأسي مرة واحدة والى الأبد ، وهكذا كان على أن اقتصبه بعد صراع شاق « من تجوالى فى البلاد الأجنبية » .

ولم يكن غريبا أن تتولد فى نفس طفل هذا شأنه رغبة قوية فى استبطان ذاته ، وأن تدفعه حياته العائلية الى أن يحيا فى عالمه الخاص ، وأن ينمو فى باطنه ، ومن خلال تطلعاته ، ومشاعره الطفولية ــ ذلك الاحساس الميتافيزيقي الذى سيكون على اكبر جانب من الاهمية فى حياته المقبلة ، وأعني به الاحساس بأنه « يحيا فى كنف ذاتــه » « Chez-moi » .

وكان طبيعيا أن يلجأ الطفل الى الكتابة، محتميا بها من ذلك الوجود الصحراوى الذى يحيط به ، فكتب فى محاولتين مسرحيتين : احداهما بعنوان يوليوس Julius والأخرى بعنوان كاموز camuse ، ومن خلال هذه المحاولات للكتابة كان يسعى الى المشاركة فى الحياة الخارجية ، والى النفاذ فى نفوس الآخرين والتوغل فى أعماقهم ، والى اعادة تركيب الكائنات التى لا يعرفها الا من الخارج ، متوسلا بخياله الخصب .

بيد أن حب استطلاعه ونهمه للمعرفة اتخذا فى تلك المرحلة طابعا شاملا لا يكاد يترك شيئا ، فطفق يلتهم آثار الآداب الأجنبية ، وخاصة الادبين الالماني والانجليزى ، وأكمل معارفه المستمدة من الكتب برحلات جديدة ، فلم يترك ركنا من أوروبا الا زاره، ولا مكانا تاريخيا الا حَجَّ اليه .

وفى سن الخامسة عشرة ، قدَّم للشاعر « فرنــان جريج » Fernand Jregh مسرحية قصيرة مؤلفة على نمط مسرحيات ابسن ، تصور حالة قسيس ارتد عن دينه . وكانت هذه المسرحية ــ على حد قوله ــ « ارهاصا صبيانيا بمسرحيته القادمة رجل الله . وفى العام التالي، كتب مسرحية أخرى بعنوان ورطة ، محاكيا بها مسرحية اسكندر دوما المعروفة باسم نصف ــ عالم Demi - Monde .

وتلقى جبرييل مارسل تعليمه الجامعي فى السوربون ، وهناك أعد رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا بعنوان : « تصورات كولريدج الميتافيزيقية من حيث علاقاتها بفلسفة شلنج » . وفى تلك الفترة توثقت عرى الصداقة بينه وبين عدد من الادباء الشبان يذكر منهم هنرى فرانك صديق الكاتب الشهير بَارس Barrès وآنا دى نواى Anna de Noailles ، وجاك ريفيير Jacques Rivière الــذى تركت رواياتــه عــن « الحياة الباطنية » للاشخاص تأثيرا عميقا على نفسه . وفى الحادية والعشرين من عمره نال درجة الأجر جاسيون فى الفلسفة ، وجاء ترتيبه الثاني ، وكان الأول هو « جان ثال » Jean Walh أستاذ الفلسفة والمفكر الفرنسي المعروف الذى كان يتقدم لهذه الدرجة العلمية للمرة الثانية .

وفى هذه الفترة ، أرغمته صحته الواهنة على مغادرة باريس لقضاء عدة شهور على شاطىء البحر فى السويد ، وهناك شرع فى كتابة بحث عن « المشاركة فى الوجود » وهو البحث الذى يعد نقطة تحول فى تفكيره الفلسفى الذى كان متأثرا فى بداياته بالمثالية ، وخاصة بالهيجلية الانجليزية الجديدة ، ففى هذا البحث هاجم هـذا الاتجاه هجوما عنيفا يعيد الى الأذهان هجوم كيركجورد أبى الوجودية على هيجل ، مع أنه لم يكن قد قرأ حتى الآن كلمة واحدة لكيركجورد .

وفى عام ١٩١٠ حدث فى حياته ذلك اللقاء الحاسم ببرجسون . وكان برجسون قد خرج ذلك العام من اعتكافه الطويل بريف فرنسا ، وأخذ يلقى محاضراته القيّمة بالكوليج دى فرانس أمام جموع غفيرة من المثقفين الفرنسيين الذين اقبلوا من كل حدب وصوب يجتذبهم صيت المفكر الفرنسى وشهرته ، ومن هذه المحاضرات التى كان برجسون يلقيها بصوته المتئد ، وجلاله المهيب ، وموسيقيته الرقيقة ، اتخذ فيلسوفنا الشاب انطلاقته ، فأقام فى قلب البرجسونية فلسفته فى الوجود ، وان تقدّم على خطواتِ أستاذه المتمهلة الرزينة ، مدفوعا بشبابه الغض ، وحماسه الفائر .

وبدأت شخصية مارسل الجامعية فى عام ١٩١١ ، فعمل استاذا بليسيه مدينة « فندوم » الساحرة بضعة شهور ، ولكنه لم يقنع بمهنة التدريس ، وشرع فى اعداد كتابه « يوميات ميتافيزيقية » للنشر (ولم يكن سوى مجموعة مذكرات يمهد بها لرسالة الدكتوراه) ، وفى هذا العام نفسه (١٩١١) كان قد انتهى من كتابة أولى مسرحياته المنشورة وهى **النعمة أو اللطف** La Grâce .

واشتعلت الحرب العالمية الأولى ، فأشاعت الاضطراب فى حياته ، وبثّت الحيرة فى نفسه ، ولما كان اعتلال صحته يحول بينه وبين الخدمة العسكرية ، فقد كلّفه صديقه « اكزافييه ليون » أن يحل مكانه فى الاشراف على ادارة البحث عن المفقودين التابعة للصليب الأحمر ، وكان ذلك الصديق مرغما على مغادرة باريس والرحيل الى اكس ـ آن ـ بروفانس . وقد كان من الممكن أن ينظر شخص آخر غير مارسل الى هذا العمل على أنه ادارى بحت ، بيد أن وقعه على نفس فيلسوف مثل مارسل كان مختلفا أشد الاختلاف ، فقد رأى من واجبه أن ينفذ من خلال ذلك الحاجز الذى يفصل بين الأحياء والأموات . فثمة فى جانب أحياء متلهفون على معرفة مصير أقاربهم المفقودين ، وفى الجانب الآخر أشخاص فى حكم المفقودين ، وعلى « مارسل » أن يبذل

اقصى جهده فى البحث والاستقصاء للوصول الى شيء من اليقين تطمئن اليه نفوس أولئك الاحياء القلقة . وكان عليه فى أغلب الأحيان أن يبلغ أقارب المفقودين بوفاة من يسألون عليه . هذا الموقف أفضى بمارسل الى تأمل شروط كل بحث ، وكل استفسار ، والى أن يتساءل : « كيف يمكن للروح أن تتجاوز ذلك المستوى الذى لا تستطيع ان تتقدم فيه الا بالاسئلة والاجوبة؟»واصبح شغله الشاغل منذ ذلك الحين أن يرتاد أسرار الوجود ، وخاصة ذلك السر الذى يفصل بين الاحياء والاموات ، وهكذا كان لتلك المهمة التى قام بها اثناء الحرب العالمية الأولى تأثير حاسم على تطوره الروحى .

وفى هذه الفترة من حياته درس مؤلفات الفيلسوف الأمريكي جوزياه رويس Josiah Royce ، ونشر عنه مقالا فى مجلة الميتافيزيقا والأخلاق ، وقد توسع فى هذه الدراسة فيما بعد ، واذاع نتائجها فى كتاب نشره فى دار أوبييه .

وقد أقنعته تجربة الحرب ، بماكان قد اشتشفه بطفولته البريئة الصادقة ، وهو أن الكائنات البشرية لاتترد الى ظاهرها فحسب ، وأن غير المرئى يضرب بجذوره فيما هومرئى . وأفضت به بعض التجارب التى وقعت له فى شتاء عام ١٩١٦ - ١٩١٧ كما أفضت ببرجسون من قبل - الى التسليم بحقيقة الظواهر الروحانية . ولكنه لم يكن يخفى رأيه بأن هذه التجارب يمكن أن تحمل المرء من اليقين التام الى اليأس الكامل ، دون المرور بمرحلة وسط . وهذا الانتقال المأساوى الفاجىء هو مانشعر به عند قراءة مسرحيته **محطم الأصنام** I Ironoclaste وهو العمل الذى خرج به مارسل من هذه الفترة من حياته . وقد اعترف مارسل بخيبة الأمل التى صادفها فى تلك التجارب ، وأعني بها استحضار أرواح الموتى بمعزل عن التدخل الالهى فيقول : « يبدو أن الله - من وجهة النظر الدينية - هو وحده ذلك الوسيط الفريد الذى يسمح بأن أكون حقا مع ذلك الذى يقيم الصلاة . وبوضع ضرورة هذا التوسط ، وبهذا الشرط وحده ، نستطيع أن نبدد الخلط بين المستوى الدينى الحق ، والمستوى الروحانى » . (يوميات ميتافيزيقية) Journal Metaphysique

ولم تمر بحياة مارسل بعد ذلك أحداث هامة ، فكان تاريخه هو تاريخ صدور مؤلفاته ، وعاد الى تدريس الفلسفة فى « سانس » Sens من سنة ١٩١٩ الى ١٩٢٣ ، غير أن هذه الفترة تتميز بنتاجه المسرحي الغزير ، فقد انتهى فيها من كتابة مسرحية **رباعية من مقام فاديز** ، وكتب مسرحية **محطم الأصنام** - و **قلب الآخرين**

و النظرة الجديدة ، وموت الغد ، و رجل الله التى نشرت عام ١٩٢٥ ، و مصباح النعش ، و ترفيه بعد الوفاة .

وعاد « مارسل » الى باريس ١٩٢٣ ، حيث أقام نهائيا فى شارع تورنو ، غير بعيد عن المسكن الذى كانت تقطنه الكاتبة الانجليزية « كاترين منسفيلد » التى اشتهرت بمجموعة رسائلها الممتازة ، والتى كتب مارسل مقدمة لترجمتها الفرنسية . وفى هذه الفترة تزوج ابنة عم القسيس بوجنر Boegner ، وكان من أصدقائه الذين يجلهم اجلالا خاصا . وقد كانت زوجته المثقفة خير عون له فى حياته الادبية والموسيقية ، اذ كانت تساعده مساعدة قيّمة ، وخاصة فى تدوين ألحانه وميلودياته التى تدفقت عليه ابتداء من عام ١٩٤٥ . بيد أن هذه الزوجة والسكرتيرة فى آن واحد توفيت فى عام ١٩٤٧ دون أن ينجب منها ، ولكنه تبنى طفلا ،كانت مشاعره نحوه مصدرا لماكتبه من السر العائلي ، وعن الابوة (من الاباء الى النداء) .

وفى باريس ، عمل عند الناشرين « دسليه دى بروويه » و «بلون» قارئا الكتب قبل نشرها ، وحل محل صديقه «شارل دى بوس» الذى التقى به عند « جاك ريفيير» عام ١٩٢٢ فى ادارة سلسلة Feux Croisés ـ كما تعاون مع « المجلة الفرنسية الجديدة » ولم يلبث أن أصبح ناقدها المسرحى ، ثم تولى الاشراف على صفحة النقد الادبي فى مجلة أوروبا الجديدة وخلف بعد ذلك « چاك كوپو »Jacque Copeau فى تحرير مجلة الأخبار الادبية .

وكان عام ١٩٢٧ من الاعوام الهامة فى حياته ، فقد نشر فيه كتابه يوميات ميتا فيزيقية Journal Mètaphysique ، وهى يوميات تسجل تطوره الروحى ، ولا تهتم بالأحداث الخارجية (على عكس يوميات آمييل مثلا التى تمزج هذا بتلك) وفيها هاجم موجة الالحاد المنتشرة فى عصره هجوما عنيفا . وعنده أن الالحاد يتمثل فى اتجاهات ثلاثة : ١) العقلانية الفزيائية ـ الرياضية التي تبتلع الانسان داخل طبيعة لا انسانية خالية من الروح ٢) فلسفة التكنولوجيا التى تنكر التأمل الروحي انكارا جذريا ـ ٣) الفكرة الصورية عن الحياة كمنبع لكل قيمة ، وأساس وحيد للتقويم . والمهم أنه قد تبدى فى هذه اليوميات مهموما بفكرة الالهى ، حتى ليحسبه القارىء مسيحيا بالقول والفعل . والحق أنه كان فى هذه المرحلة مترددا فى الالتزام بالايمان المسيحى المحدد ، وان لم تكن أسباب تردده.واضحة فى بداية الأمر . وعندما نشر « فرانسوا مورياك » ـ بعد عامين أو ثلاثة كتابه الله والشيطان ، أبدى

« مارسل » اجابه بالكتاب ، توجه اليه « مورياك » هذا السؤل فى رسالة بعث بها اليه : « لماذا لستَ منا ؟ » وبتأمل هذا السؤال ، أدرك « مارسل » أن مايمنعه من الاعتراف بالايمان هو خوفه من الارتباط والالتزام ، وبالتالي فقدان حريته . ولكنه تغلب على هذه الصورة الدقيقة من الاغراء ، فعُمِّد فى كنيسة البندكتين فى ٢٣ مارس عام ١٩٢٩ ، وكان اشبينه حين تلقى العماد هو « فرانسوا مورياك » نفسه .

ولم تكن الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩) مفاجأة لجبرييل مارسل ، فقد أحس بنذُرها ، وتنبأ بوقوعها الوشيك وفظائعها منذ أمد طويل ، وكذلك لم يباغته تدمير باريس ، فقد كان كابوسا ملحا يزعج رؤاه وأحلامه . وكانت فترة الاحتلال الالمانى لفرنسا فترة أخلد فيها الى الصمت التام ، فقد ابتعد عن باريس ، ومن المنطقة التى يحتلها الالمان ، وأقام مع زوجته فى منزل ريفى كان قد اشتراه فى يونيو سنة ١٩٤٠ فى منطقة « كوريز » غير بعيد عن « لورين » ، وعلى حافة الطرف الاقصى من ليموزان وكيرسى ، « هناك حيث تختفى أشجار الكستناء لتحل محلها أشجار الجوز ، وحيث تخلف المراعى الباسمة التى تحف بها الحشائش الخضراء الأرض الصخرية » . وكانت الظروف والملابسات التى أحاطت باكتشاف هذا المنزل وشرائه قد جعلت الفيلسوف يعتقد أن ثمة غائية حقيقية ترتبط بهذا الامتلاك ، وقد كان الانسان والفنان فى مارسل مرتبطين منذ زمن طويل بتلك المناطق من فرنسا التى تمتد من ليموزان الى روورج Rouergue مَارَّةً بكيرسى .

وعقب الحرب ، كان مارسل من المعارضين المتشددين لاية مصالحة مع المحتل ، وقد نشرت مجلة كندية مجموعة من المقالات الجريئة التى كتبها مارسل غداة انتصار الحلفاء .

ولم ينقطع جبرييل مارسل عن التأليف الفلسفى والمسرحى على السواء ، ففي الفلسفة تعاقبت مؤلفاته بعد نشره **لليوميات الميتافيزيقية** فأصدر **الوجود والملك** (١٩٣٥) ، ومن **الاباء الى النداء** (١٩٤٠) و **الانسان الجواله** (١٩٤٤) ، و **الناس ضد الانسانى** (١٩٥٠) ، و**سر الوجود** (١٩٥١) و**الانسان المُشكل** (١٩٥٤) و**انهيار الحكمة** (١٩٥٥) . وفى المسرح ، أضاف الى مسرحياته المأساوية ، مجموعة من المسرحيات الكوميدية القصيرة .

وقد فاز جبرييل مارسل بارفع الأوسمة والتقديرات ، فنال عام ١٩٤٨ جائزة الأدب الكبرى من الاكاديمية الفرنسية ، وحصل بعد ذلك على وسام اللجيون دونور ، وظفر بعضوية المعهد ابتداء من ١٩٥٢ خلفا « لاميل بريّيه » مؤرخ الفلسفة المشهور ، ثم خلف برجسون فى مقعده بأكاديمية العلوم الأخلاقية والسياسية ، وهو المقعد الذى خلا بوفاة الفيلسوف الفرنسي الكبير عام ١٩٤١ .

وفى العامين التاليين (١٩٤٩ ــ ١٩٥٠) القى جبرييل مارسل عدة محاضرات بجامعة ابردين Aberdeen باسكتلندا ، وهى المحاضرات المعروفة باسم محاضرات جيفورد Jifford ، ولم تكن تلك الجامعة قد وجهت الدعوة من قبل الا لفرنسى واحد هو برجسون .

وقد طوّف جبرييل مارسل فى أنحاء العالم شرقا وغربا ، فزار أمريكا اللاتينية، والمانيا ، وانجلترا ، وبلجيكا ، وسويسرا ، وايطاليا ، واسبانيا وغيرها ، وتُرْجِم الكثير من كتبه ودراساته الى لغات العالم الحية . وهو يحيا الآن فى باريس حياة هادئة منظمة ، سمحت له بأن يجمع بين نشاطه كفيلسوف ، وكاتب مسرحي ومحاضر ممتاز ، وناقد فنى فى مجلة دورية كبيرة ، ومؤلف موسيقي لم ينقطع ابداعه منذ سنة ١٩٤٥ ، فقد لحن عددا من قصائد شينييه ، ولامارتين ، وفاليرى ، وأوديلون ــ جان بريبه ، واميلى برونتيه ، وريلكه ، وسوبر فييل . وغيرهم . وهو ينعم فى أعوام شيخوخته بصداقة الكثيرين من الأدباء والفنانين نذكر منهم روبير جاريك وجوستاف تيبون، وماكس بيكار ، وتروافونتين ، وفيسار ، وجوليان لانوتى ، وقد التف هؤلاء جميعا حوله نظرا لما تمتاز به شخصيته المتزنة من سخاء ، ووضوح فى الرؤية ، ورغبة صادقة فى الاتصال ، وقدرة فائقة على الحوار ، وعلى الدفاع عن الافكار التى جعلت لحياته معنى ، فى حماس وحرارة ، هذا دون أن يحول ذلك الحماس عن الاصغاء الى الآخرين ، والتعاطف مع أفكار أبسط الناس . وعلى الرغم من كل تجاربه مع الحياة والناس فانه لم يفقد بشاشته ، ولم يتخل عن تفاؤله ، ولم يتحول عن أمله، رغم كل ما يحفل به عصرنا من متناقضات ومفارقات .

ب ـ فلسفته

الخلفية التاريخية :

تأثر مارسل بادىء الأمر بالمثالية الالمانية ، وخاصة كما تتمثل فى فلسفة شلنج، فكان موضوع رسالته التى نال بها دبلوم الدراسات العليا هو « تصورات كولريدج الميتافيزيقية فى علاقاتها بفلسفة شلنج » ، ثم قرأ بعد ذلك مؤلفات الهيجليين الانجليز الجدد من امثال برادلى وبوزانكت وهوكنج ، ولم يلبث أن أقبل بكل همته على دراسة الفيلسوف الامريكي « جوزياه رويس » الذى ألف عنه عام ١٩١٧ كتابا شائقا نشر لأول مرة عام ١٩٤٥ . وقد ظل مارسل يشاطر رويس احساسه العميق بشدةارتباط الناس بالمجتمع الذى ينتمون اليه،كما أخذ عنه فكرة الوفاء وفكرةالولاء، وهما الفكرتان اللتان توسع فيهما بعد ذلك توسعا كبيرا ، واكتسب من برادلى شيئا مما تميز به هذا المؤلف فى شعوره بما هو ذاتى شعورا مراوغا .

تتجلى هذه المؤثرات واضحة فى القسم الاول من « يومياته الميتافيزيقية » (١٩٢٧) كما تكشف هذه اليوميات أيضا عن ذلك الاهتمام الذى اتسم به الفرنسيون بالمشكلة الديكارتية عن العلاقة بين العقل والمادة .

غير أننا نستطيع أن نعدّ جبرييل مارسل تلميذا ـ بحق ـ للفيلسوف برجسون ، واليه أهدى « مارسل » يومياته . وانصرافه عن المثالية الجديدة ـ كما عرضها الفلاسفة الانجليز يرجع الى تأثير البرجسونية الغامر عليه ، فقد أخذ يركز تأمله « على الظواهر الشاذة التى تتهرب منها لنزعة العقلية أو تنصرف عنها بشكل متفاوت الوضوح من أجل نسج نسيجها التصورى مثل : الاحساس ، اتحاد النفس بالبدن ، وقائع علم النفس فوق المعتادة » (يوميات ميتافيزيقية) ، ويتضح لنا هذا التحول فى القسم الثاني الذى كتبه فى المدة من ١٥ سبتمبر ١٩١٥ حتى ٢٤ مايو ١٩٢٣ ، والذى يعرف باسم **الوجود والملك** ، وفى هذا القسم يتخذ مارسل موقفا صريحا فيما يتعلق بالايمان ، ضد النزعة العقلية ، ويناضل فى سبيل الاستقلال الذاتي وعصمة الشعور المباشر والعاطفة ، فيرى أن المشكلة الميتافيزيقية تقوم فى

« العثور بواسطة الفكر ، ووراء الفكر ، على عصمة جديدة ، ومباشر جديد » (يوميات ميتافيزيقية) .

ولكننا نستطيع ان نؤكد أن فكر مارسل على الرغم من ترحيبه بكل هذه المؤثرات ـ سواء من شلنج أو من الهيجليين الجدد أو من رويس أو برجسون ـ قد اتخذ تطوره الروحي خطا مستقلا ، يبدأ من توجيه الاسئلة الى نفسه ، واعطاء الاجابة من نفسه عليها .

وفى اللحظة التى كتب فيها جبرييل مارسل يومياته الميتافيزيقية ، لم يكن قد عثر من جديد على الكاثوليكية . والواقع أن طابع الاشكال الذى يميز ذلك الكتاب ، قد تطور بصورة أشد صراحة عند ما كان مارسل خارج الدين . ولكن من المناسب أن نقول أن هذا الطابع قد ظل كامنا فى فلسفته حتى بعد تحوله الديني ، واليه يرجع جزء من قيمة هذه الفلسفة .

منهجـه :

لا يخفى جبرييل نفوره من « المذهب » في أكثر من موضع من مؤلفاته ، فيقول: ان نمط الفلسفة الذى ينتمى اليه فكره لا يسمح بوجود نتائج جاهزة ، يمكن أن يحملها المرء ويمضى فى طريقه . ذلك أن المذهب شيء « نمتلكه » ، شيء يطيب لنا أن نطوف به ، وأن نقيم فيه . أما الفيلسوف بالمعنى الذى يفهمه « مارسل » فهو على نقيض « المالك » اذ هو انسان يجتهد فى المشاركة على نحو أكثر وعيا فى حياة تعلو على حياته الشخصية . Supra Personnelle

ولعل أول التزام يتعهد به الفيلسوف نحو نفسه ، هو أن يَعْقِد مع المحسوس أو « العينى » Conerète صلةً مستمرة ، وعليه أن يستريب دائما فيما يدفعه الى الهروب ، أو الى خيانة الواقع الملموس بالارتماء فى أحضان الافكار المجردة . ان ذلك الذى يتفلسف « هنا والآن » يظل دائما فريسة للواقع ، ولايتعود ابدا على واقعة الوجود ، فالوجود لا ينفصل عند « مارسل » عن دهشة معينة ، وانبهار معين ، أشبه بدهشة الطفل وانبهار الشاعر . ويتفلسف المرء بمقدار مايحتفظ من روح هذا وذاك بنصيب . ويثنى «مارسل» على شوبنهور ونيتشه لانهما انتقدا بشدة أساتذة الفلسفة ، فهؤلاء يضعون بينهم وبين الواقع جهازا مدرسيا أوديالكتيكيا ،

ينتهى بأن يضع على أبصارهم غشاوة . واذا كان العالم يفكر بعقله وحده فان الفيلسوف هو ذلك الذى يفكر بكل كيانه .

ومع ذلك ينبغى ألا يؤخذ هذا الارتياب فى المذهب على انه موجّه ضد الاتساق اوضد التأمل العقلى ، وعلى أن مهمة الفلسفة مقصورة على وصف المشاعر الذاتية ، بل أن « مارسل » يخشى روح المذهب من حيث انها تدعى اتخاذ وجهة النظر المطلقة الخاصة بالله ، ومنها تأمل الكون فى جملته ، مع أن الواقع هو « اننا نفهم العالم على نحو جزئى ، ومن جانب واحد . » (من الاباء الى النداء) .

واذا شئنا الدقة ، قلنا ان الفيلسوف هو ذلك الشخص الذى يحاول القاء الضوء على وضعه الانساني . ولما كان هذا الوضع ينطوى على تحديدات ، لانه داخل — أولا وقبل كل شيء — فى مسار معين للعالم ، فان التفكير فى هذه التحديدات يتجاوزها على نحو ما . والمهم هو ألا ننخدع بتجاوز يتضح فى نهاية الامر أنه ظاهرى أكثر منه واقعى . وليس من حق الفيلسوف — على نقيض ماذهب اليه هيجل واسبينوزا — أن يحتل بالنسبة الى الكون موقعا مركزيا يسمح له بتجاوز وجهات النظر الجزئية جميعا . فها هنا ادعاء زائف غير مشروع علينا أن نحذر منه ، فاذا كنت أستطيع أن أجرد موقفي الجزئي الخاص ، الا أننى لا استطيع أن اجرّد «كل» موقف أيا كان شأنه .

يتجه مارسل اذن منذ البداية الى تكوين فلسفة عينية ترتبط بالوجود الفردى أولا وقبل كل شيء ، ولهذا يقول : « الواقع أنه بقدر ما تنبه مجهودى الفلسفى الى ذاته تنبها واضحا ، بدا لى أن المشكلة الرئيسية هى معرفة كيف يكون من الممكن ادماج تجربتي — من حيث هى تجربتى أنا — فى نسق معقول على نحو فعّال ، وذلك مع احتفاظها بخصائصها التى تتميز بها « هنا والآن » ، وبسماتها الفردية ، بل بنقائصها أيضا ، تلك النقائص التى تجعلها ما هى عليه الى حد ما .... ولهذا بدا لى — من جهة — أن هذا الادماج لا يمكن أن يتحقق ، بل لا يمكن أن يكون موضوعا للمحاولة ، وأن فكرة « النسق المعقول » فكرة مشكوك فى أمرها ؛ ومن ناحية أخرى ، بدا لى أنه من الضرورى أكثر من ذلك أن احفر ، بدلا من أن أبنى ، أعنى أنه من الواجب ان ابدأ بسؤال نفسى عن التركيب الصميم لتجربتي،لا من حيث مادتها أو مضمونها فحسب،بل أيضا — وبوجه أخص — من حيث كيفيتها فى « وجودها كتجربة » (من الاباء الى النداء) .

ان « مارسل » يريد أن يبدأ من شيء مشكوك فيه ، وهذا الشيء هو التجربة . ولكن بأى معنى يفهم « مارسل » هذه الكلمة ؟ انه لا يعنى بها التجربة القائمة على الادراك الحسى ، فتلك هى التجربة التي يبنى عليها العلماء نتائجهم ، وهى تجربة يمكن أن يحل فيها شخص محل اى شخص آخر ، كقراءة ارتفاع عمود الزئبق فى ترمومتر مثلا . وانما يعنى مارسل بالتجربة ، « التجربة الوجودية » ، تجربة « الأنا » التى لا يمكن أن يحل فيها شخص آخر مكانى ، كعلاقتى بابنى مثلا ، ففى هذه التجربة عنصر « شخصي » أصيل ، يند عن التحقيق ، بعكس الحال فى التجارب العملية القابلة للتحقق Rèrifiables . فى تجربة العيان الحسى نستطيع أن نقول ان الناس جميعا متماثلون ، أو فى هوية تامة ، أما فى التجربة الوجودية ، فيختلف شخص عن آخر ، كما أنها شيء غير قابل للتحقق منه ، أو البرهنة عليه .

فلسفة جبرييل مارسل فى جوهرها هى « منهج للبحث فيما لا يقبل التحقق Methodologie de L'invérifiable » هى ارتياد ما يستعصى — فى الواقع على المعرفة الموضوعية . هل يمكن أن نتحقق مثلا من وجود الله أو خلود الروح بالتجارب العلمية او بالمعرفة الموضوعية ؟ ولكن ، ليس معنى هذا أن مجال ما لا يقبل التحقق هو نفسه مجال « اللاواقع » Iréel ، بل هو ما يند « بطبيعته » عن المعرفة الموضوعية . وهنا يقول « مارسل » « ربما أمكن ادراك اهتمامى الميتافيزيقى الجوهرى المستمر ادراكا دقيقا ، اذا قيل انه بالنسبة لى يتعلق بالكشف عن كيف أن الذات — من حيث هى ذات — ترتبط بحقيقة يصبح من الصعب فى هذا المجال أن نصورها بوصفها موضوعا ، لكن مع بقائها رغم ذلك حقيقة لابد منها ، ولابد من الاعتراف بها فى آن واحد . ولم تكن هذه الابحاث ممكنة الا بشرط أن اتجاوز مذهبا سيكلوجيا يقتصر على تعريف بعض المواقف ووصفها دون أن يأخذ فى اعتباره المغزى الذى ترمى اليه ، ومقصدها الواقعى ... أما ما كانت خطتى فى البحث ترمى الى استبعاده استبعادا حاسما ، فقد كان مفهوم فكر يُعَرِّف طبيعة الواقع تعريفا موضوعيا على نحو ما ، وينظر الى نفسه حينذاك على أنه قادر على أن يرتكز عليه . ولكننى على العكس من ذلك — ومن حيث المبدأ — وضعت فى اعتبارى أن المحاولة لا يمكن أن تجرى الا فى داخل واقع لا يستطيع الفيلسوف أبدا أن يقف أمامه كما نقف امام لوحة نتأملها » (نظرة الى الوراء) .

فمنهج مارسل لا يدفعنا الى دراسة مشكلات فلسفية ، لاننا نحن هذه المشكلات، ونحن نحياها (وسنتبين فيما بعد ما يعنيه مارسل بهذه العبارة فى التعرض لتفرقته

بين المشكلة والسر) ، ولن تكون ثمة « فلسفة عينية » دون توتر يتجدد دائما بين « الانا » الواقعية ، الانا المتجسدة ، وبين الواقع الذى لا ينفد ، ولا يمكن أن نتقدم فى هذا السبيل الا بشرط « أن نبذل جهدا طويلا شاقا من التنقية ـ أو ان شئنا الدقة ـ من التطهير ، للتخلص من كافة المكتسبات الزائفة ، والشوائب التي القاها الروتين والضغط الاجتماعى والاحكام السابقة وأوهام الغرور على شخصيتنا الحية . » (من الاباء الى النداء) .

فالتجربة التي يبدأ منها « مارسل » ، والتى لا يكف عن الرجوع اليهـــا واستحضارها تجربة فردية عينية ، وليست التجربة التى تم تعميمها وادراجها فى مخطط وابتذالها ، انها ليست تجربة « الناس » التى يقنع بها كثير من الفلاسفة ، بل هى تجربة يسميها «وجودية» لكى يبين أنها بأكملها مشتبكة بالواقع الأشد أصالة، وذلك بوصفها تجربة حارة تنبض بالحياة .

يتلخص هذا المنهج الصعب اذن فى أن نسير على نحو ما الى لقاء انفسنا ، وأن نجد انفسنا فى أشد ما يكون فيها من أصالة والتصاق بالشخصية ، ثم أن نمعن الفكر فى هذا الكشف الذى يمكن أن نمضي فيه دائما الى الامام لكى نميط اللثام عن معناه وقيمته . يقول مارسل : « ان هذا المنهج واحد دائما فى أساسه : وهو تعمق موقف ميتافيزيقى أساسى معين ، موقف لا يكفى أن اقول انه موقفى ، ذلك انه يتألف فى الجوهر من كونه أنا . والفلسفة اذا فهمت على هذا النحو الذى هو عكس تلك الفلسفة التى لا يعدو جوهرها مجرد النظر الخارجى والتى أورثنا اياها العصر القديم ـ تنحصر اذن فى أن أتنبه عن طريق التأمل الذاتى الى أعمق ما فى نفسى واشده التصاقا بها . » (الوجود والملك) .

الوجود المتجسد :

على حين يبدأ ديكارت من تلك العبارة المشهورة « أنا أفكر ، اذن فانا موجود » ، يبدأ « جبرييل مارسل » من الشطر الثانى لتلك العبارة ، وهو « أنا موجود » ، فالواقع أن واقعة وجودى هى التجربة الأولى التى لدى عن نفسى . فعلى أى نحو أشعر بهذا الوجود ؟ اننى اشعر به مرتبطا بجسم ، أو بتعبير ادق بجسمى أنا . وهذا الجسم هو طريقتى الخاصة للدخول فى هذا العالم،بمعنى أننى لا أوجد فى هذا العالم الا على هيئة جسم ، فكأن التجسد هو محور الفلسفة ، لانه الشرط الاساسى

لادراك العالم ، فهو ليس مجرد معطى بين معطيات أخرى ، بل هو الأساس لكل المعطيات الموجودة فى العالم . وليس جسمى هو اداتى الخاصة ، لان ابسط تأمل يكفى لاثبات أن هذا التحديد للجسم بوصفه أداة ، شىء أرانى مرغما على تجاوزه ، لأن جسمى هو الذى يسمح لى باستخدام الادوات أيا كانت . فلا يكفى أن أقول اننى استخدم جسمى ، بل أنا مجبر على اضافة « أننى » جسمى بمعنى ما . وقد يبدو مارسل هنا خاضعا لنظرية مادية فى النظر الى مشكلة العلاقة بين النفس والجسم ، والواقع أنه يتجاوز هذه الثنائية الديكارتية الشهيرة مرة واحدة والى الأبد فيقول : « ان هذه الاولوية التى تستكم بها على هذا النحو للجسم فى التجربة ، ترجع الى أن هذا هو « جسدى أنا » ، وأنه بالتالى مملوك لشىء أعمق واكثر جوهرية . صحيح أننى أقول أيضا « تفكيرى » ، بل أكثر من ذلك أقول « نفسى » ، ولكن هذا فى الحقيقة يثبت أننى لست أنا ، ولا الموجود ــ ان أردنا الدقة ــ بجسم ولا نفس ، فكلاهما يملكه ذلك الموجود الذى هو الكل وينسبه الى نفسه ، أعنى تلك « الانا » التى لا يمكن ــ اذا أردنا التدقيق ــ أن أقول عنها انها « اناى »mon je ، لانها وحدها ليست مملوكة ، بل هى مالكة ، وهى ليست محوطة ، وانما محيطة . » وعلى هذا فان التحليل الوجودى لتجربة التجسد يؤدى بنا الى أن نجعل اتحاد النفس بالجسم ، وكذلك من اتحاد النفس وبقية العالم ، أعنى « الوجود فى العالم » حقيقة واحدة . (الوجود والملك) . وهذا الوجود فى العالم » الذى نتحدث عنه هنا ليس هو وجود مجموعة من الموضوعات أو الاشياء الموضوعة جنبا الى جنب ، والتى ترغمنا مقتضيات الفعل وحدها فى كثير أو قليل من الاحيان ــ على تمييز بعضها عن البعض الاخر ، وانما هو حضور معين سميك وقامل يرغمنا نحن أنفسنا الى الوجود . (الوجودية والفكر المسيحى) .

الوجود والملك :

وهاتان التجربتان : تجربتى لجسمى وتجربتى لانتمائى فى العالم ، تفرضان علىَّ شعورا بضرب من التعارض بين عمليتين أساسيتين هما « الوجود والملك » L'être et L'avoir وهذه تفرقة هامة فى فلسفة مارسل ، اذ يعتبر تحليل فكرة الملك مدخلا الى معرفة الوجود . والملك عنده نوعان : « الملك ــ الامتلاك » Avoir - Possession كأن امتلك منزلا أو سيارة ، و « الملك ــ المتضمن » A voir — implication وهو أن أملك هذه الصفة أو تلك . لأن الصفة

تبدو لي داخل الجسم الذى تميزه ، ونحن لا نستطيع أن نفكر فى التضمن دون أن نفكر فى القوة . والسمة المشتركة فى هذين النوعين من الملك هى أنه قابل لأن يُعْترِض، وأن يُعْترَض للغير . وفى « الملك ـ التضمن » لا ينفصل ما هو خارجى عما هو داخلى، بحيث يقوم بين الواحد والآخر علاقة توتر متبادل ، تنشأ عن أن الشىء المملوك خاضع للتقلبات التى تعتور الاشياء ، وهذه العلاقة تتعرض لاحباط الجهد الذى أبذله لادماجه فىَّ ، وجعله واياى شيئا واحدا ، فهو بهذا مركز لنوع من الدوّامة التى نسيجها المخاوف وألوان القلق .

المهم هو الا اجعل الخارج يطغى على الداخل ، ولما كان الجسم هو نمط ذلك الملك ـ التضمن ، فان خضوعى للخارج يجعل « جسمى يلتهمنى بالمعنى الحرفى لهذه الكلمة.» وهذا ينطبق ايضا على الممتلكات الخارجية التى تلتهم الانسان حين يستغرق فيها ، وينشغل بها ، بحيث نستطيع أن نقول انه « كلما زاد المِلْك ، قلَّ الوجود » والعكس صحيح ، وهكذا يتبدى لنا الملك على أنه ينزع الى القضاء على الوجود ، واذابته فى نفسه .

ولكى استطيع أن أجعل المِلْك فى خدمة الوجود ، ينبغى علىَّ أن اسيطر بصورة ايجابية على الصلة بين الذات والموضوع ، بين « الداخلية » و « الخارجية » ، بحيث يصبح الموضوع الخارجى مناسبة ومادة للابداع الشخصى الحر ، وبهذا يتحول الملك الى وجود ، ويكون حينذاك تعبيرا حيا عن الواقع الذى اكونه . ولن يكون هذا ممكنا الا بواسطة الحب الذى هو اخضاع الذات لحقيقةٍ أسْمى . وبالحب وحده نكون قادرين على مواجهة الوجود دون احالته الى مِلْك ، فما السر الذى يكمن فى الحب بحيث يعطيه هذه القدرة ؟

السر والمشكلة :

ثمة تفرقة اخرى هامة يضعها « جبرييل مارسل » بين السر والمشكلة . ولهذا يحسن بنا أن نوضح للقارىء هذه التفرقة التى لا نغالى اذا قلنا انها مفتاح فلسفة مارسل كلها .

المشكلة شىء اصادفه واجده قائما بأكمله أمامى ، دون أن اكون داخلا فيه ، وكأنه صخرة توضع فى طريقى دون أن اكون متضمنا فيها . فهى شىء خارجى بحت تقف منه الذات موقفا منفصلا تمام الانفصال ، فحل مشكلة هندسية مثلا لا يؤثر على

مصيرى ولا يعرض حياتى أو وجودى للخطر . أما السر فمسألة يوضع فيها وجودى كله موضع الاعتبار ، فهو شىء اشتبك فيه أنا نفسى ، وبهذا ينطوى على الذات ، ولا يمكن أن اجعله موضوعا للفكر ، الا اذا جعلت نفسى موضوعا للفكر كذلك . فلا فرق مثلا بين ان نسأل ما هو الوجود ، وبين ما هو وجودى أنا ، لان الوجود سر من الاسرار . والشر مشكلة عندما انظر اليه من الخارج ، أى عندما يصيب الآخرين ، ولكن حين يصيبنى انا ، حينئذ لا يمكن أن انظر اليه نظرة موضوعية من الخارج ، لاننى اصبحت داخل المشكلة ، وبهذا تتحول الى سر . والحرية سر لانها فى قلب الفكر الذى يحاول البحث عن معناها ، والحب سر لأننى ارتبط فيه بكل وجودى وكيانى. وهذه الأسرار جميعا مظهر لسر واحد ، هو سر الوجود . فحين أتساءل ما الوجود ؟ اشعر اننى ـ انا الذى اضع السؤال ـ موجود . الوجود هو السر الأكبر ، أو سر الأسرار ، ولا حل له ، لانه ليس مشكلة ، وهو حاضر حضورا دائما ، ونحن نشارك فيه دون أن نمتلكه ، ونتعرف عليه دون أن نعرفه .

والخطأ الرئيسى فى الفلسفة ينحصر فى أنها تنزل السر الى مرتبة المشكلة ، أو الى موضوعية بحتة على زعم أنها تحصل بذلك على وضوح اكمل : وما هناك من مفارقة فى الحقيقة ، وفى كل ما هو واقع ، سواء كان واقعى أنا أو واقع العالم ـ هو أنه على العكس من ذلك ، لا يكون متصورا لنا الا من حيث هو سر (الوجـود والملك) .. الى درجةأنه « بغير السر تصبح الحياة غير صالحة لان نتنفسها » (من الاباء الى النداء) .

وعلى هذا ، نحن لا نجد فى الميتافيزيقا اية مشكلات نتقدم فى حَلّها شيئا فشيئا،

أو عصرا بعد آخر ، لأن مثل هذا التقدم لا يكون الا فى الفكر الموضوعى ،الفكر العلمي ،الذى يحيل كل شىء الىموضوع يستنفده بالتحليل، أو بالطريق التجريبى، وانما الميتافيزيقا عبارة عن سلسلة من الأسرار ، تفضى حلقاتها بعضها الى البعض الآخر ، وتعود الواحدة الى الأخرى ، لأنها تشترك جميعا فى سر واحد ، هو سـر الوجـود .

ويعتقد « جبرييل مارسل » أن عدم التفرقة بين السر والمشكلة من الأسباب التى قضت على « الدهشة » ، وهى الدافع والمحرك الأول للتأمل الفلسفي ، بحيث أصبح الوجود الفردى فى العالم الحديث مهدّدا بأن يُبْتَلَع فى تجريدات لاوجود ملموس لها ، وأضحى الانسان مجموعة من الوظائف الحيوية والاجتماعية ، أمـا

الوظائف النفسية ، فيحاول البعض ادخالها ضمن الوظائف الاجتماعية ، لأن الوظائف النفسية لا تقوم ـ في نظر العلم ـ بنفسها ، وارتباط الانسان بوظائفه أيا كانت اجتماعية أو حيوية ـ تصور يبعث على اليأس ، لأنه يجعل من الانسان كائناحيا يتصرف وفق وظائفه المقدَّرة له دون أن يكون له وجود متميز عنها ، وبهذا يمكن أن يقوم بهذه الوظائف أى انسان آخر بدلا منه . ومن ثم يطلق جبرييل مارسل على هذا العالم الآلى اللاشخصى اسم العالم المحطم أو « العالم المكسور » (وهذا هو اسم مسرحية لمارسل نترجمها فى هذه المجموعة المختارة من أعماله) .

الاتصال بين الأنا والأنت :

« الأنا » عند جبرييل مارسل ـ على عكس الحال عند سارتر ـ هو فى جوهره اتصال بالأنت وبالأشخاص الآخرين . وعلى حين ينتهى سارتر من تحليله لعلاقة الذات بالغير الى اخفاق هذه العلاقة فى كل صورها ، ينتهى جبرييل مارسل الى امكان قيام الاتصال بين « الأنا » و « الأنت » التى تتصاعد فتصبح «الأنت المطلق» Toi Absolu الذى هو الله . وهذه النتيجة نلمسها ـ ولو ضمنيا ـ فى أول كتاب لجبرييل مارسل ، وأعنى به كتابه « يوميات ميتافيزيقية » . فالحب والصداقة يكشفان لى عن وجود الغير بأن يجعلا من هذا الوجود حضورا بالنسبة لى فى نفس الوقت الذى أكون فيه حضورا بالنسبة اليه : « أنا » فى مواجهة « أنت » . وأساس هذه العلاقة بين الأنا والأنت هو العلاقة التى تربطنى بنفسى ، فليس أبعد عن الصواب من القول بأن الذات فى هويَّة مع نفسها ، والواقع أنه مامن شىء أبعد عن البساطة ، وأقرب الى الالتباس من العلاقة التى تربطنى بنفسى . وبتبسيط ـ هو فى الحقيقه تبسيط فاضح للواقع الروحى ـ أمكن للفلاسفة ان يتخيلوا على صورة الهوية ـ ولفترة طويلة ـ العلاقة التى تربط الأنا بنفسها ، والتى تؤلف بصورة أعمق ـ الأنا من حيث هى كذلك . فالأحرى أن يتعلق الامر بمدينة داخلية قابلة لأن تتخذ مظاهر متنوعة ومتباينة كالمدينة المرئية نفسها ـ وأنا أستطيع أن أعيش مع نفسى كما أعيش مع حبيب ، أو صديق ، أو أخ بل أن أعيش معها فى بعض الأحيان ، كما أعيش مع ألد الأعداء . فاذا لم تدرس هذه الأحوال المتباينة كل هذا التباين « للوجود مع الذات » دراسة تفصيلية ، فانه من المحتمل ان تظل الحقيقة النفسية لغزا » (الوجود والفكر المسيحى) .

فالاصل فى الوجود أن يكون مشاركه فى الوجود Co — Existence ، وان يتخذ صيغة « نحن » لا « انا » فحسب ، وهذه المشاركة لاتقتصر على مجرد المعية فى الزمان والمكان ـ اى فى مجرد الوجود « مع » الآخرين ، وانما هى حضور متبادل واندماج . كما هى الحال فى الصداقة والحب . فالأنا ـ كما يقول مارسل ـ لايوجد الا بقدر ماينظر الى نفسه على أنه موجود للاخرين . « وكلما نجحت فى تحرير نفسى من سجن التمركز الذاتي ، تزايد وجودى فى الواقع الفعلى . »

ومن هذا التصور العام لل «انت»،« يمكن الارتفاع الى فكرة مجددة عن الحياة الدينية او الصوفية ، اذ نستطيع أن نقول بمعنى ما ان الله هو « الأنت » الذى لا يمكن ان يصبح «هو» الا اذا أسأنا اليه وغدرنا به . وهذا ما أردت ان اقوله حين كتبت مثلا أننا حين نتحدث عن الله ، فليس الله هو الذى نتحدث عنه . وهذا مايمكن أن ننظر اليه بوصفه الأساس الميتافيزيقي للدعاء والصلاة . » (الوجودية والفكر المسيحى) .

الوفاء والامل :

حين تقف « الانا » ازاء « الأنت » ، تكون شخصا يقف فى مواجهة شخص ، او « حضورا » أمام حضور اخر . وهذا « الحضور » نشعر به أقوى ما يكون فى تجربة الحب ، بل انه فى هذه الحالة يتحدى كل « غياب » ، حتى لو كان الموت نفسه ! ولكن كيف يمكن أن يتم هذا التحدى ؟ بالوفاء .

فالواقع أن الحب يصبح تجربة خالية من المعنى ان لم يتضمن التزاما ما . التزاما لايأتى من الخارج ، وانما ينبثق من أعماق وجودى ، وهو يكون ما يشبه النبض أو ايقاع وجودى نفسه .. ثمة التزام يفرض على أن اجعل معنى وجودى غزيرا ، وأن أحيا أكمل مايكون الوجود امتلاء .. وعلى أن اجعل فى خدمة هذا الالتزام وفاء يصبح بتأثيره الخاص ـ لا مجرد شهادة مستديمة على وجودى وقيمته ـ بل وفاء « خالقا » ، ويكون أكثر خلقا ، كلما عظم مايشهد عليه (الوجود والملك) . فالوفاء معناه ـ فى بساطة ـ أن يتمسك الانسان بكلمته ، ويرتبط بالوعد الذى قطعه على نفسه أيا كانت الظروف والملابسات العابرة . وحين اقطع على نفسى عهدا ، أقيد مستقبلى كله ، لأن الوعد يفترض أن تظل مشاعرى كما كانت حين قطعت هذا الوعد على نفسى، وهذا مستحيل لأن المشاعر فى تغير مستمر. فالوفاء يضعنى

فيمحنة.. والواقع، ان ثمة عنصرا ثابتا فينا لا يتغير بتغير الحالات النفسية، هو الذى يعطى « للأنا » وحدتها وتماسكها . والوعد أو الالتزام هو ارتباط هذا العنصر الذى يتعالى على الحياة النفسية ويتجاوزها ، كما أنه لا يتقيد بالموقف الراهن ، وانما يتعالى على الحاضر والمستقبل معا ، لانه لايتقيد بالواحد أو بالآخر ، وانما يتقيد بكلمته ووعده فحسب . فلابد من احتفاظي بالوحدة والثبات وسط ماتتصف به الحياة من كثرة وتغير ، وان اعترف بالماضى وأواجه الحاضر واصنع المستقبل بنوع من الابداع المستمر لنفسى ، ابداع هو والوفاء شيء واحد . ذلك أن الوفاء ليس احتفاظا بأمانة عُهِد الينا بحفظها والمحافظة عليها كما هى ، والاكانت الأدراج فى المكاتب هى أوفى شيء ، وانما الوفاء مختلف عن هذا المعنى تمام الاختلاف . لانه أولا وقبل كل شيء حياة ، والحياة نماء لا مجرد تراكم ، والجوهرى فى الوفاء هو — بلاشك — واقعة الاستمرار فى التصرف وكاننا مازلنا مهتدين بشيء لم نعد نراه فى الواقع . ولهذا لا يتخذ الوفاء معناه الا فى عالم الغياب والانفصال .. عالم الفناء والموت . والوفاء يعترف بهذا العالم ، ولكنه يتجاوزه ، بل — ان شئنا الدقة — انه يعامل ذلك العالم بوصفه اختبارا للحب الذى يضمره ، والذى هو مبدؤه وطبيعته الحقة .

وقد حاول جبرييل مارسل أن يعالج هذين الموضوعين بطريقة ملموسة فى كتابيه « من الاباء الى النداء » و « الانسان الجوال » وخاصة فى فصلين ممتعين هما « السر العائلي » و « العهد الخلاق بوصفه ماهية الأبوة » ، وقد حاول أن يثبت فيهما أنه لا يمكن التفكير فى العائلة بوصفها واقعا الا بالأمل وبنوع من الوفاء الخالق فيقول : « ان هناك سرا عائليا يتجاوز كل ما نفهمه عادة — بمصطلحات « المِلْك » الخالص من كلمة «العائلة» . ذلك أن الأمر لا يتعلق بمجرد المحافظة على تراث مادى أو تنميته ، وانما يتعلق الأمر بالمشاركة فى قيمة — أى فى ترتيب تصاعدى محترم ومُعْتَرَف به — وفى حضور .. هو فى حضور « نحن » متميزة عن غيرها ، متحققة بواسطة تواصل فى بيت وبقعة مألوفة ، وبحسب تقاليد ومشاعر تستعصى على الاحالة الموضوعية ، ولكننا نعيشها بعمق ، حيث نجد فيها باستمرار وجه الحب نفسه ، والسند الاكيد للأمل . ولهذا كله قيمة خلاّقة ، ذلك انه مامن شيء — ان شئنا الدقة — معطىً تماما : وهذا السر يجب أن أحياه ، وبالتالى أن اجعله

ينبثق بمجهود متجدد باستمرار من الاحوال الأولية التى يغرب بجذوره فيهـا . فالعائلة اذن عمل من صنعى ، وثمرة وفائى وتضحيتى ، ويجب على قلبى أن يجعلها تولد فى كل يوم ــ فى استمرار ــ من حرارة حبى .» « **الانســـان الجوال** » .
وفى هـــذا الكتـاب نفسـه اعنى (الانســــــن الجــــوال) يقترح مارسل اقامة ميتافيزيقا للامـــل ، لان الامـل فى نظره هو التركيب الطبيعى للمصـــير الانسانى ، وهو نسيج الروح الذى منه صُنِعَت ، فليس الأمل مجرد رد فعـل نتخذه للدفاع عن أنفسـنا ضد رزايا الحياة ومحنها ، وانما هو سلوك معقد يتألف من مواجهة العقبات التى تصادفنا والتسليم بوجودها ، مع التغلب عليها ، وتحويلها من عوامل معوِّقة للنمو الفردى الى وسائل تصطنعها الذات لتحقيق امكانياتها ، وتوكيد نفسها . فالأمل هو استغلال العقبات التى كان من الممكن أن تقود الى اليأس، هو ملكة البدء من جديد ، وبلا انقطاع (الانسان الجوائل) . ان المحرك الأول فى الأمل هو الاقبال على الحياة ، والحماس الذى يأبى الهزيمة ، والذى يؤمن دائما بامكانية الاستفادة من التجربة .

ومن الوجهة الميتافيزيقية، ينطوى الأمل على نوع من البرهان على وجود المتعالى يشبه برهان الكمال عند ديكارت لاثبات وجود الله . ويتلخص هذا البرهان فى أننا مادمنا نفكر فى الكمال ، والكمال يقتضى الوجود لأن العدم نقص ، فلا بد من قيـام كائن كامل هو الله . وهكذا يتضمن الامل الاعتقاد بأن للحياة معنى ، وأن المجهود الانسانى الصادق لا يمكن أن يذهب أدراج الرياح ، وأن ثمة غائية حولنا نشارك فيها ، ونعمل على أن يُشارك فيها غيرنا دون أن نعوق تقدمه نحو المثل الأعلى المشترك ؛ والأمل أخيرا ، هو الابداع المطلوب للتعاون فى الملحمة الكبرى ، وبهـذا يكتسب كل ممثل ــ مهما كان صغير الشأن ــ كرامة أخلاقية وميتافيزيقية لاشك فيها (الانسـان الجوائل) .

الايمان والنداء :

والأمل يفتح لى الطريق الى العلو ، والوفاء الحقيقى يصعد بنا الى الله ، فلقد رأينا فى السطور السابقة أنه يتضمن نوعا من البرهان على وجود المتعالى ، لأن الله هو « الأنت » المطلق الذى يبادلنا الوفاء دائما ، ولايتخلى أبدا عن الانسـان . وما الوفاء الا نداء الى الله لكى يشهد على وفائنا ، ولكى يكون له ضامنا وحافظا ،

والوفاء يكون دائما مطلقا وبلا أية تحفظات ، لأن الوفاء المكبل بالشروط والقيود ليس وفاء ، بل ارتيابا وشكا ، وبالتالي فان هذا الوفاء المطلق ـ يرغمني بواسطة طبيعته نفسها ـ على الارتفاع شيئا فشيئا ـ حتى أصل الى المطلق الالهى . وهذه الصلة بيني وبين الله « الذى هو اقرب الى نفسى من نفسى » هى صلة بين شخصين ، وهي بالنسبة لى مبدأ الابداع الحقيقى ، لأنني بالصلاة والعبادة أشارك فى منبع وجودى ، وفى « الحب » الذى جعلنى موجودا ، فى اتحاد لايبلغ مداه التعبير.

وربما كانت الاضافة الحقيقية لمارسل هى التوكيد على عدم كفاية العالم ، فهذه الفكرة فى حد ذاتها ، تؤلف خطوة هامة فى الطريق الروحى ، اذ تكشف فينا عن مطلب معين ـ لا يرضى بهذا العالم ، أيا كان تركيبه ، وهذا المطلب هو الله ، وحين يضعنا « مارسل » وجها لوجه ، ازاء سر الوجود ، يهيب بنا أن نتجاوز الموضوعية الخالصة التى تتسم بها المعرفة العلمية ، وأن نقف متاهبين على عتبة « حضرة الله » .

جـ ـ مسرحه

ينبغى علينا أن نؤكد منذ البداية على أن فلسفة جبرييل مارسل لا تنفصل عن مسرحه ، فهما وجهان من عملة واحدة ، هى العملة التى يتعامل بها مع الوجود. بل ـ ان شئنا الدقة ـ قلنا انه يسلك فى التعامل مع هذا الوجود طريقا ذا ثلاث شعب : الدراما والفلسفة والموسيقى . وهو يحاول بهذه الوسائل الثلاث من وسائل التعبير أن يميط اللثام عن معنى التجربة الانسانية ، ففي مسرحياته يركز على الوجه الدرامى الغامض المتعدد الدلالات لهذه التجربة التى تنطوى على خليط هائل من الأسئلة الحائرة والمشاعر القلقة ، والأحاسيس والارهاصات التى تسبق كشفاً يلوح غاية فى القرب وغاية فى البعد على حد سواء ؛ أما الفلسفة فهى اللحظات التأملية التى يحلل فيها دلالة تلك الأسئلة ، ويوضح الأجوبة التى تعرض للانسان فى التجربة ؛ وأما الموسيقى ، فهى بالنسبة له ـ أشبه بوعد للوجود فى « عالم آخر » ، اذ يشعر فى حالة الابداع الموسيقى بأنه « ملهم » ، وخاصة حين يرتجل ـ اى يشعر بأنه يرتبط من الداخل بكل أولئك الذين يشاركون فى تلك المغامرة المتغيرة الحادة التى ينخرط فيها بكل ماهو عزيز عليه ، ولهذا فان الموسيقى بالنسبة اليه ، تجربة اتصال تنطوى على قيمة دينية .

وقد أكد جبرييل مارسل مرارا عديدة على أن مسرحه لم يتطور مستقلا عن اهتماماته الفلسفية ، كما أنه لم يتطور موازيا لها ، وانما تطور ابتداء من منبع واحد بعينه هو الاحساس بسر الكائنات وبالقيمة . جبرييل مارسل يحاول منذ ظهور مسرحياته الأولى أن يضع على الأقل هذه الأسئلة بأشد الصور حدة ، وبأكثر الطرق وجودية ، ان لم يكن يحاول تقديم اجابات عليها .

ولقد كان « مارسل » حريصا ـ منذ البداية ـ على الارتباط بالواقع المعيشى لا يتخلى عنه لحظة واحدة ، ولا يجعله يغيب عن ناظريه طرفة عين ، ذلك أن مشروع وجوده الأساسي هو ان يعبّر عن التجربة الذاتية ـ أو الوجودية ـ بكل مافيها من امتداد وعمق ، وبكل ما تحمله من عنصر شخصى أصيل ، ولهذا فهو يرحّب بكل ماكان

علامة على بحث أو قلق ، حتى في الخطأ والانحرافات الشاملة . فالفكر الذى يعبر عنه الانتاج الأدبى من رواية وشعر ، ويعبر عنه كل ماينشئه العقل ، هو ذو قيمة بسبب الدفعة الخفية التى تشيع فيه الحياة ، وتجعل له أهميته الحقيقية. فهو يريد أن يحتفظ للتجربة بكل مافيها من مذاق خاص ، ولكنه مع هذا كله ، يتنازعه مطلبان : مطلب التجربة الواقعية المرتبطة بالذاتى والجزئي ، ومطلب التفكير الموضوعي الكلي ، الذى يهتم بالماهيات ، وبالوجود بوجه عام . وهو يقول « لقد كانت الطريقة الدرامية فى التفكير تصور وتؤكد ـ مقدمًا ـ كل ماكتبته فيما بعد على المستوى الفلسفى الخالص فيما يتعلق بالمعرفة ، وقدرتها على تجاوز الموضوعية . » (فلسفة الوجود) . ويرى بعض الباحثين أن مسرحياته بوجه عام أشد قتامة من مؤلفاته الفلسفية ، وكأنه قد وضع فى تلك المسرحيات القضايا التى تتعلق بالعزلة والاحباط ، وهى القضايا التى عكف على تأملها تأملا طويلا فى « يومياته الميتافيزيقية » من بعد .

نحن نعارض اذن ـ منذ البداية ـ الرأى الشائع بأن مسرح جبرييل مارسل هو مسرح فيلسوف هائم بين الافكار والمجردات . فالواقع أن اهتمام مارسل بالمسرح بدأ فى سن مبكرة ، فى تلك الأمسيات التى كان أبوه يقرأ له روائع المسرح ، وهو نفسه قد شرع فى الكتابة للمسرح وهو فى سن الثامنة ، كما أشرنا الى ذلك آنفا . وقبل أن يتجه « مارسل » الى الفلسفة ، بدت له الدراما شكلا ممتازاً من أشكال التعبير الذى يتلاءم مع أشد احتياجاته الباطنة طموحا . ولما كان « مارسل » على وعى بالوضع الانسانى ، وبكل ما يتجاوزه ، ولما كان مرهف الحس بكل ما يعتمل فى نفسه ووجوده مما يند عن التعبير ، فقد اجتهد أن تشير مسرحياته الى ماهو « عبر » الوجود ، دون التخلى عن تثبيت الوجود فى أشد معطياته التحاما بالحياة اليومية. فهو يكتب مسرحياته من داخل الواقع الفعلى نفسه، ومن مركز مشكلاتنا الانسانية المحترقة . ولكنه قد يميل الى اداء هذا العمل فى شىء من التطرف ، بحيث قد نشعر فى بعض المواقف التى ابتدعها ، أو فى بعض التلميحات التى تتناثر فى مسرحياته هنا وهناك ـ بشىء من الغموض ، أوبانها ليست واضحة بما فيه الكفاية .

ومسرح « جبرييل مارسل » يرمى أولا وقبل كل شىء الى ابراز « الوضع الانسانى » والقاء الضوء عليه . ووسيلته الى ذلك هى أن يضع الانسان ـ هذا المخلوق من لحم ودم ـ فى مواقف تبيّن جوانبه المختلفة ، أو قل انه يضع الانسان

فى تلك المحن والاختبارات التي تظهره على حقيقته ، أن جاز هذا التعبير ، و «مارسل» يتابع هذا الامتحان دون رحمة أو شفقة ، وبكل ما يملك من حدة وقدرة على الاستشفاف ، وان كان من النادر أن نحس منه رغبة في الوصول الى نتائج ، كل مايهدف اليه هو أن ينتزع من شخصياته الحد الأقصى من التفسير ، وأن يلقى الأضواء الكاشفة على أحوال تلك الشخصيات .

ومسرح « جبرييل مارسل » يدور حول تلك المشكلات ـ أو الأسرار بمعنى أصح ـ التي عرضناها في القسم السابق الخاص بفلسفته . فكل مسرحية من مسرحياته تدور حول اهتمام أو أكثر من الاهتمامات التى شغلته طيلة حياته . والحق أن مسرح «مارسل» مسرح استنباطى بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ، وكأنه قد أخذ على نفسه عهدا بأن « يحفر » فى أعماق نفسه الى أقصى ماتستطيع وسائله الانسانية أن تصل به . ولهذا فانه لا « يبنى » بمسرحه شيئا ، ولا يقدم لنا نتائج أو حلولا جاهزة ، وانما كل ما يفعله هو أن يثير اهتمامنا بوضعنا الانسانى ، وبسر الوجود ، وهو يحاول الكشف عن الحقيقة الباطنة المستقرة فى أعماق الانسان ، كل ذلك دون رمزية مستغلقة ، أو حذلقة وتقعر فى الأسلوب ، وانما بأبسط صور الحوار وأشدها يومية .

وعلى الرغم من كل هذا الذى قلناه عن رغبة مارسل فى انشاء مسرح حي لاينعزل عن الوجود النابض بالحياة ، وعن هموم الانسان الأبدية ، وعن اقتناعه ـ واقتناعنا ـ بأولوية الكائنات على الافكار ـ على الرغم من كل هذا فان مسرح « جبرييل مارسل » يضع مشكلة « المسرح الفلسفى » أو « المسرح الذهنى » بكل ما فيها من حدة . فقد ادخلت مؤلفاته الفلسفية فى روع الكثيرين انه فيلسوف يكتب للمسرح ، وأن مسرحياته باردة فاترة تخلو من النبض والحياة ، وأن مسرحه جزيرة منعزلة قائمة بذاتها وسط الانتاج الدرامى المعاصر . والواقع أن جبرييل مارسل نتيجة لرهافة الحالات التى يختارها ، والمواقف الدقيقة التى يضع فيها أبطاله ابتغاء استخلاص ماتنطوى عليه جوانحهم من تركيبات وجودية غاية فى الاستسرار والعمق والخفاء ، وكذلك لنتيجة لتكوينه الجامعي واهتماماته الاكاديمية ، فان مسرحه جاء دون شعور منه ـ وهذا شيء طبيعى ـ بحيث لايتأتى للكثيرين أن يدركوا كل مايعنيه ويشير اليه .

وقد يذهب بعض النقاد الى الحاق مسرح جبرييل مارسل بالمسرح الذى يشرح قضية Théatre à thèse أو الذى يؤدى رسالة ، ولكننى اعتقد أن اطلاق دراما المواقف على مسرح جبرييل مارسل أكثر دلالة وانطباقا عليه ، كما أننى لا أنفى عنه أنه مسرح فلسفى ، اذا فهمنا من ذلك أنه يتعمق الوضع الانسانى ويحرره ويلقى الضوء عليه ، وهذا ما ينطبق على كل مسرح صادق عميق جدير بهذا الاسم ، فالواقع أن المسرح « يكون فلسفيا بقدر ما يكون موضحا ومحررا للوضع الانسانى » على حد تعبير أحد النقاد ، كما أن المؤلف الدرامى لا يكون جديرا بهذا الاسم ، ان لم يكن هو نفسه شخصياته المختلفة التى يعرضها على خشبة المسرح .

وأيا كان عمق مسرح « جبرييل مارسل » ، فانه لا يتوجه به ـ مُنْتَبِهًا ـ الى رجل الفكر وحده ، وانما الى كل انسان فى هذا العالم ، وهذه رسالة الفيلسوف الحق ، اذ يعتقد مارسل أن رفض الانسان للقيم الحقيقية وللايمان راجع فى كثير من الأحيان الى « عدم الانتباه » الذى تتسبب فيه الحياة الحديثة بما تحمله للفرد من تشتيت وتجريد من انسانيته ، بيد « ان كل انسان يستطيع أن يستيقظ فى أية لحظة من هذا النوم ، وذلك تحت مؤثرات متباينة أشدها تأثيرا فى النفس وجود الأشخاص الذين يشعون ايمانا صادقا .. » (الوجود والملك) .

---

* يقوول استاذنا الدكتور محمد مندور فى مقدمته للطبعة الاولى من مسرحية رجل الله (١٩٦١) : ان « مسرحيات المواقف اصطلاح اذاعه سارتر فى الأدب والنقد ، وله عدة مجلدات بعنوان مشترك هو « مواقف » يحلل فيها مواقف انسانية مختلفة ، ونوع السلوك الذى يفرضه كل موقف ، وكذلك المسرحيات الوجودية ، ففى كل منها ترتفع الستار عن موقف تجمعت خيوطه التى تجعل منه أزمة من ازمات السلوك البشرى . والمسرحية الوجودية على هذا الوضع تكاد تشبه المسرحية الكلاسيكية التى ترتفع عنها هى الأخرى الستار وقد تجمعت خيوطها بحيث لا يكاد يتم عرض هذه الخيوط وتعريفنا بها وبالشخصيات المشتبكة فيها حتى تأخذ الاحداث فى التطور فالتأزم حتى القمة فالانفراج . ومع ذلك فالمسرحية الوجودية تختلف عن المسرحية الكلاسيكية اختلافا واضحا فى ان الموقف فيها ليس ازمة احداث درامية ، بل ازمة فكرية خالصة على نحو ما نرى فى مسرحية « رجل الله » .. (ص ٢٠ ـ ٢١)

وإذا كانت المسرحيات تظل « حروفا ميتة » ، أو حبرا على ورق ، ما لم تقدم على خشبة المسرح ، فاننا نستطيع أن نقول ان معظم أعمال « مارسل » قد خرجت من بين دفوف الكتب ، لترى النور على اكبر مسارح باريس ، وانها لقيت نجاحا غير قليل . وقد مثلت مسرحية « رجل الله » ثلاث سنوات متعاقبة ، كما قوبلت مسرحية « القلوب النهمة » أو « الظمأ » باستحسان شديد ، واعيد تمثيل الكثير من مسرحياته مرات عديدة ، نذكر منها على سبيل المثال : **العالم المحطم** و **طريق القمة** و **روما لم تعد في روما** . وفي الفترة من نوفمبر سنة ١٩٤٩ الى ابريل سنة ١٩٥١ ، عرضت له في باريس ثلاث مسرحيات على التوالي هي : **رجل الله** ، و **مصباح النعش** و **روما لم تعد في روما** (وتضمها جميعا المجموعة التي تقدمها من الاعمال المختارة) . وقامت بتمثيل هذه المسرحيات أعظم الفرق المسرحية كفرقة الكوميدى فرانسيز وغيرها . وكانت مسرحياته تثير في كل المرات التي تعرض فيها مناقشات حامية يشترك فيها عدد كبير من الكتاب والنقاد المرموقين ، كما نحب أن نشير الى أن مسرحية **رجل الله** قد حصلت على جائزة « الجمعية العالمية للمسرح » ، وهي جائزة لا يحصل عليها الا كبار المؤلفين المسرحيين في فرنسا .

ومعنى صلاحية مسرحيات « جبرييل مارسل » للعرض المسرحي أنها تتضمن قوة درامية ما ، والواقع انني اختلف مع النقاد الذين يذهبون الى خلو مسرح « مارسل » من الحركة ومن الاحداث ، فأغلب مسرحياته تبدأ بتجمع حثيث لأزمة — وغالبا ما تكون هذه الازمة عائلية — ثم بانفراج لتلك الأزمة ، وهي صورة تقليدية من حيث الشكل ، ولكنها معاصرة أشد المعاصرة من حيث المضمون ، لانها تعالج أزمات الضمير الانساني الحديث ، في مواقف عينية ، لا تحل في نطاق التفكير المجرد وحده،لانها مواقف وجودية لأشخاص يسيطر عليهم القلقوالهم ، ويجاهدون للتعرف على معنى لحياتهم ، وتجديد مصائرهم . فالقوة الدرامية في مسرح جبرييل مارسل مستمدة من واقع الانسان المعاصر في حياته اليومية ، ومن ذلك المطلب الميتافيزيقي الذي يدفع مارسل دفعا الى الارتفاع فوق متناقضات الحياة المعاصرة ومفارقاتها ، والى الاتصال بمنبع الوجود الانساني بردّ الانسان الى صفته الحقيقية بوصفه كائنا دينيا في المقام الأول ، وفي سعيه من أجل هذا الاتصال الروحي العميق ، نبذ موقف الرفض والاباء وهرول ملبيا للدعاء والنداء فهو يقول : « ان اعتقادى الحميم الذي لا يتزعزع ، على الرغم من كل ما يعلنه الروحيون والاساتذة ، هو أن الله لا يريدنا أن نحبه بأن نتبذ ما هو مخلوق ولكن أن نمجده منخلال الخلق وابتداء منه».

وهذه القوة الدرامية أيضا مستمدة من سلاسة حواره وسهولته ، فهو لا يتكلف أسلوبا ملتويا فى الحوار ، ولا يختلق المواقف التى يمكن أن يرصعها بالصيغ البليغة والأقوال المأثورة ، وانما هو يستخدم حوار الحياة اليومية الجارية ، ولهذا لا نشعر فى مسرحه بأى أثر للتصنع أو الحذلقة .

وهناك سمة أخرى فى مسرحه ، وهي أنه بعيد عن الجهامة والقتامة ، بعكس مسرح ــ جان بول سارتر مثلا ــ فهو لا يتناول الجانب المبتذل المتعفن اللزج من الوجود ، وانما نلتقى فى مسرحه بنوع من البشاشة التى لا تخلو من التهكم والسخرية فى كثير من المواقف ، ولكنها ليست تلك البشاشة السطحية التى ترى أن ليس فى الامكان أبدع مما كان ــ وانما هى البشاشة التى تنبع عن روح سخية قادرة على البذل والعطاء وتحت الطلب Déoponible ــ وهو التعبير الذى يطيب لمارسل أن يستخدمه فى كتاباته ــ ذلك أن مارسل رغم كل ما يؤرقه من عذابات وآلام نتيجة لما يزخر به العصر الحاضر من تطرفات وبشاعات ــ لا يفقد الأمل فى الانسان .

وقد استطاع « جبرييل مارسل » نتيجة لتجربته المسرحية الطويلة ، أن يكون لنفسه نظرة جمالية الى المسرح ، وساعده على تكوينها اشتغاله بالنقد فى مجلة متخصصة هى « المجلة المسرحية » La Revue Théatrale ، بل انه يعد من مؤسسيها الأوائل الى جانب جاستون باتى ، وجان جاك برنار ، وجان كوكتو ، ولوى جو فيه ، وأرمان سالاكرو ، وأندريه أوبى وغيرهم . ولعل أول ما يلفت النظر فى هذه النظرة الجمالية (الاستطيقية) أنها قائمة على التجربة ، وتابعة لها ، تماما كما هى الحال فى نظرته الفلسفية التى تقوم هى أيضا على التجربة وتخضع لها . ولهذه النظرة جوانب ايجابية واخرى سلبية . أما الجوانب السلبية (ونحن نتحدث هنا بعد قراءة مقالاته النقدية التى لا نعرف أنها جمعت بعد فى كتاب ، كما أنه لم يعن بعد بالحديث عن هذه الجمالية حديثا منهجيا منظما) ، فمن الممكن أن نجملها فى جوانب اربعة : هى البعد عن الاكاديمية والامتناع عن التجريب ، وتجنب التلفيق والاصطناع فى المواقف المسرحية ، والترفع عن التجديد من أجل التجديد .

اما الأكاديمية فيقصد بها « مارسل » ما يفعله بعض المؤلفين المسرحيين من اعتناق نظرية جمالية او فلسفية معينة ، ثم كتابة مسرحيات نموذجية لاثبات هذه النظرية او تلك الفلسفة ، والنمط الأول يمثله كاتب مثل « تيرى مونييه » فى مسرحيته « سباق الملوك » رغم كل ما فيها من صنعة واحكام يدعوان الى الاعجاب .

والنمط الثاني الذى يسعى الى اثبات فلسفة معينة يمثله كاتب مثل جان ــ بول سارتر وخاصة فى مسرحيته « جلسة سرية » Huis Clos ، اذ يحاول سارتر أن يثبت فى هذه المسرحية فلسفته فى الغير « الجحيم هو الآخرون » ، مما يرغمه على أن يعزل الانسان عزلاً متعسفا ليلتقى الضوء على جانب واحد من وجوده ، ليثبت فى نهاية الأمر نظرية وضعت لديه مقدما عن اخفاق الاتصال بالذات والآخرين ، أى يستخلص حقيقة عامة من مسرحية ليست ممكنة الا بشروط تعمل هى نفسها على تجريدها من طابع الحقيقة العامة التى يرمى المؤلف الى استخلاصها .

والسمة السلبية الثانية هى التجريب ، وهذه النزعة الى التجريب تتمثل أوضح ما تكون فى مسرح جان كوكتو . وسر مناهضة « مارسل » لهذا التجريب هو اعتقاده بأن التجريب لا يكون الا على أشياء لا على أشخاص ، وفرق بين أن تقوم فلسفة ما على « التجربة الانسانية » ، وبين أن يكون الانسان نفسه « حقل تجارب ». فشتان بين هذا الموقف وذاك !

أما السمة الثالثة وهى التلفيق والاصطناع فى المواقف المسرحية ، فلعلنا أشرنا اليها فى الحديث عن مسرحية جلسة سرية لسارتر، وهى تتمثل أيضا فى بعض مسرحيات ارمان سالاكرو كليالى الغضب ، ومجهول آراس . وبعض مسرحيات كوكتو كالنسر ذى الراسين التى يعتقد أنها اصطناع صرف .

ويهاجم مارسل التجديد من أجل التجديد ، ولهذا ينفر من المسرح السريالى نفورا شديدا ، ولا يؤمن بما يدعيه أنصاره من اتصافه بالحيوية ،وهو يميل عامة الى احترام التقاليد المسرحية ، والتزام التكنيك الدرامى المعترف به ، ولكن دون محاكاة للقديم ، أو تقليد اساليب كبار المؤلفين الذين كتبوا للمسرح ، اذ ينبغى عنده ان يكون المسرح صورة للعصر الذى نعيش فيه ، ولا يتأتى ذلك طبعا الا بمضمون جديد ، ورؤية جديدة . فالتجديد يتناول المضمون لا الشكل .

ويعتقد جبرييل مارسل أن هبوط المسرح الفرنسى فى الاربعينات ــ على الرغم من وجود أسماء لامعة كانوى وكوكتو وسارتر وغيرهم ــ راجع الى عدم اعتراف الكتاب الشبان بالشروط الشكلية Formelles للعمل الدرامى ، فالفن الدرامى فن من أصعب الفنون ، وان بدا يسيرا هنا على من لم يكتشف طبيعته الحقة ، والمسرحية تُشَيَّد كما تشيد اللوحة أو السمفونية ، والعنصر الشعرى لازم للمسرح ، هذا العنصر الذى تفتقر اليه معظم المسرحيات الحديثة .

واذا كنا نجد فى العمل الموسيقى « مادة لحنية » هى التى تعطى للعمل قوته ، فكذلك لابد من وجود « مادة درامية » يستمد منها العمل المسرحى قوته ، وهذه المادة غير قابلة للتعريف فى الواقع ، ولكننا نشعر بها شعورا قويا بمجرد اسدال الستار، فنقول اننا شاهدنا مسرحية بالمعنى الكامل لهذه الكلمة .

واحترام مارسل للشروط الشكلية للعمل المسرحى ، لا يعنى أن يخضع المؤلف المسرحى للوسائل والحيل المسرحية ، أو بتعبير أدق - للصنعة المسرحية ، بل عليه أن يسيطر عليها سيطرة تامة ، وأن يُضعها لمطالبه الوجودية ، والا تحول المسرح الى مسرح للدمى والعرائس ، وأصبح العمل الدرامى مجردا من الروح ، ولم يعد سوى « تكنيك » آلى صرف ، ويضرب « مارسل » مثلا على ذلك بجان آنوى عندما كتب المتوحشة و ايريديس ، فقد كان فى هاتين المسرحيتين كاتبا دراميا بحق لأنـه يسيطر على الوسائل المسرحية سيطرة تامة ، بيد أن هذه السيطرة أفلتت منه فى مسرحيته روميو وجانييت .

ويعيب « جبرييل مارسل » على الكتاب الجدد لجوءهم الى الأساطير القديمة لتحملها ببعض الأفكار الحديثة ، وصياغتها صياغة جديدة ، ويعتقد أن مثل هـذا العمل راجع الى قصور وعجز فى الخيال (سباق الملوك لتيبرى مونييه) ، وانما الكاتب المسرحى الحق هو من يضفى على الحياة المعاصرة جوَّ الأسطورة كما فعـل « يوجين أونيل » فى ثلاثينه المشهورة الحداد يليق بالكترا .

وخلاصة آراء جبرييل مارسل فى المسرح الناجح هو ذلك المسرح الذى يجيب على مطلب ميتافيزيقى لا يفتأ يلح على الانسان ويقض مضجعة ، المسرح الذى ينبع من ذلك الدافع الخلاَّق الذى يوجد عند أصل كل ما هو حى حقا ، ووراء مثل هذا المسرح ثمة رؤية أو عقيدة غير قابلة للصياغة ، تكمن عند جذور العمل الدرامى الحى. فالمسألة ليست مسألة افكار تنثرها هنا وهناك (وهذه سمة المسرح الذهنى) ، بل هو تيار خفى مستتر يحث المؤلف على التعبير والابداع ، وايمان « بالأمل الذى يستطيع وحده أن يُنْقِذَنا من سحر التكنيك » . » . وأن ينتزعنا من الغواية التى تتربص بالانسان الشهوانى ، كما يستطيع الأمل وحده أن ينقذنا من الانتحار واليأس (وهو صورة أخرى من الانتحار) ، وهو وحده الذى يستطيع أن يتيح لنا ، لا أن ندرك معنى المحنة (الالم والموت) وقيمتهما ، ولكنه يتيح لنا ايضا أن يحولها الـى « وجود أكمل واشد ثراء » .

مؤلفات جبرييل مارسل المسرحية

مرتبة حسب تاريخ كتابتها

اللطف (او النعمة) ـ (١٩١١)	La Grace
قصر من الرمال ـ (١٩١٣)	Le Palais de Sable

وقد نشرهما مارسل عام ١٩١٤ فى مجلد واحد تحت عنوان :

العتبة الخفية (١٩١٤)	Le Seuil Invisible
رباعية من مقام فادييز (١٩١٦ ـ ١٩١٧)	Le Quatuor en fa diése
محطم الأصنام (١٩١٦)	L'Iconoclaste
النظرة الجديدة (١٩١٩)	Le Regard Neuf
موت الغـد (١٩١٩)	La Mort de Demain
قلب الآخرين (١٩١٩)	Le Ceur des antres
رجـل اللـه (١٩٢٢)	Un Homme de Dieu
كولومبير او جمرة السلام	Colombyre ou le Brasier de la Paix.
الفحص المزدوج	La Double expertise
النقط على الحروف	Les Points sur les I
ترقية بعد الوفاة	Le Divertisement posthume

وقد نشر مارسل هذه المسرحيات الأربعة الأخيرة تحت عنوان :

المسرح الكوميدى (١٩٢٣)	Theàtre Comique

الأفـق (١٩٢٨)	L'Horizon
العالم المحطم (المكسور) (١٩٣٢)	Le Monde Cassé
مصباح النعش (١٩٣٥)	La Chapelle Ardente

وقد نشرها مارسل مع مسرحيتى « النظرة الجديدة » و « موت الغد » تحت عنوان :

ثلاث مسرحيات (١٩٣٥)	Trois pieces
طريق القمة (١٩٣٥)	Le Chemin de Crete
المنـار (١٩٣٦)	Le Fanal
الرمـح (١٩٣٦)	Le Dard
القلوب النهمة أو الظما (١٩٣٧)	Les Coeurs Avides ou La Soif
المبعوث (١٩٤٥)	L'Emissaire
علامة الصليب (١٩٤٩)	Le Signe de la Croix

وقد نشرت هاتان المسرحيتان معا تحت عنوان :

نحو مملكة جديدة (١٩٤٩)	Vers un autre Roya(me
روما لم تعد فى روما (١٩٥٠)	Rome n'est plus dans Rome
بُعْد فلورستان (١٩٥٣)	La Dimension Florestan
عصرى ليس عصرك	Mon Temps n'est pas le votre
زد وضاعف	Croises et Multiblies
الحياة الحقة غائبة	La Vraie Vie est absente
نهاية الأزمان	La Fin des Temps

مسرحية

رَجُل اللّهُ

تأليف : جبريل مارسل
ترجمة وتقديم : فؤاد كامل

مقدمة

مسرحية "رجل الله" بقلم المترجم

انتهى « جبريل مارسل » من تأليف هذه المسرحية عام ١٩٣٢ ، ولكنها لم تعرض على خشبة المسرح الا فى عام ١٩٤٩ . ومعنى هذا أنه كتبها قبل أن يتحول نهائيا الى الكاثوليكية عام ١٩٢٩ ، ومع ذلك فانه لم يقصد بها أن تكون اتهاما موجها الى البروتستانتية، أو ادانة لها ، أو سخرية منها . فقد كانت خالته، التى أصبحت له أما ثانية بعد وفاة أمه ـ من المذهب البروتستانتى ، كما أنه صاهر فيما بعد أسرة بروتستانتية كبيرة ، هذا بالاضافة الى أنه كان على صداقة وثيقة بكثير من رجال الدين البروتستانت ، وبخاصة الراعى بوجنر Boegner الذى كانت زوجة مارسل احدى قريباته . فلكى نحسن الحكم على المسرحية ينبغى أن نستبعد منذ البداية فكرة الاستهانة بالبروتستانتية أو الزراية بها .

وربما كان « مارسل » يهدف ـ على الأرجح ـ الى ابراز وتصوير حالة نادرة لما يمكن أن تحدثه الوظيفة الروحية من تشويه أن لم تؤخذ بما ينبغى أن تؤخذ به من حب وتكران للذات ، أو لعلنا نستطيع أن نقول فى بساطة ان العيب يكمن دائما فى الأشخاص ولا يكمن فى الدين أو فى الايمان .

وعلى عكس « جان ـ پول سارتر » الذى يرى أن « الجحيم هو الآخرون » ، يذهب جبريل مارسل الى أن الجحيم هو الذات المغلقة على نفسها « ... الذات التى لا تتفتح على حب الغير ، ولا تعكف الا على نفسها ، ولا تكف عن تقويم هذه النفس وتقديرها ونقدها » .

فالفكرة الرئيسية فى هذه المسرحية هى « عدم التفتح للغير » Lindisponibilite وهى حالة تصيب أولئك الذين يستغرقون فى محاسبة أنفسهم بحيث يصيبهم نوع من الهوس الأخلاقى ، فلا يفطنون الى ما يدور فى نفوس أقرب الناس اليهم .

وهذه بالضبط هى حالة كلود ليموان أو رجل الله فى هذه المسرحية ، فهو قسيس فى احدى المدن الفرنسية الصغيرة ، قد كرّس نفسه تكريسا تاما للمهنة التى يمارسها، بنفسه بحيث لم يعد فيها مكان للاخرين ، وأصبح هو والوظيفة التى يقوم بها شيئا واحدا ، وشيئا فشيئا اكتست شخصيته بطبقة صلبة ، أو بقناع خارجى انطبعت عليه مجموعة من الحركات الآلية، والتصرفات المتزمتة الجامدة.

ويفاجأ « كلود ليموان » ـ ذلك القسيس الذى يتلقى اعترافات الناس ـ باعتراف كامل من زوجته « ادميه » بأنها قد خانته مع جار لهما يدعى « ميشيل ساندييه » ، وذلك بعد ان اتسعت بينهما الهوة نتيجة لاكتشافها أن زوجها الذى يعيش للاخرين ـ بحكم وظيفته ـ لا يشعر بما يعتمل فى نفسها من آلام ، وما تعانيه من فراغ ووحدة . وحين يتلقى « كلود ليموان » هذا الاعتراف من زوجته يمضى فى « تمثيل » وظيفته الى النهاية ، فيصفح عنها تحاشيا للفضيحة ، ولأن هذا الصفح ينسجم مع شخصيته بوصفه قسيسا ، ويجعله أكثر تقديرا لنفسه ، وأخيرا لكى ترتبط به « ادميه » ارتباطا أوثق ، اعترافا منها بجميله ، بيد أنه أثناء انشغاله باتقان دوره وتجويده ، يتناسى العذاب الذى تكابده « ادميه » ويتغاضى عن الجرح العميق الذى لم يستطع الصفح أن يشفيه ، ومع ذلك ، تشعر « ادميه » بغبطة خبيثة من سذاجة زوجها الذى يدعى أنه يشفى الاخرين ، ولكنه لا يستطيع أن يشفيها هى ، ومن أجل هذا يرتد ذلك الصفح عليه ، فتقول له « ادميه » ، وكأنها تصفعه : « أنت لم تغفر لى لانك كنت تحبنى .. فماذا كنت تريدنى أن أفعل بصفحك ؟ »

وكان من الممكن أن تستمر بهما الحياة على هذا النحو ، لولا أن « ادميه » انجبت من عشيقها طفلة هى « اسموند » . وكان أبوها « ميشيل ساندييه » قد رحل عقب اعتراف « ادميه » بعلاقتهما . ويعود العشيق بعد غيبة عدة سنوات ، تكون فيها « اسموند » قد أصبحت فتاة ناضجة ، ويطلب أبوها الحقيقى أن يراها لانه أصيب بعلة لا أمل فى شفائها ، وهو الآن على شفا الموت ، وحين يعلم « كلود ليموان » بهذه الرغبة ، ينقلها الى زوجته ، ويتم لقاء بين « ادميه » و « ميشيل ساندييه » يتحدثان فيه بصراحة من تلك المغامرة التى قربت بينهما منذ عشرين عاما ، ويذكرها « ميشيل » بأنها لم تتبعه خوفا وجبنا ، وبأنها آثرت الأمان والدعة تحت سقف رجل لا يحبها .

ويجتاز القسيس أزمة ضمير عنيفة ، يحاول فيها أن يسبر أغوار روحه ، فيلمس خداعه لنفسه ، وأن كرمه الظاهرى نحو زوجته ، أو ذلك السخاء الذى أبداه بحكم مهنته ، ما هو الا ضرب من هذا الخداع الذاتى ، وينغمس فى هوة الارتياب فى النفس والاتهام لها . ولا يجد مناصا فى نهاية الأمر من الافضاء لأسموند بالحقيقة ، وهى أنها ليست ابنته .

وكانت « أسموند » تشعر طيلة هذا الوقت بأنها تحيا فى جو غير طبيعى ، ولهذا اخذت تتردد على جار لهم يدعى « ميجال » ، وكان هذا الرجل قد انفصل عن زوجته بسبب اصابتها بالجنون ، وهو يعيش الآن مع ابنتيه منها ، وأكثرت « اسموند » من زياراتها لميجال بحجة العناية بهاتين الطفلتين المسكينتين . وحين يفاجئها من كانت تعتقد أنه أبوها بذلك الاعتراف الأليم — وكان يحاول اقناعها بأنه لم يكتشف خيانة أمها الا مؤخرا — تقرر الرحيل عن هذا البيت الذى يخلو من الحب ومن الحقيقة ، وتقذف فى وجه كلود ليموان بهذه العبارة وهى « أن ايمانه لم يكن سوى اناء ملون يخفى منه الوقائع الحقيقية . » وتمتنع عن تلبية رغبة ابيها المحتضر ، بل تذهب الى منزل جارها « ميجال » لتعمل مشرفة على تربية طفلتيه اللتين تشعر نحوهما بحب صادق عميق وكأنهما ابنتاها .

أما « كلود ليموان » فيشعر بأن فراغا هائلا — كأنه التنين — يفغر فاه تحت قدميه ، فيردد تلك العبارة السقراطية « ان نعرف انفسنا على حقيقتها » ويشعر أنه ارتكب خطأ فادحا يدفع ثمنه الآن ، وهو أنه لم يؤسس رسالته الروحية على الحب ، وبهذا أصبحت خاوية من المضمون ، ولم يقم مبادءه ومثله العليا على أساس أنه انسان من لحم ودم ، وبهذا تحولت حياته الى خواء لا معنى له ، ويكاد يجعل نفسه مسئولا عن خطيئة امرأته ... انه لم يستطع أن يفهم أقرب الناس اليه ، كما أنه لم يشعر اطلاقا بالغيرة كما يشعر بها غيره من الرجال ، ولهذا تراه « ادمية » مجردا من آدميته ، وأنه أحق منها بالعلاج لأنه يفتقر الى المشاعر الانسانية الأولية ، كالحب والبغض والغيرة والالم . انه يغطى امتلاءه بنفسه بحجج جميلة منها : أنه انسان ذو ضمير ، وانه صادق مع نفسه . غير أن هذا النوع من الصدق ينمّى فى النفس نوعا من النرجسية الروحية ، بحيث ينحصر الوعى فى حدود الذات الضيقة ، بدلا من أن يكون وحبا فياضا ، متفتحا على الحياة ، وعلى اسعاد الآخرين ، فنحن فى الواقع مسئولون وجوديا عن الغير ، او كما يقول فيلسوف وجودى : « ان أقصر طريق من ذاتى الى ذاتى تمر بمنعطف الآخر . »

ينبغى اذن أن يواكب اخلاصنا لأنفسنا ، اخلاص « للقوانين الطبيعية » ولتطلعاتنا المتجاوزة للطبيعة على حد سواء ، كما لا ينبغى أن تتناقض مثالياتنا مع واقعنا الانسانى واحساسنا بأنفسنا،بل ينبغى أن تصل بنا المثالية الى ذروة الواقع وتمامه . والله لم يتجسد ـ وفقا للايمان المسيحى ـ لكى يحطم طبيعتنا الانسانية ، بل لكى يرفعها الى أعلى درجات الكمال .

وفى نهاية المطاف نرى القسيس ، وقد أشرف على هاوية الانتحار ، بيد أن واجبا روتينيا من واجبات أبرشيته اليومية يدفعه الى العدول عن هذه الفكرة . وهكذا يبيّن لنا « مارسل » أن الناس لا يجدون الشجاعة المطلوبة فى رأيه لاحتمال حقيقة موقفهم الا فى حضن الجماعة .

وقد اجمع النقاد على أن « جبرييل مارسل » قد بلغ فى مسرحيته« رجل الله » ذروة صنعته الدرامية : فذلك التدفق الحار فى الحوار بين الاب والام ، وبين كل منهما وابنتهما ، وذلك التصوير المتقن لشخصية القسيس فى أزمته الروحية العنيفة ، وذلك التجميع البديع للخيوط التى ستتألف منها مصائر الشخصيات الثلاث الرئيسة فى المسرحية ، وذلك التصريح الحاد بكل ما ينبغى أن يقال ، والتلميح الدقيق ، والايحاء اللبق ، بكل ما لا ينبغى أن يقال ... كل هذا يدل على سيطرة « جبرييل مارسل » على فنه فى هذه المسرحية على الرغم من أنها من مسرحياته المبكرة .

على أن جوهر ما نشعر به من قوة درامية فى هذه المسرحية يكمن ـ فى رأيى ـ فى تلك الحيرة ـ أوقل البلبلة ـ التى تتولد عن ازدواج المشاعر ، وعن الالتباسات والتساؤلات التى لا تنفك تلح على المشاهد طوال المسرحية : هل اغتفر «كلود ليموان » خطيئة زوجته بدافع من الكرم ، وسخاء النفس أم بدافع من الانانية ؟ هل قبلت « ادميه » هذا العفو على سبيل الندم أو على سبيل الجبن ؟ هل تتكيف «ادميه» مع حياة تبدو شرعية فاضلة ، أم تلحق بالرجل الذى تحبه ؟ هل يمكن أن نمضى فى حياة مبنية على أختيار يقطع كل صلة بينه وبين الماضى ؟ هل .. وهل .. الخ .

وهكذا نستطيع أن يقول بحق ان هذه المسرحية تنتمى ـ شكلا ومضمونا ـ الى فن المسرح العظيم !

شخصيات المسرحية

● كلود ليموان	Claude Lemoyne
● الدكتور فرنسيس ليموان	Docteur Francis Lemoyne
● ميشيل سانديين	Michel Sandier
● ميجال	Mégal
● فريد جينو	Fred Junod
● رينيه الصغير	Le Petit René
● ادميه	Edmée
● أسموند	Osmonde
● مدام ليموان	Mme Lemoyne
● مدموازيل اوبونو	Mlle Aubonneau
● فيليسي	Félicie

الفصل الأول

(صالون عائلة « ليموان » . . الأثاث عادى مبتذل تشيع فيه البرودة . . . على الجدران لوحات دينية « لبورنان » ونسخة من لوحة عذراء سان « سكست » . .

المنظر الاول

أسموند وميجال

(الاثنان واقفان ، « ميجال » لم يخلع معطفه) . .

ميجال : أرجو المعذرة يا آنستي . . أرى أنك مازلت تتناولين طعامك . . ومع ذلك فقد طلبت من الخادم ألا تزعجك . . .

أسموند : تفضل بالجلوس . (يجلس ميجال) . ليس لهذا أية أهمية ، فنحن نتناول إفطارنا أيام الآحاد في ساعة متأخرة جداً . فهناك دائماً اشخاص يودون التحدث مع أبي عند خروجه من المعبد . . هذا إلى أننا كدنا نفرغ من تناول الإفطار .

ميجـــال : لقد كان لطيفاً منك أن تقترحى الخروج لحظة مع الأطفال هذا العصر . . ذلك إذا لم أكن قد أخطأت الفهم . . وقد أردت أن أتأكد حقاً أننى لا أسىء استغلال . . .

أسموند : كلا ، على الإطلاق . . . فأنا بالصدق لست مشغولة هذا العصر

ميجـــال : لست أدرى كيف أشكرك . . خاصة وأننى لم أكن أعلم ما أصنع بالأطفال اليوم . . فالخادم غائبة طيلة النهار . . وأنا ذاهب إلى « إيبينيه » .

أسموند : ومدام ميجـــال ؟

ميجـــال : لا تغيير هناك . . . ذلك أن مرضاً مثل هذا المرض . . هذا إذا استطعنا أن نسمى ذلك مرضاً .

أسموند : أهى تتعذب ؟

ميجـــال : من المحال أن يحكم المرء . . فهى تشكو باستمرار . . ولكن الأطباء يؤكدون لى أن الإيحاء الذاتى دخـــلا كبيراً فى الموضوع .

أسموند : أه ؟

ميجـــال : والواقع أن هذه هى السمة الوحيدة التى تذكرنى بما كانت عليه من قبل . . وإلا فإنه لو كان الأمر على

خلاف ذلك ، لما كانت هى نفس الشخص . .
(بصوت خافت) بل إنه لم يعد في وسعنا أن نقول إنها شخص على الإطلاق . .

(صمت) . .

أسموند : لست أدرى اذا كانت « سوزان » قد أنبأتك بأنها أجابتنى إجابة جيدة جداً في مدرسة الأحد هذاالصباح

ميجال : من حسن الحظ .

أسموند : كما أنى راضية تماماً عن « إيفون » .

ميجال : إنهما طفلتان وديعتان . . ولكن إلى أين تصحبينهما هذا العصر ؟

أسموند : لست أعلم على وجه التحديد .

ميجال : إذا تصادف ولم أعد من « إيبينيه » في ساعة متأخرة جداً ، فإننا نستطيع أن نفعل ما فعلناه منذ خمسةعشر يوما . . .

أسموند : (متهربة) سنرى . . . لندع هذا الأمر لوحى الساعة

ميجال : (وهو يتفحصها) . . هذا جميل . . تصفيفة الشعر هذه تناسبك تماما .

(صمت) . . .

المنظر الثاني

الاشخاص ـ انفسهم ـ ادميه ـ كلود ـ مدام ليموان

إدميـــه : (موجهة خطابها إلى ميجـــال الذى انتصب واقفاً)
كلا . . يا ســيدى . . أرجــوك

(ثم موجهة خطابها إلى مدام ليموان)

أمي . . أقدم لك السيد ميجال الذى يسكن فوقنا . . والسيد ميجال هـــو والـــد الفتاتين الصغيرتين اللتين التقيت بهما أمس على السلم .

مدام ليموان : سيدى . . . إننى مسرورة جداً بمعرفتك . . .

كلـــود : هل لك في فنجان من القهوة ؟

ميجـــال : (واقفاً) أشكرك . . ولكنى مضطر للذهـــاب إلى إحدى الضواحى . . . وكنت أعرب للآنسة أسموند عن مبلغ شكرى وعرفانى بالجميل لكل ما تصنعه من أجل طفلتىّ . . فقد أقبلت ذات مساء لكى تساعدهما على استظهار دروسهما . . وهى تريـــد الآن أن ترافقهما للنزهة . .

إدميــه : (في جفاء) . . ولكن هذا ، يا سيدى ، أمر طبيعى ما دام لديها من الوقت ما يسمح لها بذلك ،

ميجــال : لست من هذا الرأى . . لا تكلفوا أنفسكم أى عناء.. إلى اللقاء يا سيدى العزيز . . وأنت يا سيدتى . .وأنت يا آنستي . . . (ينحنى أمام مدام ليموان ، ثم يغادر الصالون) . .

المنظر الثالث

الأشخاص أنفسهم عدا ميجال

مدام ليموان : هذا السيد يبدو مهذبا كل التهذيب .

إدميــه : إننا لا نعرفه على الإطلاق .

مدام ليموان : إن نظرته تنم عن الصراحة . . وفمه مفعم بالحنان . .

أسموند : أتريدين شيئاً من القهوة ياجدتى ؟

مدام ليموان : قليلا في قاع الفنجان فحسب ياعزيزتى . . إن عمك فرانسيس يؤنبى على شرب القهوة . . هذا يكفى . . هذا يكفى . .

كلــود : وبهذه المناسبة ، لماذا لم يحضر فرانسيس لتناول إفطاره معك ؟

مدام ليموان : كان لابد له من أن يعود أحد مرضاه في ضواحى باريس ، هذا إلى أنه سيأتى لمرافقتى . (بصوت خافت) أعتقد أن لديه ما يريد أن يقوله لك .

إدميــه : كيف ؟

مدام ليموان : قلت إنه سيأتى لمرافقتى .

إدميــه : تعلمين أننا لانراه مطلقاً . (توجه حديثها إلى كلود) ان أخاك لم يأت أكثر من مرتين أو ثلاث مرات منذ انتهاء العطلة .

مدام ليموان : ويجب أن يقال أيضاً : إنه مشغول جداً . وقد رأيت ذلك بنفسى منــذ أن أقمت هنــا . . المستشفى ، والزيارات ، والمواعيد ، ومراسلاته مع الأكاديمية . . إنى أعجب كيف يحتمل هذا كله . (مخاطبة كلود) على كل حال . . إنه مثلك ياطفلى العزيز . . أوه ! نعم لست أنا الذى ألومك على القيام بكل واجبك ، وبأكثر من واجبك ، كما يقول والدك . . ولكن يبدو أن العمل في هذه الكنيسة ثقيل . .ثقيل جداً . . فهل تقوم مع هذا كله بما يكفى من التمرينات وأنت يا إدميه ، هل تحرصين على ملاحظة ذلك ؟.

إدميــة : نحن على أبدع حال .

مدام ليموان : إن الحياة في باريس متعبة في حد ذاتها ،إذا قيست بالحياة في لوزان . إن قهوتك لذيذة وينبغي أن تعطيني وصفتها كي أصنع مثلها لفرانسيس . .

إدميـــه : آسفة لأني لا أستطيع أن أصف لك شيئاً . .إذ لابد من شراء البن من البقال الذى في مواجهتنا . معذرة ياوالدتى ! يجب أن أبحث عن مقطوعة للمطالعة من أجل «اتحاد الفتيات» الذى أرعاه (تنحنى أمام مكتبه منخفضة) .

مدام ليموان : ولكن . . لنعد إلى الحديث عن هذا السيد ، فهل تشغلين نفسك بانتظام بفتاتيه اللطيفتين ياأسموند ؟ إن هذا شيء لطيف من جانبك .

أسموند : إنى أكرس لهما بضع لحظات من حين إلى آخر .

مدام ليموان : وأين أمهما ؟

إدميـــه : (وهى تتصفح كتاباً) إن أمهما نزيلة أحد متشفيات الأمراض العقلية .

مدام ليموان : يالفظاعة !

إدميـــه : (مخاطبة أسموند) — إنى أعجب بعض الشيء كيف استطعت تبديد عصر هذا اليوم ، وعيد الميلاد يوم

الأربعاء ، ويبدو أن لديك أشياء كثيرة ينبغى أن تقومى بها .

أسموند : الأمر على العكس من ذلك . .فأنا قد انتهيت من أعمالى مبكرة هذا العام .

إدميـــه : إن هديتك التى سوف تقدمينها إلى عرابتك لم تبدئى العمل فيها بعد . .

مدام ليموان : إن الحزن ينتابنى كلما تصورت أننى لن أرى شجرة عيد الميلاد عندكم . .إذ أن هنرى ولوليت يعتمدان على وستملأ الحسرة قلبيهما إذا لم أحتفل معهما بالعيد . . من العسير جداً إرضاء الناس جميعاً . . وهذا هو مصدر شقاء الأسر التى تتحد فيما بينها أوثق اتحاد .

إدميـــه : (إلى أسموند) ــ أتذكرين قصة « يتيمة الدائرة الكنسية الصغيرة » ؟

أسموند : أرينى .

(تواصل أسموند تقليب صفحات الكتاب) .

مدام ليموان : أنا أذكرها . إنها قصة مشوقة . . وعلى كل حال إن جميع الكتب المنقولة عن الإنجليزية رائعة .

إدميـــه : (وهى تضع الكتاب)ــ يبدو لى أن هذا الكتاب عاطفى

إلى مخيف ، في حين أن هؤلاء الفتيات الصغيرات على استعداد تام للبكاء من هذه الترهات .

كاســود : المهم هو العمل على تشويقهن .

إدميه : لا ينبغى أن يكون ذلك بأى ثمن . .

مدام ليموان : مهما لايضر ، أن يكون هناك قدر قليل من الغرابة . قدر بسيط جداً . .

(موجهة كلامها إلى أسموند) ما رأيك ياعزتى ؟

أسموند : (وقد نهضت) لست من هذا الرأى .

إدميــه : أظنك لم تنسى أن الآنسة «جنتى» تعتمد عليك لكى تقومى لها بشيء من المطالعة في الساعة الخامسة ؟

أسموند : (في عصبية) اطمئنى .

إدميــه : من الجميل جداً أن يخلق المرء لنفسه التزامات جديدة.

أسموند : إلى اللقاء ياجدتى . . ماذا تفعل هذاالعصر ياأبى ؟

كلــود : ؛ سأكتب خطاباً أو خطابين ، ثم على أن أعد موعظة الغد .

إدميــه : سيمونان الصغير ؟

مدام ليموان : أنا على يقين من أنك لا تنسين شيئاً مطلقاً يا إدميه . . هذا رائع .

أسموند : (في مرارة) كلا . . إن أمي لا تنسى شيئاً على الإطلاق . . إن أمي مريعة .

(يخرج) . .

المنظر الرابع

الاشخاص انفسهم عدا اسموند

مدام ليموان : الصغيرة العزيزة عصبية قليلا .

كلــود : (مخاطباً زوجته) . لعلها تشعر بأنها لا تظفر بما يكفي من الثقة .

إدميــه : وأنا لا أطلب أفضل من أن أوليها كل ثقتي . . ولكنها على الرغم من مظهرها الهادئ تبدو مندفعة ، وأنا ألاحظ هذا الاندفاع يوماً بعد آخر .

كلــود : إني لأتساءل : ألسنا حين نسجل أخطاء الغير نبالغ في هذه الأخطاء ، إذا جاز لنا هذا التعبير . . الا تعتقدين ذلك يا أماه ؟

إدميــه : إذن . . . أيجب على المرء أن يغمض عينيه ؟

كلــود : أنا لا أقول ذلك ، ولكن طريقتنا في معاملة الآخرين.

إدميــه : أعلم ذلك ، ولكن مثل هذه النظرية من شأنها أن تؤدي بنا إلى الإسراف . .

مدام ليموان : مهما يكن من أمر فأنا شغوف بحفيدتى غاية الشغف ... تعلمان أنه يجرى العمل الآن في لوزان على تنظيم بعض المحاضرات خلال فصل الصيف وبعض الرحلات و . . .

كلــود : وأنت . . ستذهبين إلى هناك . . .

مدام ليموان : طبعاً . .

كلــود : ولكننى لا أشعر بأية رغبة في إعارتك ابنتى

إدميــه : سنتحدث عن ذلك فيما بعد . . (مخاطبة كلود) ولكن بماذا سترد على السيد جينــو ؟ (مخاطبة مدام ليموان) : إن قسيس « لاشو دى فون » يطلب منا أن ندله على بنسيون ليقيم فيه ابنه الذى يستعد لامتحان « الليسانس » . . أتعلمين ؟ ان اسمه « فريد » .

كلــود : إذا كنت تعتقدين أننا نستطيع أن نخلى له الحجرة الصغيرة ، وأنها تلائمه . .

إدميــه : ينبغى علــى الشباب أن يتكيف مــع الظروف . . أليس كذلك يا أماه ؟

مدام ليموان : كم أكون سعيدة لو أن فرانسيس لم يرغمنى على

النزول عنده . . ولكنى على كل حال على خير ما يرام .

كلـــود : إذن فسأرد عليه بهذا المعنى .. (يخرج)

المنظر الخامس

ادميه ــ مدام ليموان

مدام ليموان : خبريني يا إدميه ... إن فريد شاب ، ألا تعتقدين أن أسموند . . ؟

إدميــــه : انه شاب مدلل . . ولا أظن أن أسموند يمكن أن تميل إلى هذا الطراز من الشبان . . كلا . . إنه ليس ذلك الشخص الذى يمكن أن أخشى عليها منه . .

مدام ليموان : أتريدين أن تقولى إن لديك مخاوف أخرى ؟

إدميــــه : نعم . . وكلا . . فمثلا هذا السيد الذى غزا قلبك للوهلة الأولى . .

مدام ليموان : يالها من مبالغة !

أدميــــه : حسن . . لن أفاجأ إذا علمت أنه بسبيل إغراء أسموند .

مدام ليموان : (مستنكرة) ولكن . . ماهذا الذى تقولين يا إدميه !

إدميــه : إن أسموند لا تميل كثيراً إلى الأطفال عل وجه العمــوم . . ولا شك أن الــذهاب إلى مدرسة الأحد عبء ثقيل بالنسبة إليها . . وعلى هذا الأساس يجب أن تدركى أن العطف الذى تبديه نحو هاتين الطفلتين يبعث على الدهشة إلى حد كبير .

مدام ليموان : إن أسموند تشبه والدها الذى هو العطف بعينه . وأخيراً أريد أن أقول إن وجود هذا المثل أمام عينيها دائماً لا يجعلنا نعجب إذا رأيناها تعطف على هاتين الطفلتين المسكينتين . . ثم انظرى يا إدميه . . في الحياة . . . (في شيء من الرزانة) ينبغى أن نشعر دائماً بالثقة في غيرنا .

إدميــه : أه ؟

مدام ليموان : دائماً . . ورغم كل شيء . .

إدميــه : بماذا أستطيع أن أجيبك ؟

مدام ليموان : لقد رأيت حولى كثيراً من الأشياء القبيحة ، يا إدميه . . ومع ذلك : وبرغم هذه التجارب المحزنة . .

إدميه : (بصوت متهدج) ماذا تعنين بهذا التلميح ؟

مدام ليموان : (متمالكة نفسها مرة أخرى) أوه . هـــذه قصة قديمة .

إدميـــه : أه . . نعم ؟

مدام ليموان : ولكن . . لقد كان هناك حينئذ ما يدفع إلى اليأس .

إدميـــه : أجل . . أجل . . أجل . . من العجيب جداً أن أن كلود لم يشر مطلقاً أمامى . . .

إلى تلك الحادثة التى يبدو أنها قلبت كيانك في حينها . أليس كذلك ؟ انها سر بلا شك ؟ سر لا يخصه أن ... (تأتى مدام ليموان بحركة تنم عن الرغبة في التخلص من الموضوع)

مدام ليموان : ولكنه من الطبيعى . . إذا كان لديك هذا القلق . . .

إدميـــه : (بعد أن ألقت إليها بنظرة متسائلة) أه . . .

حسن . . إنك تتحدثين الآن عن أسموند . . لم أكن أتابع حديثك . . من المبالغة أن نسمى هذا قلقـــاً . . ولكننى أرتاب . . . هذا كل ما في الأمر .

مدام ليموان : ولكن يبدو لى برغم ذلك أنها تشبه أباها إلى حد . . .

إدميـــه : أترين ذلك ؟

مدام ليموان : في الأخلاق على كل حال . .

إدميـــه : (في لهجة غامضة) أجل ، أجل . .

مدام ليموان : « إن لنفسيهما نبرة واحدة » كما كان يقول زوجي المسكين . .

إدميـــه : لم أحظ بالاستماع إلى نَفْسِ ابنتي .

مدام ليموان : ولكن إذا كان كلود يشاطرك هواجسك . . إذن لكان قد أنبأني بكل تأكيد .

إدميـــه : هل ينبئك كلود بكل شيء ؟

مدام ليموان : بكل ما له الحق في أن يفضي به إليّ .

إدميـــه : ثم إنني عندما أرى هذا المجلد الصغير الذى يبعث به إليك كل أسبوع . .

مدام ليموان : ليس في مقدورى مطلقاً أن أعبر عن الأثر الطيب الذى تركته في نفسى هذه المراسلات . . لقد أعدت قراءة رسائل كلود القديمة منذ عهد قريب . . إن منهـا رسائل جميلة ، ومؤثرة حتى كدت أن أنسخ لك منها بعض الفقرات . .

إدميـــه : ما هو تاريخ هذه الرسائل ؟

مدام ليموان : الأعوام الأولى من زواجك .

إدميـــه : وتقولين إنها مؤثرة ؟

مدام ليموان : كان كلود في هذه الفترة يجتاز أزمة ضمير مؤلمـــة جداً . . وأنت تعلمين جيداً أنه فكر بعض الوقت في التخلى عن منصبه . . .

إدميـــه : كيف ذلك ؟

مدام ليموان : لا أظنك تريدين منى الاعتقاد بأنك لم تفطنى إلى شيء

إدميـــه : كلا ، لم أفطن إلى أى شيء . . إن الأوقات الأولى من حياتنا الزوجية كانت . . . . الواقع أننا لم نكن قـــد وصلنا إلى حد الألفة بعد . . ولكننى أطالب منك مرة أخرى أن تحددى لى بدقة تاريخ هذه الخطابات ، هل بعث بها إليك قبل عام ١٩٢٨ مثلا ؟

مدام ليموان : إنها جميعاً سابقة على عام ١٩٢٨ ولماذا تسألين هذا السؤال ؟

إدميـــه : أمى . . أؤكد لك أنه لا داعى للتظاهر . . فأنت قد اعترفت منذ لحظة بأنك . . صه !

المنظر السادس

الاشخاص انفسهم ــ كلود

كلـــود : أتذكرين عنوان جينو ؟ إنى لا أستطيع العثور على خطابه . . أهو لا يزال شارع كارل ماركس ؟

إدميـــه : يبدو أنهم انتقلوا إلى عنوان آخر . . ألا تذكريـــن يا أماه ؟

مدام ليموان : إن صلتى بهم قد انقطعت . . فقد أصبحوا بلاشـــفة مثل سائر سكان « لا شو دى فون » . (مخاطبـــة كلود) : وكان والدك الذى يتمتع بفطرة سليمة .. يخشى حدوث هذا . .

إدميـــه : من الغريب حقاً ألا تجد هذا الخطاب ، فقد وضعتُه هذا الصباح فى ملف الخطابات التى لم يرد عليها بعد.

كلـــود : آه . . حسن . .

إدميـــه : وبعد يا كلود ! . . ألم أقل لك مرة أخيرة أن تضـــع شيئاً من النظام فى هذا المنزل !

كلـــود : النظام إلى هذا الحد ، إن ذلك يدفعنى إلى الجنون . . سأنهى هذا الخطاب . . ثم أعود (يخرج) .

المنظر السابع

ادميه ـ مدام ليموان

إدميـــه : أما عن أزمة الضمير هذه . . إن كلود من أولئـــك الأشخاص الذين لم يعرفوا مطلقاً بعض أنواع القلق . كل شىء لديه واضح كل الوضوح ، بسيط كـــل

البساطة . . لحسن الحظ ، يا إلهي ! وإلا فكيف كان يمكن أن يكون مصيري ؟

مدام ليموان : إننا ندين له جميعاً بدين كبير . . هذا شيء مؤكد .

إدميه : أوه . . ولكنني لا أتحدث مطلقاً عن الاعتراف بالجميل . . فليس من شأننا أن نشكر شخصاً لأنه على ما هو عليه (في لهجة عميقة) إذن فأنت واثقة أن تلك الأزمة حدثت قبل عام ١٩٢٨ ؟

مدام ليموان : وبعد هذه الفترة حدث عكس ذلك ، وكأنما ساد الهدوء ، وكأنه صار يرى نوراً لم يكن قد رآه من قبل .

إدميه : نوراً ؟

مدام ليموان : نعم . . ذلك النور الذي لا يظهر إلا عندما يسود الظلام تماماً . (فترة صمت) لماذا تضحكين ؟

إدميه : (في صوت خافت) آه . . . يالها من وعود !

مدام ليموان : أية وعود ؟

إدميه : لقد وعدني بألا تعرفي شيئاً على الإطلاق . .

مدام ليموان : ولكن يا إدميه . . في النهاية . .

إدميـــه : أوه . . لم تعد هناك جدوى في محاولة خداعى . . إن هذا السر . . سرنا ، لقد . . . أفشاه ! ! هذا التعس.

مدام ليموان : هو . . تعس ! أتجرئين على إهانته !

المنظر الثامن

الاشخاص انفسهم ـ كلود (ممسكا بخطاب فى يده)

كلـــود : انتهيت من خطابى . : فإذا خرجت كان في وسعك إيداعه صندوق البريد . .

إدميـــه : اليوم يوم الأحد ، وأعتقد أنه لن يصدر اليوم . . هذا إلى أن الأمر لا يتوقف على يوم . . وعلى كل حال تستطيع أن تعطينى إياه . . كم الساعة الآن ؟

(تكشف هذه الحركات المضطربة عن حيرتها الباطنة . .) .

كلـــود : ولكن ماذا ألم بك يا إدميه ؟

إدميـــه : لا شيء . . لاشيء على الإطلاق .

كلـــود : أماه . .

إدميـــه : هل سأجدك عندما أعود بعد قليل ؟

كلـــود : يبدو أن فرانسيس سيأتى . . وسأنتظره .

إدميه : نعم . . ولكن أنت . . أنت . . إنى لن أمكث طويلا . (في صوت أكثر خفوتا) أريد أن أجدك وحدك . . . أتفهم ؟ وسأرتب أمورى هناك . . فمن الممكن أن يحل محلى شخص آخر .

مدام ليمون : أما أنا ، فسأكون قد رحلت عند عودتك يا إدميه .

إدميه : إلى اللقاء . يا أماه ! (تخرج) .

المنظر التاسع

كلود ـ مدام ليموان

كلود : ماذا حدث ؟

مدام ليموان : لقد ارتكبت هفوة طائشة يا طفلى المسكين . ولست أدرى كيف انسقت إلى ارتكاب هذه الهفوة (توشك على البكاء) والغريب في الأمر أنى لم أقع فيها قبل ذلك بزمن طويل . . لقد اكتشفت إدميه منذ لحظة أنك رويت لى كل شىء . (صمت)

كلود : (في عزم) هذا أفضل . . اعلمى يا أمى أن هذه الكذبة التى كذبتها عليها ، كانت تجثم ثقيلة على قلبي . . وكم من مرة أنبت نفسى على اقترافي إياها . . ولولا أنى كنت أشعر بنوع غامض من الخوف لا أدرى له سببا ، لاعترفت لها منذ سنوات بأنني قد . . .

مدام ليموان : يا لها من كلمة . .

كلـــود : لقد كنت قد تعهدت بألا أخبرك بشيء .

مدام ليموان : لأنها طلبت منك ذلك . . ولكن على أى حق لها في مثل هذا الطلب ؟

كلـــود : لا يهم . . فقد وعدت.

مدام ليموان : تذكر ، على أية حال . . . أنها هددت بالرحيل . . بل لعلها كانت . . ما علينا ! إن الوعود التي نقطعها لشخص مريض ! !

كلـــود : مهما يكن من أمر ، فإنه كان يجب عليّ منذ أن استردت إدميه صحتها ، ومنذ أن شفيتُها ، أن أفضى إليها بكل شيء .

ولا بد أنها عندئذ كانت ستفهم . . وأنت نفسك تقولين دائماً إنه ينبغى أن يشعر المرء بالثقة . . هذا إلى أنى عندما قطعت هذا الوعد على نفسى . . كنت على استعداد للوفاء به ، ثم حدث ذات يوم . . ولست أدرى لماذا . . . إنى لم أشعر بالوحدة كما اعتدت أن أشعر . . فكتبت إليك بكل شيء .

مدام ليموان : لا داعى للاعتذار .

كلـــود : لقد عاملتها كما أعامل طفلة .

مدام ليموان : ثم أخيراً يا كلود . . منذ ذلك الوقت . .

كلـــود : هذه النظرية التى بدت بها عندما هممت بالخروج. أوه ! لقد عرفتها جيداً . . أمى ، إن كل ما ربحته بعد مشقة كبيرة ، لعله قد فلت من يدى .

مدام ليموان : بسبب غلطتى أنا .

كلـــود : كلا . . إننى وحدى المذنب . . وسأطلب منها الصفح فوراً .

مدام ليموان : إنك تذل نفسك إلى هذا الحد أمام تلك التى . . . أما أنا . . . فاعلم تماماً أننى لا أستطيع الصفح عنها .

كلـــود : الصفح يا أماه . . لامعنى له إلا بينى وبينها . .

مدام ليموان : إنها ليست جديرة بشخص مثلك .

كلـــود : عندما أفكر في كل ما حمله إلى هذا الصفح . . هذا السلام الداخلى . . هذا الشعور بالقوة التى تريد وتعمل معك . . لا بدلا منك . . منذ ذلك اليوم أضاءت الدنيا أمام ناظرى . . أما قبل ذلك فقـــد كنت أتخبط في الظلام . . إنها المحنة يا أماه . . وقبل هذه الأشهر الرهيبة كانت هذه الكلمة جوفاء عاطلة من المعنى . . ولكن عندما يعانى المرء ما عانيته أنا . .

مدام ليموان : ولكنها لم تشعر بشىء من هذا .

كلـــود : إن أفضل ما في هذه المحنة . . هو أنها لم تفهم

شيئاً . . فقد كنت وحدى تماماً . . أمام الله . وشيئاً فشيئاً عندما أحسست أنها استردت الثقة بنفسها . . ما أعجب الطريقة التى كانت تنظر بها إلى حين تعتقد أننى لا أنتبه إلى شيء . !

وبالذلك النداء الأبكم في عينيها ! لقد كنت كأنما أساعد شيئاً على الحياة . شيئاً هشاً . . . شيئاً كل ما فيه يضعف الأمل في بقائه . . وفي الأيام الأولى عند عودتى في المساء ، كنت أنتظر دائماً أن أفاجأ بأنها قد رحلت لتلحق به . وأنا على يقين من أنها قد فكرت زمناً طويلا في أن تفعل ذلك . . وهى تعتقد أنها كانت . . . تفكر في ذلك . . ولكن الواقع أن قوة ما كانت تفصل بينها وبينه . . وذات يوم أحسست فجأة وعن يقين أن كل شيء قد انتهى . . وأنها لم تعد تفكر في ذلك . . وأننا قد كسبنا المعركة . . لا داعى للبكاء . . يا أماه . . فما كان ينبغى أن أثير كل هذه الذكريات . .

مدام ليموان : إنها ستؤذيك من جديد ، يا بنى . .

كلــود : كان ذلك ممكناً فيما مضى . حينما لم نكن قد تعذبنا أما الآن فإننا لم نعد نستطيع . فقد حمل كل منـــا.

صليب الآخر . . وكلانا قد نزفت دماؤه من أجل الآخر . . . فنحن . . . كأنما ازددنا ثـراء . . وأضبحنا أفضل . . نعم . . أفضل . . .

مدام ليموان : آه . . إنك تعبر عن هذا كله تعبيراً رائعاً . . (تجفف عينيها) .

كلـود : الجرس يدق دقتين . . لا بد أنه فرانسيس . . أرجو المعذرة . . فقد خرجت الخادمة، ولا بد من أن أفتح الباب بنفسى (يخرج) .

مدام ليموان : (تناجى نفسها وحدها) إنه طيب . . وكريم جداً . . (تهز رأسها هزة تعبر عن الأسى)

المنظر العاشر

الاشخاص انفسهم ـ فرانسيس

كلـود : كان يجب عليك يا عزيزى أن تتناول معنا طعام الغداء

فرانسيس : كان على أن أعود مريضاً في « جوى أن جوزا » ولم أعد . إلا في الساعة الثانية بعد الظهر .

مدام ليموان : ومتى تناولت غداءك ؟

فرانسيس : منذ نصف ساعة في « مشرب أتوماتيك » . (موجهاً

الحديث إلى كلود) أيسير كل شيء على ما يـــرام ؟ لقد رأيت لتوى أحد أعضاء مجمع الأساقفة ، وقد حدثني عنك . . يخيل إلى أنهم يحلونك مكاناً رفيعـاً من تقديرهم . ويبدو أنك قد سحرت الأبرشـيـة كلها ، وأن أعضاء كنيستك أصبحوا لا يقسمون إلا بك .

مدام ليموان : لماذا لا تأتى للاستماع إليه ؟

فرانسيس : ماذا تريدين ؟ إن هـذا لا يدخل في اختصاصى . (مخاطباً كلود) ألم تخطرك أمى بأن لدىّ ما أقولـه لك ؟

كلـــود : بلى . . ولكننى لا أدرى شيئاً مطلقاً عن الموضوع .

فرانسيس : اسمعى يا أماه ! في وسعك ، بطبيعة الحال ، أن تظلى معنا ، كما قلت لك . . ولكنك تعلمين أننى مرغم على أن أعالج مع كلود حديثاً شائكاً إلى حدما ، ولا أريد أن أقلق بالك بلا جدوى . .

مدام ليموان : إذا لم يكن في وجـودى ما يزعجكما ، . . فإننى أفضل . .

فرانسيس : الأمر يتعلق . . بميشيل سانديه .

كلـود : أه ! (تصدر حركة عن مدام ليموان)

فرانسيس : لقد حضر ميشيل ساندييه لا ستشارتى منذ عهدقريب.

مدام ليموان : هذا غريب ! .

فرانسيس : ليس في هذا ما يدعو إلى الغرابة ، فهو يعلم عن طريق المجلات الطبية ، التى يبدو أنه يثابر على قراءتها ، أن أبحاثى تتعلق – على وجه الخصوص – بداء خطير ، هو مصاب به حالياً .

كلود : إذن، فالأمر يتعلق بداء . . .

فرانسيس : (بصوت خافت) نعم . . داءلاعلاج له في الظروف الحاضرة (بصوت مرتفع) ولكن . . . هناك سبب آخر دفعه إلى زيارتى . . أنا بالذات . .

مدام ليموان : أه !

فرانسيس : أمى . . إنك ترين جيداً أن كلود هادئ الأعصاب .

مدام ليموان : إن هدوء أعصابه يتجاوز كل حد . . . أما أنا فيكفيني أن أسمع اسم هذا التعس لكى . . .

فرانسيس : لم يبق أمام ميشيل ساندييه في الحيـاة غـير وقت قصير . . وهو يعلم أنه ضائع . . وينبغى أن أقول إنه يواجه موقفه في صفاء وهدوء ؛ أثارا بالغ دهشتى . .

مدام ليموان : من المحتمل أن يكون ذلك نوعاً من التصنع .

كلـــود : أماه !

فرانسيس : لقد عاش منذ أعوام حياة لم أطلب منه أن يتمادى فيها ، ولكنها ـــ بطبيعة الحال ـــ غير مقطوعة الصلة بالحالةالتى هو عليها الآن .

كلـــود : وبعـــد ؟

فرانسيس : ويبدو أنه قد انساق إلى تأمل حياته . . . إلى استرجاع بعض ذكريات ماضيه . . أو لعله على كل حال . .

كلـــود : إن الأمر يتعلق بأسموند ؟

فرانسيس : نعم .

مدام ليموان : أخيراً . . ألا تريد أن تقول . . ؟

فرانسيس : لقد بدأ في حديثه معى بغاية الحذر . . . ولكننى كنت أدرك أنه سينتهى إلى ما انتهى إليه . . فقد قال لى ، عرضاً ، إنه قد تعرف عليك منذ زمن بعيد ، وإن الفرصة سنحت لـــه للاستماع اليك في كنيسة من الكنائس. . . لست أدرى ايها . . .

كلـــود : أتراه استفسر عن إدميه ؟

فرانسيس : لقد سألني في بساطة عما إذا كانت زوج أخي هي الأخرى ، على مايرام . وكان من الصعب عليه أن يمضي إلى أبعد من ذلك . أولا : لأنه لم يكن لديه من الأسباب مايحمله على الاعتقاد بأني أعرف الماضي بأية صورة من الصور . . فكنت أرى هذا البائس يناضل مع الأسئلة التي تضطرب في صدره ولا تجد مخرجاً . . . وينبغي ألا يوجه إليّ اللوم . إذا كنت قد نصبت له الشرك .

مدام ليموان : ولكن ماهذا يافرانسيس ! . .

فرانسيس : قلت له في بساطة : ولكن هذا صحيح . . إذ يبدو أني التقيت بك ذات مرة في « سان لودى تالفاس » — عندما كان أخي قسيساً هناك — ولم أزد على ذلك شيئاً ، ولاشك أنه من أعجب الأشياء تلك القوة الكامنة في اسم من الأسماء . . فقد شحب لونه ، واستولى عليه الوجوم وغض من بصره هكذا ، ثم قال : نعم . كان لى منزل في « سان لو » . وتظاهرت أنا بأني تذكرت فجأة وقلت : هذا هو . . أجل . . هذا صحيح . . لقد تذكرت الآن ذلك المنزل الكبير الذى يشرف على القرية أما زالت تملكـــه ؟ فأجاب

كـــلا .. لقـــد بعته . قلت : كان ذا موقـــع جميل وعاد إلى الصمت مرة أخرى . . وكنا واقفين. وبالطبع كان الكشف قد انتهى . . فخطوت خطوة صوب الباب ، ولكنه لم يتحرك . فسألته : ألديـــك شيء آخر تطلبه مني ؟ فقال : « أجل » وكأنه يهمس وتناول يدى ، ونظر إلى عيني في قلق وكأنه يريد أن يستشف ما أعام . . فلم أختلج . . ثم قال : أصحيح أنك لا تدرى شيئاً عما أريده منك؟ فبماذا كان ينبغى أن أجيبه ؟ آه لو علمتما إلى أى حد لم أكن أريد أن أستمر وقتاً طويلا في مزاولة لعبة الاستخفاء مع هذا المحتضر . . .

مدام ليموان : إنى واثقة من أنه ليس مريضاً بتلك الصورة التى تريد أن توحى بها .

فرانسيس : إنه لن يعيش أكثر من بضعة أشهر . . وهو يعلم ذلك

كلـــود : ثم ؟

فرانسيس : حسن . لقد أخبرته بألا حاجة له في أن ينبئنى بشيء . . أوه . . إن كلود سيفعل ما يبدو له صواباً . . إنه حر تماماً . . وأعتقد أننى لم أكن أستطيع أن أتصرف على خلاف مافعلت . .

كلـــود : (مخاطباً فرانسيس) : لقد كنت على صواب . .

مدام ليموان : كان من المفروض أنك لا تعلم شيئاً . . هذه خيانة ضدى .

كلـــود : يا له من نفاق !

فرانسيس : أختم كلامى قائلا : إنه يطلب رؤية ابنته قبل موته .

مدام ليموان : وأى حق لديه قِبَل هذه الفتاة ؟

فرانسيس : هذه مسألة أخرى .

مدام ليموان : بل هذه هى المسألة . . وفضلا عن ذلك ليس لك حق في أن تأخذ هذه الرسالة على عاتقك .

كلـــود : أمي . . إنك كثيراً ما ترددين . . « إن لنا الحق . . وليس لنا الحق . . . » .

مدام ليموان : (مخاطبة فرانسيس) إنك تعرف أخاك، وتعرف أنه طيب جداً ، وكريم جداً . . وكنت أقول له ذلك منذ لحظة .

فرانسيس : إنك في هذه اللحظة تحكمين مقدماً على قرازه . .

مدام ليموان : أوه . . إننى أعرف ابنى كلود .

فرانسيس : ينبغى ألا نؤثر عليه .

مدام ليموان : ولن يمنعني أحد من إبداء رأيي .

فرانسيس : هذا أمر لا معنى له .

مدام ليموان : رأيي القاطع . . .

فرانسيس : إن أحداً لا يستطيع أن يضع نفسه في مكانه . .

مدام ليموان : أمه تستطيع ذلك . أيريد أن يرى ابنته ؟ لا أظن أنه يزعم لنفسه الحق في أن نكشف لصغيرتنا العزيزة . .

كلــود : إنه يستطيع أن يرى أسموند هنا باعتباره شخصاً عادياً جاء لزيارتنا .

مدام ليموان : ليس لك أن تسمح لهذا الشخص بالدخول في هــذا المكان . . هذه فضيحة . . هذا عمل غير أخلاقي . وأخيرا ، يا فرانسيس .

فرانسيس : أنا لم أقل شيئاً .

كلــود : لقد عفوت يا أمي .

مدام ليموان : لعلك عفوت عنها . .

كلــود : أجل . . عنها . . بكل تأكيد .

مدام ليموان : ولكنك لم تعف عنه .

كلــود : هذا معناه أن الحياة لم ترغمني بعد على أن أطلب لــه هذا الصفح من نفسي .

مدام ليموان : لو لم تسنح له الفرصة لأن يكون مريضاً . . . . .

فرانسيس : لك الله يا أماه !

مدام ليموان : وهل تعتقد أنه سيقنع في تلك الزيارة بروية أسموند؟ يعلم الله أى ادعاء سيدعيه عقب ذلك .

كلـــود : إنها محنة تعرض لى ، ويجب على أن أحياها يوماً إثر يوم .

فرانسيس : إلى هنا ولن أتبعك . . يا عزيزى فمهما يكن من شيء ، لا يصح للمرء أن يستسلم للدوامة . . بل يجب أن أن تحتفظ بحريتك في التصرف كاملة . .

كلـــود : أنصت إلى . . إننى لا أحتمل الاستمرار في مناقشة هذا الموضوع دون علم « إدميه » .

فرانسيس : ومع ذلك فمن الطيش أشد الطيش أن تطلعها على جلية الأمر . . أه . . فكر قليلا . . ياصغيرى . . إنك تجازف بأن تقلب كيانها بصورة خطيرة . إنها حالة أعتقد أنك تستطيع وحدك أن تتخذ فيهـــا قرارك .

كلـــود : لست من هذا الرأى .

فرانسيس : افهمني جيداً . . إننى لا أخشى لحظة من أن وجودها في حضرة هذا البائس قد يشعرها بظل مما لا أدرى . .

كلـود : فرانسيس !

فرانسيس : ولكن . . بشيء من الاشمئزاز . . ونوع من الرعب .
ثم فكر في الأصداء الممكنة لمثل هذه الصدمة على
جسم رقيق . . أرجو معذرتك . ياعزيزى ،
ولكنك تعلم تماماً أن طبيعة زوجتك ليست من
الطبائع التى يمكن أن نسميها متزنة . . .

وأنت تريد ، بطيبة قلبك أن تعرضها لمثل هذه
المجازفة ؟ فالمسألة لا تنحصر فقط في أن تراه ثانية . .
بل في مجرد أن نعيد على مسامعها ما قلته لك . . .
وأنا أجد ذلك . . .

كلـود : (متألماً) إن أسموند ابنتهما . . ثم . .

كلا . . إننى لا أسمح لنفسى بأن أتحمل عنها هذه
المسئولية . .

فرانسيس : بل اسمح . . بل اسمح . . وسيأتى ميشيل متعللا
بأية علة ليراك يوماً تكون زوجتك قد خرجت فيه . .

مدام ليموان : سأنصرف . .

فرانسيس : أماه . . ما هذا ! . . وتكون أسموند في المنزل
ذلك اليوم . .

كلـــود : وهل يتحتم على أسموند أن تخفى هذه الزيارة عن أمها ؟

فرانسيس : هنا ... إشكال بسيط ، أوافقك على ذلك .. ولا بد من البحث عن مخرج ..

كلـــود : لن أبحث عن هذا المخرج .

فرانسيس : نعم .. حسن .. إننى لن ..

كلـــود : بدلا من الكذب على إدميه مرة أخرى .. أرانى أوثر الرفض القاطع ..

فرانسيس : في هذه الحالة . من الأفضل أن ترفض .. فالواقع أن هذا البائس المسكين ..

كلـــود : إن الأمر يتعلق بعلاقتنا كلها التى أصبحت في الميزان . فإذا نجحت في أن أخلق بيننا جواً من الثقة ، من الألفة .. فأنتم ...

فرانسيس : إنك تخاطر بأن تضع هذا كله موضع الشك مرة أخرى .

كلـــود : وكيف ذلك ؟

فرانسيس : لست أدرى شيئاً .. ولكننى أشعر بذلك .

مدام ليموان : وأخيراً .. أهو قد اهتم بأسموند طوال تلك السنين ؟

فرانسيس : ماذا تريدين ؟ لقد كان عنده ما يعوضه عن ذلك . . . أما الآن فالمسألة أقل غرابة . . ثم يجب أن ننظر إلى هذا كله على أنه فكرة متسلطة على مريض . .

كلـود : (مخاطبا فرانسيس) لقـد جرحتنى منـذ لحظة عندما تحدثت عن إدميه بهذا الأسلوب . ويبدو لى مع ذلك أنها قد أثبتت قيمتها . . انظر إلى حياتها . . أمن الممكن للمرء أن يؤدى واجباته على وجه أكمل مما تفعل هى ؟ . . أم من الممكن أن يحيا الإنسان حياة أملأ أو أنفع من حياتها ؟ ؟

فرانسيس : وربما كان هذا بالذات هو ما يخيفنى .

كلـود : كيـف ؟

فرانسيس : إنها هذه الحياة المثالية . . أجل . . هذه الصرامة وهذه الاستقامة هى التى تقلقنى . إن هذا كله . . ، على ما أتوهم ، ليس إلا نوعاً من النوم . . ويخيل إلى أحياناً أن زوجتك تنام حياتها (لاينتبهان إلى أن إدميه قد دخلت ، ثم يكتشفان بغتة أنها موجودة) هيه . . طاب يومك يا إدميه (صمت .)

المنظر الحادى عشر

الاشخاص انفسهم ـ ادميه

مدام ليموان : (في تسرع مصطنع) ماذا عن اتحاد الفتيات ؟ أراك قد عدت في ساعة مبكرة يا إدميه . .

إدميه : لم يكن أحد في حاجة إلى . . .

مدام ليموان : من المؤسف أن تكونى قد ضيعت وقتك عبثاً . . . ولكن من حسن الحظ أن أوتوبيس رقم ٢٨ مريح جداً (صمت) أتمطر السماء في هذه اللحظة ؟

إدميه : لست أدرى . . ربما سقطت بضع قطرات ولكنى لم أنتبه لذلك . . كان يبدو عليكم الانفعال حين دخلت . .

مدام ليموان : ولكن هذا معناه . . .

كلـود : سأقص عليك .

مدام ليموان : أجل . . أجل . . سيقص عليك .

إدميه : (مخاطبة فرانسيس) ربما أرسلت إليك يوما ما طفلة صغيرة تبدو عليها أعراض مرض السل .

فرانسيس : (ناهضاً) أنا في خدمتك . . ألا تأتين يا أماه ؟

إدميه : أتغادرنا بهذه السرعة ؟

مدام ليموان : متى سنلتقي ؟

فرانسيس : تعالوا للعشاء عندي يوماً ما . .

مدام ليموان : ولكن ألا تخشى أن تكون أوجيني . . ؟ إنها لاتبدو الآن على ما يرام . . . وحضور ثلاثة من الضيوف .

(يتلاشى الصوت . . يرافقهما كلود وإدميه ثم لايلبثان أن يعودا) .

المنظر الثاني عشر

كلود ـ ادميه

كلود : يسرني أنك عدت مبكرة . .

إدميه : اصغ إلي لحظة ياكلود .

كلود : (شاخصاً اليها) ـ أجل . . إنني أعلم .

إدميه : فيما يخص والدتك ؟

كلود : نعم . . .

إدميــه : لقد حيرني ذلك كثيراً . . كلا . . دعني أفرغ من كلامي ، ياحبيبي . (تتناول راحتيه) ثم إني قد فكرت جيداً . . . لقد كنت مخطئة في ذلك الحين حين طلبت منك هذا الوعد . . فقد كان مجرد التفكير في أن يعرف أحد شيئاً يبدو لى مخيفا بصورة مزعجة .

كلــود : أجل . . أجل .

إدميــه : وخاصة . . أمك . إنها تقسو في حكمها عليك ، برغم ما يبدو عليها من مظهر التسامح .

كلــود : إدميه !

إدميــه : لا يهم . . ولا داعى لأن نطرق هــذا الموضوع مرة أخرى . . هذا كل ما في الأمر . .

كلــود : حبيبتى . . هذا كرم عظيم من جانبك . وأخشى أن تكونى . .

إدميــه : لا تتحدث عن الكرم . . أليس كذلك . . ؟ من الواضح أنك لاتدين لى بشيء . ومن الجنون أن أعتقد عكس ذلك .

كلــود : إننى عندما أخذت على نفسى ذلك العهد . . أؤكد لك . .

إدميـــه : أجل . . في تلك اللحظة . . ولكن لا داعي للجدال . .
وأكرر لك أنني أفهم موقفك ، أو على أية حال . .

كلـــود : اتصفحين عني ؟.

إدميـــه : لا تسخر مني يا كلود

كلـــود : لقد كنت أقول لأمي منذ لحظه . . .

إدميـــه : اكنتم تتحدثون عن ذلك أنتم الثلاثة حينما دخلت ؟
هيا ، إنني أفضل ألا تجيب على . . إذن لقد كان
يعلم هو الآخر ، بطبيعة الحال . (صمت . ؛
تتقلص أصابعها) .

كلـــود : عندما تلومينني على أنني قد أسأت استغلال هذا
النوع من التعالي المزعوم .

إدميـــه : أنا لا ألومك على شيء . . إن جوهر . أي موقف
من المواقف يبقى على ما هو عليه (تضغط على
الكلمة) لقد « صفحت » عني رغم كل شيء . .

كلـــود : ياحبيبتي . إنك تعلمين معنى هذه الكلمة في نظري . .
وقد شرحت لك . . .

إدميـــه : نعم . لقد شرحت الى أشياء كثيرة . . .

كلـــود : يالتأنيب الضمير الذي تشعرينني به ! فبغير هذه
الكذبة .

إدميـه : هناك سؤال واحد أريد أن أوجهه إليك . . إن أمك قد أشارت أمامي منذ لحظة إلى أزمة ضمير اجتزتها في فترة معينة . . ولا أريد أن أعلم ذلك لأعاتبك على أنك لم تضع ثقتك في . . وإنما أريد أن أعرف التاريخ فحسب .

كلـود : كيف ؟

إدميـه : في أية فترة عانيت تلك الأزمة ؟

كلـود : هذا شيء لا يمكن تأريخه كما نؤرخ مرضاً جسمياً .

إدميـه : لماذا يبدو عليك الارتباك ؟

كلـود : كلا على الإطلاق . . لابد أن يكون ذلك في سنة ١٩٢٧ .

إدميـه : أى في فترة لم يكن قد راودك فيها أى شك بعد ؟

كلـود : نعم .

إدميـه : وتبددت هواجسك عقب ذلك مباشرة ؟

كلـود : ولكن . . تفهمين جيداً أن ذلك لم يكن أمر يوم أو شهر . . . لقد كان أشبه بتحول بطيء لذاتي . . بنوع من التفتح .

إدميـه : ألم ينفعك وجودى بشيء ؟

كلـود : كيف ؟

إدميـه : أنا . . وما فعلته ضدك ؟ . . خيانتى لك ؟ هل هى

مجرد مصادفة أن تكون بعد أن اكتشفت الحقيقة ، قد استعدت إيمانك بالله ؟

كلـــود : يستحيل على أن أجيبك . . مجرد مصادفة . . كلا . . إنها ليست مصادفة بكل تأكيد . .

إدميـــه : هذا كل ما أردت أن أعرفه .

كلـــود : إننى لا أعتقد بوجود المصادفة في هذا المجـال (إدميــه لا تجيب ، وتذهب للبحث عن شغل للإبرة وتنهمك في العمل فيه) . . كم كنت أود لو كان في مقدورى أن أشرح ما كان يدور في نفسى حينذاك .

إدميـــه : ربما كان ذلك أمراً عسيراً جداً .

كلـــود : في الأيام الأولى من زواجنا . .

إدميـــه : (ترفع . رأسها وتنظر نحوه) ـ تريد أن تعود إلى هذا الموضوع ؟

كلـــود : كنت أشعر كأنى لن أصل إليك مطلقاً . وكنت أحس دائماً أنى على الهامش . . . إنك لا تصغين إلى .

إدميـــه : ولكننى . . . أصغى إليك . . . نعم . .

كلـــود : كان انعدام هذا الاتصال بيننا قاسياً أشد القسوة . .
وكان يبدو لى أنه تنقصنى الموهبة الجوهرية .
وتذكرين إلى جانب هذا خيبة آمالى في «سان لو»
مع طلابى، وقصة الصغيرة . « جنفرييه Génévrie »

إدميــــه : (منحنية دائماً على عملها) — إننى لا ألمح الصلة
بين هذا وذاك . .

كلـــود : ولكن الأشياء جميعاً مترابطة . هذه الشكوك التى
تتحدثين عنها ، كانت في قرارة أمرها منصبة على
مواهبى ، على استعدادى إذا شئت .

إدميــــه : نعم . . وكنت أنا أحد أسباب فشلك .

كلـــود : تعلمين إلى أى حد أنا قليل الثقة بنفسى . .

إدميــــه : كلا . . لا أعلم . .

كلـــود : وهكذا حينما لايؤمن المرء بنفسه تبدو له الأرض
وكأنها تميد تحت أقدامه . . . فلا يبقى شىء . .
طبعاً ، لم أكن أشعر بذلك طول الوقت . . وإنما
كان ذلك أشبه بنوبات من القنوط يزداد ترددها
علىّ بالتدريج ، وكانت كل نوبة منها تتركنى
متهالكا . . ضعيفاً ، خائفاً من ضعفى . . أتفهمين
ذلك ؟

إدميـــه : فهماً غامضاً .

كلـــود : وعندئذ حدثت تلك . . (يشير بيديه) .

إدميـــه : . . . تلك المحنة .

كلـــود : وفي هذه المرة كان الفراغ المطلق حقاً . . كنت وحدى تماماً . . فقدت زوجتي وطفلى في وقت واحد . . وخيل إلى أننى لن أستطيع المقاومة . . هذا حق . . وأنت تعلمين ذلك . . ثم أخذ النور يظهر رويداً رويداً . . .

إدميـــه : بطبيعة الحال !

كلـــود : ماذا ؟

إدميـــه : كل ما أذكره إنه ليست هناك طريقتان للحديث عن هذه الأمور .

كلـــود : إن ما حدث عندئذ كان له معنى . . كان أشبه بنداء نفذ إلى أعماق نفسي . وكان ينبغى على أن أفهمه .

إدميـــه : لقد كان الله هو الذى يكلمك .

كلـــود : لقد وضعت لأول مرة وجها لوجه أما نفسى . . وكنت على وشك أن أكتشفت بمن يتعلق أمرى . .

وربما كان ذلك الشعور بضعفي اللانهائي هو الذي أنقذني .

إدميـه : الموضوع كله . هو أنك كنت أنت وحدك المهم . . هذا مفهوم . .

كلـود : لقد صليت بحماس لم أعرفه من قبل . .

إدميـه : من أجل من كنت تصلى ؟

كلـود : من أجلنا نحن الاثنين . . لكى يمنحنى الله القوة على أن أكون منقذاً . . وشيئاً فشيئاً أحسست كأن عذابى يتحول إلى قوة حية فعالة . .

إدميـه : نعم . . بالاختصار . .

كلـود : ماذا ؟

إدميـه : لا شيء . . إننى أرى هذا كله رائعاً .

(صمت) . .

المنظر الثالث عشر

الأشخاص أنفسهم ـ اسموند

كلـود : هل قمت بنزهة طيبة ؟

إدميـه : من الذى فتح لك الباب ؟

أسموند : لقد عادت فيليسى . . والسماء تمطر . . وكانت الفتاتان متعبتين . . واكتفينا بهذه النزهة .

إدميه : وماذا ستفعلين الآن ؟ . .

أسموند : جئت أبحث عن كتاب لأطالع لهما فيه قليلا .

إدميه : لا تنسى موعد مدموازيل « نجانى » فى الساعة الخامسة ، يا أسموند

أسموند : (بعصبية) ماذا هناك يا أماه ؟

إدميه : ألا تعتقدين أنه من الممكن الإيحاء إلى هذا السيد باستخدام مربية ؟

أسموند : وأخيراً ، يا أمى . . .

إدميه : إنك تظهرين فى هذه الناحية تساهلا ليس من طبعك.

أسموند : أبى . . إننى أرتضيك حكماً . .

إدميه : هاتان الطفلتان لا تتميزان بأى ميزة ، وقد قلت ذلك أنت نفسك . .

أسموند : إنهما لطيفتان جداً .

إدميه : لقد قررت أن أكتب إلى السيد « ميجال » بأن مشاغلك لا تسمح لك بتكريس وقتك لطفلتيه . .

أسموند : سيكون ذلك كذباً .
إدميه : بل سيكون الصدق عينه .
أسموند : انى . . اريد ان تسمعني هذا المساء خمس دقائق . . خمس دقائق فحسب . . أليس كذلك ؟ (يخرج) .

المنظر الرابع عشر

كلود ـ ادميه

كلود : لست في حالتي الطبيعية على الإطلاق .
إدميه : ومع ذلك ينبغي أن يرى المرء في وضوح (صمت) .
كلود : (في صوت متردد) عندى شيء آخر أريد أن أقوله لك يتعلق بما جاء فرنسيس لكي ينبئني به منذ لحظة
إدميه : حسن
كلود : (وكأنما يخاطب نفسه) يا إلهى ! ربما كان هو على حق . . ولكنني لا أستطيع .
إدميه : إنه أمر خطير إذن ؟
كلود : إنه أمر يبعث على القلق .
إدميه : (تقترب منه في حنان) ما هو ؟
كلود : أه . إنني في حاجة إلى حنانك .
إدميه : (في مرارة) . . لو كنت على ثقة من ذلك . .
كلود : حسن.. لقد ذهب لاستشارة فرانسيس.. إنه مريض جداً

إدميـــه : عمن تتحدث ؟ (يتفرس كلود في وجهها) أه . .

كلـــود : ويقول فرانسيس إن حالته خطرة إلى أبعد حد، حتى لا يكاد المرء يتعرف عليه ، وهو يطلب رؤية الفتاة مرة واحدة .

إدميـــه : يجب الرفض .

كلـــود : لست أدرى .

إدميـــه : (في إصرار) يجب أن ترفض .

كلـــود : ولماذا لا بد من الرفض ؟

إدميـــه : لا أستطيع أن أشرح لك ، ولكننى واثقة مما أقول . . الحقيقة أن ذلك ممكناً . وأنت تشعر بذلك جيداً .

كلـــود : أصغ إلى يا حبيبتى . . ليس من حقى أن أخفى عنـــك الحقيقة . إن فرانسيس يقول إن أيامه معدودة . . افهمينى جيداً . ربما كنت على صواب لست أدرى. ولكن . . هل أنت متأكدة . . من أن ذلك لايكون نوعا من الجبن ؟ (إدميه ترتجف) إنك لن تريـــه . سيأتى فى زيارة ذات يوم تكونين قد خرجت فيه من المنزل .

إدميــه : لقد رتبت كل شئ في رأسك . . ولكن . . ولكن هذا مخيف . . من تكون إذن ؟ إنك لست إنساناً .

كلــود : إنه شخص يحتضر .

إدميــه : إذن ، لقد امّحى الماضى بالنسبة لك وأصبح كأن لم يكن . . أما أنه كان يحتضنى بين ذراعيه . . ويضمنى إلى صدره . .

كلــود : اسكتى :

إدميــه : أوه . . إنك تستطيع أن تستمع إلى كل شيء . . ليس البرود هو الذى ينقصك حينما يتعلق الأمر بى . .

كلــود : ولكن هذا فظيع يا إدميه . . هذا الذى تقولينه . .

إدميــه : إن عظمة النفس الرخيصة هذه . . تفزعنى . .

كلــود : الرخيصة ! ولكننى عندما غفرت لك . .

إدميــه : إن لم تكن قد غفرت لى لأنك تحبنى ، فماذا تريدنى أن أفعل بهذا الغفران ؟

(تجهش بالبكاء) . .

الفصل الثانى

(مساء ذلك اليوم نفسه . حجرة مكتب كلود . وهى حجرة مستطيلة ضيقة ذات رفوف عالية للكتب مليئة بالمجلدات الضخمة . . فى الوسط مائدة مغطاة بالأوراق . . وقد وضع عليها « مصباح بترول » . الساعة الثامنة . كلود جالس يقرأ . . دقات على الباب) . . .

المنظر الاول

كلود ـ اسموند

كلـــود : من هناك ؟

أسموند : (وراء الكواليس) ــ إنه أنا . . يا أبى .

كلـــود : ادخلى . . ياصغيرتى (أسموند تدخل من الجهـــة اليسرى للمسرح) حسن . ما هذا ؟ ماذا هناك ؟ ألا تعتقدين أولا أنه مما قد يجرح أمك أن تطلبى الحديث معى على انفراد ؟ (حركة من أسموند) لو أننى طلبت إليها الحضور أيضاً ، فماذا تقولين ؟

أسموند : في هذه الحالة سأنسحب أنا .

كلـــود : أسمونـــد !

أسموند : لقد جئت إليك بخصوص أمي بالذات . . أمي وأنا . . وحينئذ، فلعلك قد فهمت، يا أبي. إنني لست سعيدة

كلـــود : عزيزتي

أسموند : أوه . . إنني لست سعيدة على الإطلاق . لقد قلت ذات يوم في إحدى الصلوات ، إن السعادة تكمن في أعماق نفوسنا . .

كلـــود : أنت تعلمين جيداً أن هذا حق .

أسموند : أما بالنسبة إلى أنا، فليس ذلك حقاً على كل حال. . يبدو أن نفسي لا تنطوي إلا على كل ما يجعلني أتعذب. وإذا كان فيها شيء آخر ، فلابد أن يكون مختفياً إلى درجة . . أوه ! .إن أمي تعلم جيداً أنني لست سعيدة ، وأعتقد أنها لاتحبني .

كلـــود : ولكن ماهذا الذي تقولين . .؟ أهناك سبب خاص ؟

أسموند : بل الأحرى أن الأسباب كلها تحمل على ذلك . أرجو عفوك . . فأنا أؤلمك في هذه اللحظة .

كلـــود : عزيزتي . . يجب أن تصارحيني بكل شيء . . ولماذا

لم تتحدثى الىّ منذ زمن بعيد ؟ ألا تعتقدين أن ذلك أمر فظيع بالنسبة لى ؟

أسموند : أرجو المعذرة .

كلــود : ثم إنه يجب على أن أرى بوضوح مايدور في أعماق نفسك . . فإذا كان المرء لايستطيع أن ينفذ إلى أقرب القلوب إليه . .

أسموند : لابد أن يكون راجعاً بالذات إلى أني قريبة منك أكثر من اللازم . إنك تسألنى لماذا لم أتحدث إليك من قبل . . ومن الصعب على أن أجيبك . .

كلــود : (في مرارة) من المحتمل أنك لاتثقين بي .

أسموند : أوه ! يا أبي أنا لا أثق إلا بك

كلــود : وأمك يا أسموند ؟

أسموند : أمي إنسانة لاتسعفك بالمرة . . .تحكم على كل أقوالنا وأفعالنا بطريقة تشل حركتى ، ولكن إلى حد ما . . . وأنت مشغول جداً . . ولديك هموم كثيرة ، هذه آلام تريد أن ترفعها عن كاهل الناس . . وتبدو دائماً كما لو كان أحد قد اغتصبك من غيره .ثم من الواضح أنه إلى جانب كل هذا الذى تراه . .

كلــود : لقد قلت لى ان جميع الأسباب تتضافر على إتعاسك..

أسموند : أريد أن أقول إنني عندما أنظر أمامى لاأرى شيئاً . . إن الحياة لا تجتذبنى .

كلـــود : كيف ؟

أسموند : نعم . . الحياة بالنسبة إليك عبارة عن هبة مـــن الله. أليس كذلك ؟ هى شىء عظيم ، رائع . . الحيـــاة ! إنك عندما تنطق هذه الكلمة ، يتهدج صوتك . .أما أنا فعلى العكس من ذلك تبدو لى شيئاً يبعث عـــــلى السخرية ، شيئاً تافهاً . إن حياتى . .

كلـــود : ومع ذلك ، فأمامك . . (يبدى حركة) .

أسموند : الزواج . . . الأطفال . . أهذا ما تريد أن تقوله ؟

كلـــود : أجل . (صمت) .

أسموند : انظر حولنا . . هنرييت بلانجيه ، جان شيلد . . لقد تزوجتا ، وانجبت كلتاهما أطفالا . . إننى لا أجد في مثل هذه الحياة ما يبعث على الغبطة . . بل ليس فيها ما يشوق بالمرة .

كلـــود : ألا تظنين أن هذا الحكم سطحى إلى حد بعيد ؟

أسموند : كلتاهما تعيش وجوداً شاقاً . . ضيق الأفق .

كلـــود : إذن . . فهذا كل ما في الأمر ؟

أسموند : (بعصبية) ولكن دعنى أشرح لك . . فلنفرض أنهما سعيدتان . . فهذا معناه أن لكل منهما زوجاً لا يخونها . .

كلـــود : عزيزتى !

أسموند : وأطفال يكبرون دون صعوبة كبـيرة ، اللهـم إلا مرضان أو ثلاثة أمراض تنتابهم فى المتوسط كل عام . كلا . . . هذا لا يعنى شيئاً بالنسبة لى . . إننى لا أرى إلى أين تنتهى أمثال هذا الوجـــود . . وإذا فصّلت حياتى على هذا النموذج نفسه .

كلـــود : ولكن . . لا وجود لنموذج . . فلكل حياة من هذه الحيوات جمالها الخفى .

أسموند : الخفى ، نعم ، تستطيع أن تقول ذلك !

كلـــود : وأصالتها الجوهرية هى أنه ينبغى على المرء أن يحياها لكى يقدرها . .

أسموند : شكراً ! فحياتى تكفينى . . وعلى أية حـــال ، إذا كانت نسخا مما يُصْنع منه الآلاف ، بل الملايـــين كالصحف ، والمنشورات . . أجل ، إنها هكذا ، مجرد منشورات . .

كلـــود : ألا يوجد شىء من الغرور الكامن وراء هذا كله ؟

أسموند : إنك تعلم . . إنه بدون الغرور . . .

كلـــود : أن يتلاءم الإنسان مع قوانين الحياة ، وأن يجعلها قوانينه الخاصة ، وأن يريدها بدوره . .

أسموند : هذه مجرد كلمة . . فسواء أردنا أو لم نرد . .

كلـــود : إنها ليست كلمة ياعزيزتى ، إنها حقيقة كبرى أن نأخذ لكى نعطى .

أسموند : ماذا نأخذ ؟ وماذا نعطى ؟ ثم وعلى التحديد ، ما فائدة أن نأخذ لنعطى للاخرين ما يعطونه الآخرون بدورهم ؟ ما فائدة هذا كله ؟ هذا السباق المتصل في عالم من الضباب ؟

كلـــود : (يجرها نحوه) : مهما يكن من شيء فان هذا الاضطراب يدل على أنك في قرارة نفسك . . .

أسموند : إنه إذا كانت المسألة تتعلق بشخص مثلى ، فينبغي له أن يجد سنداً في إيمان الآخرين ... وقد اعتمدت على إيمانك حتى هذه اللحظة..إيمانك أنت .. ولكن حينما يشتد القلق بالإنسان ، فإن مثل هذا الإيمان لايكفى . وفي هذه اللحظة . . .

كلـــود : إذن فأنت لديك ما يحزنك ؟

أسمـــوند : إنه ليس حزنا .

كلـــود : قلـــق ؟

أسموند : بالأحرى .

كلـــود : (يخرج ساعته في حركة آلية) . . ألا تريدين أن تخبريـــنى ؟

أسموند : أنظرت في ساعتك ؟

كلـــود : أنت تعلمين جيداً أننى مضطر إلى الخروج بعد قليل .

أسموند : (في حسرة : إنك مرتبط بواجبات كثيرة يا أبي. . وأن يشعر المرء أنه مجرد رقم بين الفتاة الأم التى تقطن شارع « الوست » والمرأة المشلولة التى تسكن شارع « الْمينْ » . . إذا كنت تعتقد أن هذا يجعل من اليسير تبادل الخواطر . .ثم لعلك تتلقى من خواطر الناس جميعاً أكثر مما ينبغى . . إنها مهنتك تقريباً . . وهذا ما يجعل البرودة تتمشى في أوصالى بعض الشيء

كلـــود : ولكنك تعلمين ياعزيزتى ، أن الأمر هنا يختلف كل الاختلاف .

أسموند : نعم ، فأنا حالة تختلف عن سائر الحالات .

كلـــود : إنك تتحدثين كأمك .

أسموند : أوه . . أترى ذلك ؟

كلــود : نعم ، هذا إلى أنها لما كانت في سنك . .

أسموند : حسن ، فليس هذا مما يسعدنى . .
ولكنى أعترف لك بأن فكرة الزواج من شخص مثلك . . شخص له روح مثل روحك . . هذه الفكرة تخيفنى . . ولوأننى تزوجت شخصاًتافهاً، لكان هذا أسوأ . إن الحياة مروعة .

كلــود : ولكن هذا القلق ، ياعزيزتى . .

أسموند : إننى أعلم كل ما ستقوله لى . . فقد سبق أن ألقيت موعظة عن هذا الموضوع في الشهر الماضى .

المنظر الثاني

الاشخاص انفسهم ــ ادميه

إدميــه : لقد دق الجرس يا أسموند ، وأنت تعلمين أن فيليسى قد خرجت .

أسموند : في هذه الساعة ؟ من يكون هذا ؟

(تخرج . صمت) .

إدميــه : هل ستخرج هذا المساء ؟

كلـــود : نعم . . . ولكن الوقت لم يحن بعد . . إن فورتسماير لايعود إلى منزله إلا في الساعة العاشرة .

إدميـــه : إن فكرة استدعائك في مثل هذه الساعة . . .

كلـــود : إنه هو الآخر لايعطى نفســه أى راحة .

إدميـــه : وفضلا عن ذلك . . فإن ما تقدمه هذه المناقشة من قلة الجدوى . . .

كلـــود : أيا ما كان فإن في هذا كله فكرة عظيمة .

إدميـــه : هذا الاندماج للكنائس . . إنها بالأحرى كلمات ضخمة . . مسألة اندماج الكنائس تلك . . على أية حال إنك في قرارة نفسك لاتؤمن بذلك أكثر منى .

كلـــود : إننا ، إذاً لن نؤمن بذلك ، فلن يتم شيء .

أسموند : (عائدة) إنها أوجينى تحمل رسالة من عمى فرانسيس إليك يا أبى .

إدميـــه : خـــذ .

كلـــود : أينتظر رداً ؟

أسموند : إن أوجينى لاتعلم شيئاً عن ذلك ، وهى غاضبــة لتكليفها بعمل ما يوم الأحد . (كلود يفتح الخطاب ،

وتقرأ إدميه من فوق كتفه . . ثم تثب وثبة عنيفة)
ماذا حدث يا أمي ؟

إدميه : هذا محال .

كلود : أسموند . . قولي لأوجيني إنه لارد هناك ؟

(تخرج أسموند)

إدميه : إننا لا نستطيع أن نقدم على هذه المجازفة . . قل للبواب إنك خرجت أو إنني مريضة أو ما شئت . . ولكنه إذا أتى . . فلا يصح له أن يصعد إلى هنا . .

كلود : هذا محال ؟ أتريدني أن أكذب ؟

إدميه : إنك تكذب على زوجتك ، لا على البواب . . ثم مادمت ستخرج حقاً . . كلود . . إنه شخص مريض .

كلود : تماماً . .

إدميه : ثم إنك ترى جيداً أنه قد رجع مرة أخرى إلى أخيك . . إنها فكرة متسلطة عليه . . إنه مجنون . . . إني أعترض على دخوله هنا .

كلود : ياعزيزتي . . شيء من الهدوء . .

إدميه : فوق كل هــذا ! . . كلود ، إننا نمشي على رؤوسنا

فلو تأتىّ لى أن أوافق أنا على استقبال هذا الرجل ، لكان من واجبك أن تعترض على ذلك (إلى أسموند التى تعود في هذه اللحظة) دعينا لحظة ياصغيرتى .

أسموند : أكنتما تتحدثان عنى ؟

إدميــه : كلا ، إن الأمر لا يتعلق بك .

أسموند : أبى . . أتراك كنت تعيد على مسامعها ما قلته لك ؟

إدميــه : ما هذه الأسرار أيضاً ؟

كلــود : (مخاطبا أسموند) كان حديثنا يدور عن الخطاب الذى تلقيته منذ لحظة .

إدميــه : لست مضطراً إلى تبرير ذلك .

أسموند : يبدو عليكما الاضطراب .

كلــود : كلا . . قليلا . . نحن مرتبكان ، فأنا وأمك لسنا على وفاق تماماً . .

(تنظر إليهما أسموند في ارتياب ثم تخرج متباطئة)

إدميــه : أسمعتنى . . . إننى أعارض في دخول هذا الشخص هنا . .

كلــود : إننى أنتظر حتى تثوبى إلى الهدوء .

إدميـــه : أنت ، كلما فكرت في أنى لم أرك غاضباً قط !
(تقع فريسة لرعدة عصبية)
أتعتقد أنى لا أتكهن بما يدور في رأسك هذه اللحظة . . إنك تحتقرنى ، لأننى مرتبكة . .

كلـــود : (بصوت منخفض) عزيزتى . . لقد حملت صليبك معك . .

إدميـــه : كلود . إنك زوجي . . ولست قسيساً .

كلـــود : (بنفس اللهجة) إن ما حدث لنا قد أراده الله . . إن هذا لايمكن أن يكون مجرد حادث عرضى . . إدميه . . إن هذه المحنة . .

إدميـــه : دائماً هذه الكلمة المروعة .

كلـــود : يجب أن نحياها في إيمان المسيحيين .

إدميـــه : إنك لا تستطيع أن تحياها كانسان .

كلـــود : (بصوت خافت) ألا تريدين أن تصلى معى ؟

إدميـــه : (بلهجة توسل) . . دعهم يقولون إنك لست هنا . . أسموند ! (تخرج ويبقى كلود وحيداً ، ويحاول أن يركز نفسه في تأمل صامت ، تتشابك يداه . صمت طويل . . تعود إدميه) لست أدرى

أين ذهبت ... أنا نازلة . . (كلود لا يجيب)
كلود ! ولكن لماذا ؟ . . أكل هذا من أجله ، أم
من أجلنا ؟

كلـــود : إننا إذا تقهقرنا أمام هذا اللقاء . . فإن ذلك يثبت . .
لست أدرى . . يثبت أن الماضى لم يمت ، وإننا لم
نستطع الانتصار عليه . .وهذا جبن . . هذا عمل
لايجدر بك . .فلنر . . مم تخافين ؟

إدميـــه : من كل شئ .

كلـــود : قال أحد الأشخاص : «إن الخوف،علامةالواجب .

إدميـــه : يا إلهى ! . . إنك تفكر ... وتضرب الأمثال .
الواجب ! ومادخل الواجب هنا ؟ آه . . اسمع .
ألا تكون تلك مسرحية هزلية تلعبها على نفسك . .
نوعاً من التمثيل !

كلـــود : مسرحية هزلية ؟

إدميـــه : دون أن تشعر .

كلـــود : هذا ما وصلت إليه حالنا .

(يسمع صوت أسموند خارج المسرح وهى تقول :

« ولكن تفضل بالدخول ياسيدى . . فوالدى موجود وسأخبره ») .

أسموند : (داخلة) أبي ، هناك سيد يريد أن يراك .

(يعلو الشحوب وجه كلود)

إدميــه : (عيناها ثابتتان على كلود) وما اسم هذا السيد ؟.

أسموند : السيد سانديبه .

إدميــه : أين كنتِ الآن ، من فضلك ؟

أسموند : كنت أحيي الطفلتين اللتين فوقنا تحية المساء .

إدميــه : حسناً . . ثم . .

أسموند : وكان هذا السيد يصعد السلم حين نزولى . . وكنت قد أخذت المفتاح ، فدخل معى .

إدميــه : إذن ياكلود ، أنستقبل هذا السيد ؟

(حركة غامضة من كلود)

أسموند : (مخاطبة كلود) ولكن ماذا بك ؟

إدميــه : إن أباك ليس على ما يرام تماماً .

أسموند : (تتجه صوب كلود ، ثم تقول في رقة)

« ماذا حدث » ؟

كلـــود : نوع من الدوار .

أسموند : سأقول لهذا السيد إنك لاتستطيع استقباله .

(صمت)

إدميـــه : (وكأنما نتحدث رغماً عنها) . . كلا . . فايدخل . . إنه شخص كنا نعرفه منذ أمد بعيد . أنا وأبوك . (تخرج أسموند ، ونسمعها تقول : سيدى . . تفضل بالدخول من هنا)

المنظر الثالث

الأشخاص أنفسهم - ميشيل

(ميشيل سانديه رجل في الخامسة والأربعين أو في الخمسين من عمره ، طويل القامة ، ولكنه محنى الظهر قليلا ، . وجهه غائر من المرض بصورة شنيعة)

ميشيل : (منحنياً) سيدتى . . سيدى . . يؤسفنى أن أزوركم في مثل هذه الساعة .

كلـــود : لقد أخطرنى أخى بأننا قد نتشرف برؤيتك هذا المساء . . من تحصيل الحاصل ، بالطبع ، أن نقدم

لك ابنتنا ! أليس كذلك ؟ فقد تم التعارف بينكما من تلقاء نفسه .

ميشيل : (يلتفت ناحية أسموند) الواقع أن هذه الآنسة هى التى . . .

كلـود : أظننى فهمت أنك مار بباريس مجرد مرور . .

ميشيل : نعم . .ومن الممكن أن أرحل غداً .

إدميـه : (في جهد) وأنت هنا منذ . .

ميشيل : منذ أسبوع . . ولكننى لا أحتمل باريس إننى لا لا أتنفس فيها (صمت) . .

كلـود : لقد وجدت أنا نفسى كثيرا من العنـاء حتى تعودت عليها .

ميشيل : ومع ذلك فانك لم تأت من « الأردش » إلى هنا مباشرة ؟

كلـود : كلا . . فقد عينت أولا في أبرشيه في . الشمال في « اسكرشان » بالقرب من « ليل »

ميشيل : لا بد أنها كانت جحيما .

كلـود : أبداً . . فقد تركت تلك الأعوام في نفوسنا ذكريات جميلة . . أليس كذلك يا إدميه ؟

إدميـه : إن كل شيء يتوقف على . .

ميشيل : أظن أن السيد ليموان لا يعنى طبيعة الإقليم .

كلـــود : ومع ذلك فإن تلك المناظر الواسعة الحزينة لا تخلو من عظمة .

ميشيل : أما أنا فإنى عندما أمر عليها بالقطار ، أغلق النافذة . .

كلـــود : إن سكان تلك المنطقة أهل مودة .

ميشيل : آه ؟

كــــود : لقد شهدت أنا وزوجتى مناظر مؤثرة جداً . . وإن رواية « الناس المساكين »

لفكتور هيجو . .

ميشيل :إننا معارف قدماء ياآنسة أسمونـــد . .دون أن تعرفي . لقد رأيتك عندما كنت صغيرة جداً ، في الوقت الذى كنت أسكن فيه « بسان لودى تالفاس » منزلا كبيراً يشرف على الوادى ، وكنت أتردد كثيراً على والديك ، وهأنذا أتخيلك كما كنت في تلك اللحظة . . وقد مررتُ على «سان لو» مرة أخرى منذ شهور :

كلـــود : أظن أنه لم يحدث فيها تغيير كبير منذ كنا هناك .

ميشيل : لقد شيدوا مصنعاً صغيراً لقطع الأخشاب شوه

منظرها . وأعتقد أنه بعد عشر سنوات ، ابتداء من اليوم ، لن يبقى هناك منظر واحد سليم .

كلـــود : ومع ذلك فإن مصنع قطع الخشب . . .

ميشيل : إن المرء لا يرى سواه . .

أسموند : إذن فهى أشبه بمصنع الغاز فى «فونفيل سان فنسان» فقد كانت لنا هناك فيللا صغيرة على الربوة المطلة على البحر ، وكان يمتد أمامنا منظر متسع ، ولكن كان فى نهايته مصنع للغاز . . .

كلـــود : أما أنا فلم أنتبه مطلقاً إلى هذا المصنع . .

أسموند : أنت محفوظ يا أبى . . فإنك لا ترى إلا ما يعجبك .

ميشيل : انتظرى ! لحظة ! « فونفيل سان فنسان » . . . . . ولكنى مررت بها بالسيارة فى العام الماضى . . إنها بين دييب ونوربيور ؟

سموند : بالضبط .

ميشيل : ولكن بدا لى أمرا فظيعا . . . . تلك المكعبات من الكسب المغبر . بين حفرتين للتحصين . (أسموند تضحك) .

كلـــود : ولكنها كانت تعجبك ، يا أسموند .

إدميـــه : طبعاً .

أسموند : الحق أننا لا نستطيع أن نحكم على مكان ما إلا بمرور الزمن . . وحينما أفكر في فونفيل . أؤكد لك أنني لا أشعر بأى حماس . .

ميشيل : هــذا صحيح ، الذكرى وحدها هى الصادقة ، إنها هى أنفسنا .

كلــود : لقد ارتبطنا هناك بصلات لطيفة . . ثم هناك البحر . . البحر . . أنا مندهش تماما مما تقولين .

إدميــه : إنك طيب القلب حقاً إذا كنت تأخذ هذه السخافات مأخذ الجد .

ميشيل : خذ الموسيقى مثلا . . إنها أشبه بذلك . فالأثر الفورى الذى تتركه يكاد يكون دائماً مضللا .

كلــود : أما هنا . . فأعترض .

ميشيل : أتكون الآنسة أسموند . . . . ؟

أسموند : إننى أحب الموسيقى حباً شديداً . . غير أن فرصــة الاستماع إليها لا تتاح لى إلا نادراً .

ميشيل : ألا تعزفين على إحدى الآلات ؟ إننى أذكر أن السيدة والدتك . . .

إدميـه : لقد هجرت كل ذلك منذ عشرين عاماً .

ميشيل : لقد كان عندكم على ما أذكر بيانو ممتاز من صنع محل إيرار .

إدميـه : لقد تبرعنا به .

ميشيل : إن البيانو في مثل هذه الحياة المليئة المستغرقة التي تحيونها يعد من المغريات .

إدميـه : حتى لو كنا قد احتفظنا به ، لما وجدنا له محلا في اسكيرشان .

ميشيل : خسارة ! . (صمت) حينما مررت « بسان لودى تلقاس » التقطت صورة أو صورتين (مخاطباً أسموند) ربما أمتعك شيء من هذا القبيل يا آنسة ، فلا بد أنك سمعت الناس يتحدثون كثيراً عن هذا الركن الصغير .

(يناول أسموند صورتين أو ثلاثا)

أسموند : (تنظر إلى الصور) إنها ممتازة ، هذه الصور .

ميشيل : الآلة التي التقطناها بها صغيرة لا بأس بها .

أسموند : انظر يا أبي ! (كلود ينظر من فوق كتفها) .

يا له من ضوء شفاف . وأشجار الصنوبر تلك التى تصعد إلى السماء .

ميشيل : أتحبين أشجار الصنوبر ؟

أسموند : وأى حب ! أتذكر يا أبى بالقرب من بحيرة «شيبرتا» .. سيقانها ورائحتها ثم .. كما تعرف .. تمايل أغصانها حينما يتحرك النسيم ..

ميشيل : (بصوت متغير) أنا أيضاً أحب هذا كله .

كلـــود : (فجأة) .. يا إلهى ! موعدى !

إدميـــه : لا تذهب إليه .

كلـــود : سيعود فور سماير خصيصاً ليرانى .

إدميـــه : ولكنك لا تعلم من حقيقة أمره شيئاً .

كلـــود : وفي المرة السابقة أخلفت موعده أيضاً .

إدميـــه : لم يكن ذلك خطأك .

كلـــود : كلا .. محال . (في شيء من الحرج ، مخاطباً ميشيل) إذا كان لديك شيء خاص تريد أن تفضى به إلى ، فهل يمكن أن ننزل سوياً ؟ (ميشيل لا يجيب) . نعم ذلك المكان لا يبعد عن هنا سوى بضع خطوات .. ولن يكون لدينا الوقت الكافي . إنى محزون ، فلـــو

أنني أخبرت في وقت مبكر .

(يحس الجميع بارتباكه)

ميشيل : (واقفاً) ربما استطعنا أن نحدد موعداً آخر ..

كلـــود : ولكنك سترحل غداً ؟

ميشيل : لم أقرر ذلك بعد .

كلـــود : إذن . . . تستطيع أن تنفق على ذلك مع زوجتي . . إلى اللقاء . . وأرجو المعذرة إذا تركتك على هـــذه الصورة . .

المنظر الرابع

ميشيل ـ ادميه ـ اسموند

ميشيل : أرى أن السيد ليموان مشغول إلى أقصى حد .

أسموند : إن لأبي ضميراً مرهفاً إلى أقصى حد . . (تمد يدها إلى ميشيل) طاب مساؤك يا سيدى .

ميشيل : إلى اللقاء يا آنستي . . إنني سعيد جداً بتجديدتعارفنا (تخرج أسموند . . يتابعها ميشيل بنظراته . . فترة سكون)

إدميـــه : (في صوت منخفض) لماذا فعلت ذلك ؟ (حركة

غامضة من ميشيل) لو كان الأمر بيدى وحدى ، لما استقبلناك .

ميشيل : آه !

إدميــه : والآن . . أتوسل إليك أن ترحل .

ميشيل : لماذا ؟

إدميــه : أولا بسبب الفتاة . . ثم . . إننى لا أستطيع أن أراك.

ميشيل : أذلك لأننى لم أتغير كثيراً ؟ أم على العكس ؟ . . بالطبع أنت تعلمين حالتى . . وفضلا عن ذلك، فأظن أنه ما كان ليطيق . . ولكن إذا تدبرنا الوضع الذى أصبحت عليه الأمور الآن ، رأينا أن ذلك يــكاد يكون واجباً من واجبات مهنته . .

إدميــه : آه ! اسكت .

ميشيل : لا شك أن زوجك في غاية الأناقة من جميع الوجوه إنه يمثل مهنته أصدق تمثيل . . أنت تقولين إنــك لا تستطعين رؤيتى . . حسن . . أما أنا ، فأمــرى غريب ، ذلك أننى لم أتأثر مطلقاً بوجودى بجانبك من جديد . أقول مطلقاً ، ونستطيع جميعاً أن نقــول ما نشاء ، ولكن هناك أجزاء من نفوسنا كأنها جلد

ميت ، ونستطيع أن نقص منها ما نشاء دون أن تنزف منها الدماء . . وقد وقعت لى أخيراً تجربة غريبة ، فعندما فتحت الصحيفة طالعت هذه العبارة : نعلن خبر وفاة مدام كلود ليموان . . اسم شبيه باسمك. . حسن . . فماذا كان منى . . لا أستطيع أن أقـــول.. لقد كان ذلك أمراً بعيداً . . وكأنه لم يحدث لنا .

إدميـــه : (معصوبة عينيها) هذا مريح .

ميشيل : أفترض أننا نموت كلا واحداً ، ولكننا نحيا قطعـــة قطعة .

إدميـــه : (في مرارة) – ربما كان ذلك حقاً بالنسبة للرجال.. ولكننى ما زلت أنا نفسى دون تغيير .

ميشيل : أتعتقدين ذلك ؟

إدميـــه : ما زلت نفسى تماماً .

ميشيل : وهذا يعنى ؟

إدميـــه : أوه . لا تستنتج منه شيئاً . . أنا أفترض أنى لم أحب أحداً على الإطلاق .

ميشيل : لقد وصلت أنا نفسى إلى هذه النتيجة منذ زمن بعيد..

إنك لم تحبي أحداً على الإطلاق . وربما كان ذلك هو السبب في . .

إدميـــه : . . . أن النعي الذى قرأته لم يجعلك تنتفض . .

ميشيل : في ذلك الحين . . ومنذ أن تحققت تماماً مما سيحل بي . . أخذت أستعرض وجوها كثيرة . . وكان من بينها وجهك .

إدميـــه : بين عدد كبير من الوجوه .

ميشيل : إننى لم أعدها . . وكان وجها بارداً ، متقلصاً لا رحمة فيه . . لم يكن وجهاً يتسم بالشجاعة . . وإنما كانت العينان مطرقتين إلى الأرض ، وكانتا عابستين . . أوه . . افترض أنهما كانتا تتألقان يوماً ما ، ولكننى لم أعد أتذكر ذلك .

إدميـــه : ولما كانت الذكرى هى وحدها الصادقة .

ميشيل : بالضبط (صمت) . .

إدميـــه : وبعد . . أكان من الواجب أن أشعر بالشفقة نحوك ؟ كلا . . إن هذا غريب منك .

ميشيل : ولكن . . إذا كان ذلك لم يحدث لنا ، ألا تعتقد أنه من العبث استرجاع هذه القصة ؟ آه لو علمت كم

هى تبدو لى عارية من كل زينة . . إننى أراهـا ، ولنسمها قصة حب ، فى ضوء معتم .

إدميـه : إنها ليست قصة « سان ــ لو »

ميشيل : هذا ممكن .

إدميـه : ألا يبقى لك بعد هذه السنين العشرين إلا هذا الشعور ضدى . . هذا الشعور بالعداء ؟ لماذا تضحك ؟

ميشيل : ذلك لأن هذه الكلمة لا تناسب المعنى على الإطلاق . إنك لا تريدين أن تصدقينى حينما أقول لك إنى الآن . . ولكننى كنت أجد عليك . . أجد عليك إلى حد الموت . .

إدميـه : أكنت تحبنى إذن ؟

ميشيل : إن شطراً منى كان يحبك . . ومادام هذا الشطر قد مات . .

إدميـه : هذه مجرد ألفاظ .

ميشيل : لو عرفت إلى أى حد يعتبر هذا الذى يعيش منى بعد شيئاً ضئيلاً . . . لما بكيت على ما تبقى منى .

إدميـه : (بصوت متهدج) إننى لا أفهم عـلام تلومنى . يا إلهى ! بعد عشرين عاما ما زالت تعذبنى . .

ميشيل : أعذبك ؟ ولكنك كنت على صواب الآن . . إنك مازلت كما أنت . . وأذكر كيف كنت تعاتبينني على الكلمات التي تنتزعينها أنت نفسك مني . . ومع ذلك فإن النساء الأخريات أيضاً على هذا النحو .

إدميه : ولكن أكان هناك نساء أخريات في ذلك الزمن أيضاً؟

ميشيل : لقد كان يعجبك أن تعتقدي ذلك ، وكنت حريصاً على ألا أنزع عنك هذا السرور .

إدميه : لست أفهم .

ميشيل : مشهد الغيرة الذي قمت به في المحطة الصغيرة..حيث كنا نرتجف من البرد ذات مساء . عند عودتنا من « فالنس » . . (يهز رأسه في ابتسامة) . .

إدميه : أتريد أن تقول إنني لم أكن صادقة ؟

ميشيل : كل النساء صادقات ، كل النساء سيئات النية .

إدميه : يحس المرء أن هذا الكلام ينطوي على تجارب غنية .

ميشيل : يؤسفني أن أقول لك إنه منذ أن حدثت بيننا القطيعة.. لم أظل وفيا لك .

إدميه : ثم إنك لم تخف عني نواياك . . فإن خطابك . .

ميشيل : بل رَدّى . . لقد اعتقدت أنك أردت أن تجعليني في حل من أمرى .

إدميـــه : لقد عرفت كيف تستغل ذلك أكبر استغلال . .

ميشيل : أكبر استغلال .

إدميـــه : ما أشبهك بنفسك !

ميشيل : لقد استغللت هذه الحرية التى أعدتها إلى أكبر استغلال ممكن . . حسن . . إننى استغللتها إلى درجة أنـــنى سأموت بسببها . . الأمر في منتهى البساطة كما ترين. وتستطيعين أن تتحققى من أنه لاوجود لأية رعشة في صوتى .

إدميـــه : أمن الممكن أن يقتلك خطاب ؟ إنه لم يتضمن أيـــة كلمة يمكن أن تجرح شعورك .

ميشيل : إن الطريقة التى كشفت بها عن علاقتنا لزوجك ..ثم بعد ذلك هذا الشعور الجبان بالحاجة إلى الترقيع . .

إدميـــه : ولماذا تصف هذه الحاجة بالجبن ؟ لقد كان فيهاشيء من المخاطرة . .

ميشيل : لم يكن فيها شيء من هذا، وأنت تعرفين ذلك . وإنى لأذكر ما كنت تقولين عن زوجك . . كلا . لقـــد

وضعت كل شيء في الميزان ، وقدرت أن الراحة النفسية والأمن ، وسكينة الروح . . وماذا أدرى . . شيء في الميزان ، وقدرت أن الراحة النفسية والأمن ، سكينة الروح . . وماذا أدرى . .

إدميه : إننى لم أزن شيئاً . . كل مافي الأمر أننى أحسست فجأة أن حياة الأكاذيب هذه تفزعنى .

ميشيل : هكذا . . فجأة ؟

إدميه : ثم . . . لو أنك أردت . . .

ميشيل : كيف ؟

إدميه : لو أنك عرضت على القرار معك . . . لوافقت . .

ميشيل : ومع ذلك فقد عرضت عليك ، ورفضت .

إدميه : لقد أحسست بترددك . . . ولو أنك ألححت . .

ميشيل : ألا ترين أنه من المبكى حقاً ، بل مما يدعو إلى السخرية أن نناقش غراميات صبانا ! فأنا بعد ثلاثة أشهر ، سأكون في مقبرة بيرلاشيز . . وأنت ! لا ماذا أقول يا إلهى ! . . قد تصبحين جدة . . ولهذا فإنى أتساءل حقاً . .

إدميه : إنك عندما قلت الآن . .

ميشيل : ماذا ؟

إدميـــه : أريد أن أعيد العبارة التى قلتها عن حريتك . . لكأنك تجعلنى مسئولة عما حدث لك . .

ميشيل : يا للحماقـــة !

إدميـــه : بلى . . بلى . . لقد قلت ذلك بلهجة أعرفها جيداً . . ألم تكن جاداً في ذلك ؟ قل إنك لم تكن جاداً ! لكأنما حقنتنى بالسم . . هذا مروع . . ولكن لو أنك كنت متمسكا بى ، لما عَرَضْتَ على هذا العرض مرة واحدة في لحظة من لحظات النشوة . . . ولكنتَ أعدته على مرة أخرى .

ميشيل : (ينظر اليها محدقاً فيها ببصره) – أأنت واثقة أن ذلك لم يكن إلا لأنك تعرفين أنني سأتحدث إليك عن ذلك مرة أخرى ، ولأنك كنت تخافين أن . .

إدميـــه : وبعد ؟

ميشيل : ولهذا أفضيت إليه بكل شيء . . إن ذلك يبدو كما لو كنت قد سارعت بإقامة جدار بيننا .

إدميـــه : لا أفهم .

ميشيل : إن عطفه وكرمه اللذين حسبت حسابهما مقدماً . .

إدميـــه : وكيف حسبت حسابهما مقدماً ؟

ميشيل : (بقوة) اللذين حسبت حسابهما ، قد جعلا رحيلك امراً محالا . . إنك كنت تتحدثين عن المخاطرة ، أما المخاطرة الحقيقية الوحيدة فقد كنت . . كنت أجبن من أن تُقدمي عليها . . لقد اخترت أسهل طريق . . وهو طريق الاعتراف . . ها أنت ذي لاتعترضين مجرد اعتراض، ذلك لأن ما أقوله حق لاشك فيه .

أوه . . وفضلا عن ذلك فإن الحب . .

(يبدى حركة تدل على الاشمئزاز) . . قبل أن أذهب كان لابد لى من شيء اقل استهلاكا . . أقل ابتذالا . (ينظر إلى الجانب الذي خرجت منه أسموند تراقبه إدميه في قلق) . . ثم . .

إدميه : إنك لم تجب على السؤال الذى وجهته إليك الآن . . إنى عندما سأخلو إلى هذه الفكرة . . ولكن هذا سيكون فظيعاً . .

ميشيل : أية فكرة ؟

إدميه : (تخفى رأسها بين كفيها) — فكرة أن ذلك كان نتيجة لخطئى بعض الشيء . .

ميشيل : أرى . . أنك تحرصين كثيراً على أن أقدم إليك شهادة . . حسناً . . إنى آسف جداً ، ولكنى لا

أستطيع . ثم إنك تفتقرين كثيراً إلى الخيال .. إنك لم تدركى مطلقاً أنى كنت أحبك .

أوه ! . . ينبغى لنا ألا نرتجف لدى سماع هذه الكلمة . أولا ، لأن هذا كله قد أصبح شيئاً بعيداً . . هيه ثم إنه أشبه شيء بالمرض القذر . . ولكن لو كان لديك من الجرأة أكثر مما لديك ومن الفضيلة أقل مما لديك ، حسن ، لربما استطعنا أن نحيا حياتنا . ولكن . . بعد اعترافك ، ماذا أقول ! أظن أنك قد استنمت ، وأنى قد انحدرت . . ويكفى أن تنظرى إلى . إن هذه أشياء لا يمكن أن تُرْوى . (ينهض) والآن ، اسمعى ، أرى أنك قد فهمت إلى حد ما . . فينبغى أن تدعينى أرى تلك الفتاة من حين لآخر . . أوه ! وتكرمى بألا تنسبى إلى ذلك النوع من العاطفية الرخيصة . . كلا . . فمن الصعب على وأنا في هذه الحالة أن أجد أفكاراً ليست . .

إدميـــه : أنت تعلم أن هذا محال . بأية حجة ؟ وكيف أشرح لها ؟

ميشيل : أوه . أخبريها بأى شيء .. أتريدين أن أعطيها دروساً في البيانو ؟ ابحثى عن مبرر ما ، وستجدينه . . إلى

اللقاء . . من هنا ، ثم إلى اليسار ، أليس كذلك ؟

(يخرج دون أن ترافقه إدميه) .

المنظر الخامس

ادميه ـ ثم اسموند

إدميــه : (فريسة لانفعال داخل هائل ـ تجلس وتتناول كتاباً ، ثم تضعه على المنضدة ، تنهض ثم تذهب إلى الباب في آخر القاعة . . لتوار به) .

إدميــه : (إلى أسموند التي تدخل وهي ترتدي ثياب الحمام). لقد ظننتك نائمة . . إلى من تكتبين ؟

تعالى لحظة من فضلك .

أسموند : يلوح لى أنه من العبث الدخول في مناقشة .

إدميــه : وكذلك ليس هذا قصدى . لقد صعدت الآن إلى أعلى دون أن ندرى ؟

أسموند : إننى لا أخفى سراً . من هذا السيد الذى خرج من هنا ؟ ولماذا لم تحدثينى عنه مطلقاً ؟

إدميــه : إنه شخص لم نعد نراه قط منذ زمن بعيد

أسموند : ولكن . . يالها من فكرة أن يزور الناس في مثل هذه الساعة !

إدميه : من الممكن أن نفترض أن هذه هى اللحظة الوحيدة التى يستطيع أن يكون فيها غير مشغول .

أسموند : شيء غريب . . لقد كان والدى شاحب الوجه . .

إدميه : إنه مريض بعض الشيء هذا المساء .

أسموند : إذن فكيف تركته يخرج ؟

إدميه : تعلمين جيداً أن والدك لا يتبع إلا رأيه . . ولكن ليس هذا هو الموضوع . . إننى أريد أن أفرغ من مسألة « ميجال » إلى الأبد . .

أسموند : ليست هناك مسألة عن « ميجال » .

إدميه : ولكن لا داعى للمشاغبة . أليس كذلك . .إننى لا أرى اعتراضاً على أن تأتى الطفلتان إلى هنا من حين لآخر . . . ولكننى أعترض على صعودك عندهم .

أسموند : بالاختصار . . أنت لا تثقين في ، ولا تفهمين أنه إذا كان لهذا الخطر وجود حقاً ، فإن هواجسك لن تزيده إلا حدة .

إدميــه : من الذى تحدث عن خطر ؟ إن مسلكك غير لائق . . هذا كل ما في الأمر .

أسموند : وأبى . . ما رأيه ؟

إدميــه : إن أباك لا يفطن إلى مثل ذلك . .

أسموند : أى أنه لا يرى رأيك الذى لا يخلو من جور . .

إدميــه : أى رأى لا يخلو من جور ، من فضلك ؟

أسموند : موقف الرغبة في التصغير من شأنى . . وجرحى . . و . . بل إنك منذ لحظة وفي حضور هذا السيد ، قد جعلتنى أضحوكة .

إدميــه : عندما يهتم المرء بنفسه إلى هذا الحد ، فإنه لايرى من حوله إلا إهانات وأخطاء . . هذا مؤكد . . ولو أنك كرست للاخرين معشار الاهتمام الذى تؤثرين به شخصك الكريم . .

أسموند : أمى . . أنا لست أنانية .

إدميــه : هذا أول خبر أسمعه عن هذا الأمر .

أسموند : إننى أقل منك أنانية . . إنك لاتصنعين أى شىء بشغف . . وهذا وحده هو المهم . فلا حضور اللجان ، أو الإشراف على جميع التبرعات أو صنع

الجوارب هو الذى يثبت أن المرء طيب . . إنك لست طيبة . . ولست أفضل منى . . وما على المرء إلا أن ينظر إليك حين تتحدثين إلى مريض . . انك لا مطلقا . . . وكل ما تبذلينه هو . . هو . .

إدميـــه : أكمـــلى . .

المنظر السادس

الأشخاص انفسهم ـ كلود

كلـــود : (مخاطبـــا أسموند) ـ أما زلت هنـــا ؟ أصغى إلى يا عزيزتى . . تسدين إلىّ معروفاً لو أعددت لى قدحاً من الشاى . . لقد تجمدت من البرد عند فور ستماير.

إدميـــه : وأظن أنكما لم تصلا إلى شىء . .

كلـــود : لقد تحدثنا .

إدميـــه : هذا حسن . . (مخاطبة أسموند) استعملى الموقد الكهربائى . . . أليس كذلك ؟

(تخرج أسموند)

كلـــود : (مخاطبا إدميه) أمكث طويلا بعد خروجى ؟

إدميـــه : بضع دقائق (صمت)

كلـــود : وهل بقيت أسموند طوال الوقت ؟

إدميـــه : كـــــلا .

كلـــود : أعتقد أنني لو تنبأت بما سيكون عليه الأمر . .

إدميـــه : أرأيت . . إنني كنت على صواب .

كلـــود : كلا . . فإن ذلك كان يعد جبناً . ولكنـــه حينما تحدث عن « سان لو » . . . ثم ، لست أدرى . . هذه اللهجة الساخرة التي يشوبها الامتعاض من كل شيء .

إدميـــه : إنه مريض جداً .

كلـــود : نعم . . وكنت مضطراً أن أردد في نفسي طول الوقت أنه شخص بائس .

إدميـــه : حقاً ؟

كلـــود : ولو لم أفعل ذلك ، لقلت له أن يخرج . فإن طريقته في النظر إلى الفتاة . . ألا حظت ذلك ؟ . إن هذا بالذات هو ما لم أستطع احتماله .

إدميـــه : آه ؟ حسن . . لقد فهمت .

كلـــود : وعندما دخل . . ومد إليك يده ، أحسست في بداية الأمر كأنه شبح .

إدميـــه : أجل .

كلـــود : ولكنه بعد ذلك ، حينما نظر إلى الفتاة ، تمشت الحياة في وجهه .. وكان ذلك أسوأ وقعاً على نفسى .

إدميـــه : (تذهب إلى الباب) نعم ! أسموند !

أسموند : (خارج المسرح) — إن الماء لم يغل بعد .

إدميـــه : (مخاطبة كلود) أيمكن أن نضع شيئاً من الخمر في قدح الشاى ؟ كلا ؟

كلـــود : لاداعى لذلك .

إدميـــه : (في سخرية) لقد نسيت أنك قد وقعت ذلك التعهد إياه .

كلـــود : ألا تستطيعين أن تقصّى على شيئاً مما قاله لك . هذا إذا كان ذلك يؤلمك ، بالطبع ؟

إدميـــه : (في حدة) — كن بطراً عسير الإرضاء ، كن سيء الظن ، كن ضيق الأفق ، فإنى أفضل ذلك .

كلـــود : ماذا تقصدين ؟

(تدخل أسموند حاملة قدح الشاى ، وتضعه على المكتب) .

أسموند : لقد وضعت لك قطعة واحدة من السكر . . والآن

سأذهب للنوم . . . طاب مساؤك يا أبي . . آمل أن يمدك الشاى بالدفء

كلــود : طاب مساؤك يا عزيزتى .

إدميــه : إلى اللقاء (تخرج أسموند — وتمر فترة من الصمت.. كلود يشرب الشاى) أتحسن حالك بعد أن شربت شايك ؟

كلــود : وبعــد ؟

إدميــه : حسن . . لقد حدث شيء ما .. كلود ! إننى في حاجة إليك . . يجب أن تساعدنى . . يجب أن تكون قادراً على معونتى . . . فهناك فكرة مخيفة على وشك أن تستقر في نفسى . اطردها . لقد تحدثنا عما حدث في الماضى . . ولكن ، لا داعى للحقد علينا . كان ذلك غريباً جداً . . وكأن ما حدث قد حدث بالأمس . كأن هذه الأعوام العشرين لا وجود لها . . ومع ذلك فهو يحتضر . . وأنا . . أنا . . لقد اكتشفت أنه أكثر تعاسة مما كنت أظن . . بل إنه ليس تعساً فحسب. . إنه يائس . . وربما كان ذلك هو السبب الذى جعله يحيا ذلك الوجود الذى أشرف به على الهلاك . . أو على الأقل . . هذا ما يعتقده . . وبالطبع ، من الممكن

أن يكون مخطئاً . . وربما . . لو أنني استطعت أن أقنع نفسي على الأقل بأنني قد أحسنت التصرف عندما اعترفت لك بكل شيء . . لكنــه يدعي . . أن ذلك لا يمكن أن يكون صحيحاً . . هذا أكثر مما . .

كلــود : ما هذا الذي لا يمكن أن يكون صحيحاً ؟

إدميــه : إنه يقول إنني كنت خائفة ، وإنني لم أجد الشجاعة الكافية لقبول الحياة معه ، وإنني اعترفت لك كي أقيد نفسي ، لكي أسد الطريق في وجهي . .

كاــود : لست أفهم .

إدميــه : بل أنت فاهم ، فقد كان المقدر أنك بعد أن تعرف كل شيء ، وتصفح عني ، لم يعــد في وسعي أن أهجرك ، أتفهم ؟ . . إنه يقول إنه لم يكن هنـــاك ما أخشاه من ناحيتك ، وأني كنت أستطيع المضي دون حرج ، وهـــذا حق ، فإنني لم أكــن أخشاك. وهذا هو أفظع ما في الأمر (في مرارة متزايـــدة) والحقيقة أني لم أتحدث إليك ذلك المساء ، كمـــا لو كنت زوجي .

كلــود : إدميــه !

إدميـــه : هذا سبب كل شيء . فلو أنك كنت زوجي ، ولو أنك أحببتني كما يحب المرء زوجته بكل ما فيه من حسنات وسيئات .

كلـــود : سيئات ؟

إدميـــه : أنت تعلم جيداً أنني لم أكن لأخونك في هذه الحالة.

كلـــود : إنك لستِ في تمام وعيك . .

إدميـــه : إن صوتك يبدو فجأة زائفاً في سمعي .

كلـــود : إن الثقة التي وضعتها في . .

إدميـــه : الثقة ! كلما أحب المرء ، ازداد ارتياباً . .

كلـــود : بالنسبة لقلوب مثل قلبينا . .

إدميـــه : أولا إن هذا الصفح الذى لم يكلفك شيئاً ، لم يكن من حقك أن تمن على به .

كلـــود : أليس من حقّي أن أحميك من نفسك ؟

إدميـــه : هذه مجرد كلمات . . فقد كنت حَكَماً وطرفاً في القضية . . أوه ، إنني لا أريد أن أقول إنك كنت تحبني . لا تعترض . . فلنقل إنك كنت تحبني في الله. . كلا . . ولكن ، لم يكن هناك حينئذ غيري .

كلـــود : والباقي لم يكن له اعتبار .

إدميــه : سلطانك على النفوس ؟ دعنا من ذلك ، إنك لست عادلا في هذه اللحظة . . فإن الفضيحة الناجمة من وقوع الانفصال بيننا . .

كلـــود : لم تكن لتقع إلا عليك .

إدميــه : ولكنك لست جاداً في اعتقاد ذلك . . ثم على الأخص. على الأخص . . كانت فرصة رائعة لإظهار مواهبك التبشيرية . .

كلـــود : (ينهض شاحب الوجه) اخرسى .

إدميــه : أه ! لقد ثُبت إلى نفسك .

كلـــود : اخرسى . . فإنك تحطمينى .

الفصل الثالث

المنظر الاول

كلود ـ فرانسيس

(فرانسيس جالساً إلى المائدة يكتب تذكرة دواء) .

فرانسيس : المسألة بإيجاز عبارة عن إجهاد عصبي ، ودواء مقوى يفيدك في هذه الحالة .

كاـــود : سيكون في وسعك أن تذهب لتطمئن والدتي . . وعلى كل حال لست أفهم لماذا يقلق المرء باله من أجل أمر تافه لا يستحق كل هذا العناء .

فرانسيس : والواقع أن ذلك يرجع إلى المرض الذى أفضى بوالدنا إلى الموت . . أتفهم . . ولكن لا علاقة بين هذا وذاك . (ينهض) إليك هذه الوصفة . . ملعقة مرتين في اليوم الواحد قبل تناول الوجبتين الرئيسيتين. والآن ياصغيرى . .يجب أن أذهب بأسرع ما يمكن .

كلـــود : اصغ إلى . . كنت أود أن أنتفع بانفرادنا . .

ولكن يجب أن تعدنى بأن تقول لى الحقيقة . . أليس كذلك ؟ إننى أعتمد على ذلك . . وهذه هى المسألة .. إنها بخصوص ما حدث منذ زمن في «سان — لو » .

فرانسيس : كنت أرتاب ريبة قوية في أن هناك شيئا يشغلك .

كلـــود : إن الأمر يتعلق بى . . أريد أن أعرف مثلا إذا كنت قد أيدتنى حينما صفحت عنها ، فهل أيدتنى ؟ . .

فرانسيس : أنت تعلم جيداً أننى لم أسمح لنفسى مطلقاً بأن يكون لى رأى في هذا الموضوع . . وفي مثل هذه الحالة يتصرف كل إنسان بما يمليه عليه قلبه أو ضميره أو أى أمر شئت . . وأعترف لك بأننى لا أفهم معنى سؤالك .

كلـــود : ألم يدهشك ما فعلت ؟

فرانسيس : كلا . . مطلقاً . . لأننى أعرف شخصيتك ومعتقداتك . . يا إلهى ! . . بل و . . .

كلـــود : (بلهجة غامضة) — ومهنتى ! ؟ . .

فرانسيس : من حيث ارتباطها بشخصيتك . . أجل . . بلا شك ..

كلـــود : لقد وجدت هذا أمراً طبيعياً جداً . .

فرانسيس : ولكن.. قصارى القول.. إلى أين تريد أن تصل ياصغيزى

كلــود : هذا بالذات ما كنت أريد أن أعرفه .

فرانسيس : إنى مازلت أعتقد حتى اليوم ، أنما فعلته حينئذ كان يتمشى مع أساوب الحياة الذى أرتضيته لنفسك (صمت)

كلــود : شكراً . . لقد أجبتنى في وضوح تام .

فرانسيس : (يأخذ رأسه بين يديه) وأخيراً . . ماذا يعنى هذا كله؟ أيمكن أن يكون الأمر مثلا ؟ . . لا بأس أن أؤجل عيادتى لمريضى بعض الوقت ، فلينتظر . . إنى أريد أن أتبين المسألة في وضوح .

كاــود : أوكد لك أنه لا أهمية لذلك على الإطلاق . .

فرانسيس : إنك على وشك الإصابة بلوثة . . لقد أخطأت خطأ شنيعاً حينما لم أطرد هذا المسمى ميشيل سانديبه . . ذلك لأنه مما لاشك فيه أن . . .

كلــود : إذا كانت حياتى يعتورها شيء من اللبس والغموض. . فقد كان من الأفضل أن أبدده .

فرانسيس : لَبْس ؟

كلــود : إذن ، فربما لم تفهم ما أريد ؟ . المسألةأن المــرء قــد يعيش أعواماً طويلة على فكرة معينة عن نفسه ، ويعتقد أنه يستمد منها قوته . ثم يلاحظ في النهاية أنه ربمــا كان مخطئاً في ذلك خطأ فاحشاً .

فرانسيس : ومن الذى يتحدث عن ذلك ؟

كاـــود : ربما . . بل إنه لايستطيع حتى أن يتأكدمن ذلك ، وبالتالى لايستطيع أن يعرف . . .فيحس بالضياع . . . أخيراً كان ينبغى أن تكون أفكارى وأقوالى القديمة شفافة بالنسبة لى . . وكان يجب أن أتعرف على نفسى وكأننى في منزلى الخاص . . حسناً إن الأمر الآن على خلاف ذلك . . ولم أعد أستطيع النفاذ إلى نفسى .

فرانسيس : إنك تبدو لى في هذه اللحظة ، وكأنك تقوم بتفليق الشعرة إلى أربع شعيرات . .ولكن خذ حذرك هذا كل مافي الأمر لأن هذه التأويلات المــوغلة في البروتستانتيه لاتخلو من أخطار .

كلـــود : هذه الاخطار . . أنا لا أخشاها . إننى ألتقى كل يـــوم بـــأناس . يعتبروننى ضميرهم الخاص . .

فرانسيس : هذه غلطتهم فليتحملوا وزرها .

كاـــود : إننى إذا لم أجد الشجاعة لاستشفاف مافي نفسى .

فرانسيس : إنها ليست مسألة شجاعة . . . (ينهض) هيابنا . . . يجب أن أتركاك الآن . .

ولكن . . احترس ، فإن هذه الحماقات تكلف. . . وأحياناً تكلف كثيراً .

كلــود : تحدث إلى يافرانسيس بوصفك إنساناً . . لا بوصفك إخصائياً . .

المنظر الثاني

الأشخاص انفسهم ـ ادميه

إدميـه : هذا أنت ؟ لم أكن أعرف أنك هنا .

فرانسيس : إنها أمي التي طلبت مني المرور من هنا . . فإن صحة كلود قد أثارت القلق في نفسها ، وأنت تعلمين أنها تجزع سريعاً .

إدميـه : فماذا وجَدْتَ ؟

فرانسيس : لاشيء . . مجرد إرهاق عصبي بسيط ، الضغط عادى والقلب سليم (بصوت منخفض) حسن . . هل وصل الساكن الجديد ؟

إدميـه : أجل . . إنه الآن يضع أدوات حمامه في حجرته . .

فرانسيس : آه . . آه . .

إدميـه : أجل . . فهذا هو شغله الشاغل الآن .

فرانسيس : إلى اللقاء . . ياعزيزى . . أستطيع الاعتماد عليك . . أليس كذلك ؟ إلى اللقاء يا إدميه . . (يخرج) .

المنظر الثالث

كلود ـ ادميه

إدميـــه : وهكذا تشعر بأنك مريض .

كلـــود : كلا ، على لإطلاق . . وأحب أن أقول لك مرة أخرى إنها أمى التى خيل إليها . .

إدميـــه : (شاخصة إليه) إن وجهك شاحب اللون .

كلـــود : دعينى من هذا .

إدميـــه : أه ! إنها غلطتى . . آه لو علمت كم أحقد على نفسى .

كلـــود : لقد كشفتِ لى عن أعمق أعماق فكرك . . فليس من حقى إذن أن ألومك على ذلك .

إدميـــه : أعمق أعماق فكرى ! ولكن هل أعرف أنا هذه الأعماق ؟

كلـــود : ألا تذكرين أول من أمس ؟ . . .

إدميـــه : بلى ، وقد كنت مخلصة فيما قلت ، ولكن لا أدرى ، لاشىء يثبت للبحث ، لاشىء يتسم بالصلابة ، وهذا الذى تظنه أرضاً صلبة قد يكون هوّة .

كلـــود : إنها كذلك ، إنها هوّة .

إدميـــه : غير أن هذه الهوة نفسها تزول بامتلائها .

كلـــود : هذا يعنى أننا نغض عنها نظرنا .

إدميـــه : أؤكد لك أن الاكتشاف الذى بدا لك عميقاً والذى آلمك إعلانه لم يصبح شيئاً . . بل إننى أعجب كيف أمكن تصديقه. فلتعلم أننى فكرت ملياً منذ ذلك اليوم . وعندما تظهر هذه الومضات فجأة ، فليس على المرء إلا أن يغمض عينيه . . ولابد للمرء أن يثق في نفسه .

كلـــود : حسن . . إناك تخدعين نفسك عامدة ، كما أنك تعيشين على أوهامك . أما أنا ، فلا أستطيع . .

إدميـــه : (مرتجفة) . . هل أستحق أنا ، لما كان منى حتى الآن ، هذا اللوم ؟ تكلم . (صمت ثم تقول في حزم) ليس من حقك أن تشك في نفسك . . إنك هنا لكى تمنحنا القوة . . إنها مهنتك أولا وقبل كل شيء. . إننى لاأستطيع أن أحتمل فكرة أستسلامك . وأخيراً. فكر في المحنة التى أجتازها الآن . . ذلك الرجل . . فإذا لم أجد فيك سنداً . .

كلـــود : (بعمق) . . . لقد اعتقدت أن هذا العفو كان عملا

من أعمال الإحسان ، عملا يليق برجل مسيحي (حركة من إدميه) . فإذا كنت لم أقصد به إلا الهرب من الفضيحة أو العزلة . . . أما الآن وقد أرغمتني على أن أفتح عيني ، فإنك جئت تضعين راحتيك فوقهما لكي يسود الظلام مرة خرى . . فماذا تريدين مني إذن ؟ وماذا فعلت لك ؟ .

إدميه : إنني ضعيفة . وينبغي لك أن تساعدني .

كلود : لايصح أن يكون ذلك بأي ثمن ، ولا على حساب كذبة ما . . إنني لا أستطيع ذلك ولا أريد . . (صمت طويل) . .

إدميه : (في لهجة مختلفة) . . حسن ، إنك على حق في نهاية الامر إذ يجب أن نواجه الأمور مواجهة حقيقية.

كلود : لا سبيل إلى غير ذلك . . .

إدميه : ولكن ، ألا تعتقد أن أسئلة كثيرة ستعترض سبيلنا ؟ فنحن لسنا وحدنا في هذه المسألة .

كلود : هل تعنين أسموند ؟

إدميه : لا أعني أسموند وحدها . . وهذا الرجل الذي أوشك على الموت . . لأي شيء نرانا ضحينا به ؟

كانـــود : كـــفى .

إدميــــه : إنى أجيب عوضاً عنك : إننا ضحينا به في سبيل أنانيتنا ، في سبيل جبننا .

(نحس أنها على وشك البكاء . . تشيح بوجهها عن كلود ، وتهتز كتفاها برجفة تشملهما) .هذا إذن هو كشف الحساب . ومسئوليتى في ذلك ليست أقل من مسئوليتك .

كلـــود : (في شبه وثبة) ومع ذلك فقد أنقذتكما أنتماالاثنين.

إدميــــه : ممّ ؟

كلـــود : ماذا كنت تصبحين بغيرى ؟ كان من الممكن أن يخدعك بدورك .

إدميــــه : فلنفرض ذلك . . فماذا كان جزاء إخلاص = = كإخلاصك ؟

كلـــود : لابد أنه سبب لك العذاب .

إدميــــه : إنك تعلم أنه عندما يكون الحنان مجرد فضيلـــــة وظيفية . . .

كلـــود : والصغيرة . . إذا كان قد أصبح له ملاذ . .

إدميــه : ياله من ملاذ دافئ ! . . أوه . . إنني أفهمك جيداً ، فهذا الإفلاس الذي يواجهنا . .

كلــود : لا إفلاس هناك ، وأيا كانت نقط ضعفي ، فأنا دائما كما أتصور نفسي . . . ومن العبث أن تحاولي هدمي.

إدميــه : ربما كانت هناك وسيلة لإثبات ذلك .

كلــود : لإثبات ماذا ؟

إدميــه : إنك كنت دائماً كما تتصور نفسك .

كلــود : لماذا يوجد كل هذا الخبث في عينيك ؟ ماذا صنعت لك ؟

إدميــه : إنك لم تصنع بي شيئاً . . . لقد كنت أنت نفسك . . وكنت أنا نفسي ثم تزوجنا . . وهذا يكفي . . أما ما تسميه بخبثي . . فأنت تعلم أن عشرين عاماً من العذاب . .

كلــود : من العذاب ؟

إدميــه : إني لم أكن أعرف ، أنا نفسي ، كم تعذبت . . فقد نسيت ذلك . . إنني لم أحس بذلك إلا في الأوقات الأولى ، قبل أن ألتقي بميشيل ، وعندما علمت أن الحب بالنسبة لك . .

كاــود : بل لقد أحببتك بهذه الطريقة .

إدميــه : كلا . . لقد كانت لديك قوة صحيحة غير منقوصة وقد أنفقتها معى كمــا لو كنت تنفقها مع ابنة لك . ولكن . . ليس هذا هو الحب ، وأنت تعلــم ذلك جيداً . . أما غير ذلك ، أما حبك لروحى ، أمــا المرأة التى توجد داخل نفسى ، فإنك لم ترضها ، بل إنك لم تفطن إلى وجودها . . .

كلــود : المرأة التى في نفسك ؟

إدميــه : أجل . .إنك لا تستطيع أن تفهم . . أوه . . مــن المحتمل ألا يكون هذا ذنبك . . إن ذلك كله هو الضريبة التى دفعتها على فصائلك . (صمت)

المنظر الرابع

الأشخاص أنفسهم ـ فريد

فريــد : (يفتح الباب بهدوء) ـ عفواً . .

إدميــه : ما هذا ؟ من الأفضل في المستقبل أن تقرع الباب . . أتفهم ؟

فريــد : بالطبع ، إنه لن يدخل .

(يلقى نظرة تساؤل على كل من كلود وزوجته)

إدميه : برميل الحمام ؟

فريد : لست أدرى ما ينبغى فعله ، وقد جئت ألتمس لديكما النصيحة . إذ أنى قد دفعت من أجله رسوماً زائدة على متاعى تبلغ مائتان من الفرنكات ، فهل يستطيع المرء بيعه ؟ (موجهاً كلامه إلى كلود) يا سيدى . . ثمة نصيحة أخرى ألتمسها عندك . هل تستحق دروس « لا فيل » عناء حضورها حقاً ؟ هناك من يقول إنها هائلة . . ولما كان والدى قد كتب إلى أن أنتفع إلى أقصى حد من إقامتى . . غير أن ما يحيرنى هو أن أستاذ السلاح الذى يقيم هنا بالقرب منا يلقى دروس الشيش فى الوقت نفسه ، ولما كانت أمى قد أوصتنى بألا أهمل التمرينات الرياضية . . . سيدى ، ماذا تعتقد ؟ أيمكن أن تكون هذه الدروس حقاً هائلة ؟

إدميه : دروس « لا فيل » أم دروس الشيش ؟

فريد : « لا فيل » ياسيدتى . . فإننى أعلم ما هو الشيش . .

إدميه : من العسير أن أرد عليك الآن ، فنحن مشغولان فى هذه اللحظة . . بعد قليل . . أليس كذلك ؟

فريد : أرجو المعذرة (يخرج) .

المنظر الخامس

كلود ــ ادميه

إدميــــه : وفي ظرف ثلاثة أعوام سيكون هذا الصبي في إحدى مصحات الأمراض العقلية بجبال الجورا .

كلــــود : (في صوت مختنق) ــ ماذا كنت تريدين قوله في هذه الساعة ؟ ما هو هذا الدليل ؟

إدميــــه : أتريد أن تعرفه ؟

كلــــود : ما هــــو ؟

إدميــــه : حسن . . لقد شاهدته مرة أخرى .

كلــــود : أكنت عنده ؟

إدميــــه : لقد ضربنا موعداً عند « لوتسيا » حيث يقطن . . ثم خرجنا معاً . ولكنه كان لا يكاد يستطيع المسير ، ولم يلبث التعب أن استولى عليه ، فجلسنا على إحــــدى الأرائك الخشبية .

كلــــود : ثم ؟

إدميــــه : لم يعد يوجه إلىّ أى لوم . . . وكانت الحال أسوأ

منها في اليوم الآخر . وظل يحدثني عن مرضه ، كما سألني بوجه خاص عن أسموند ، وسألني متى يستطيع أن يراها مرة أخرى .

كلـــود : (بقوة) ـ إنني لا أريد أن يراها مرة أخرى . .

إدميـــه : (بلهجة غامضة) ـ هكذا أنت .

كلـــود : ولكن ، بأية حجة ؟ لقد أثرنا الاضطراب في نفس الفتاة الصغيرة ذلك المساء ، وفي هذه الحالة سنضطر إلى مصارحتها بكل شيء . . وهذامستحيل ولـــن تستطيع احتماله . .

إدميـــه : أتعتقد أنها ضعيفة إلى هذا الحد ؟

كلـــود : أتحتملين أنت نفسك يا إدميه مجرد فكرة . . أن تحكم عليك ابنتك ؟

إدميـــه : إذن . . فمن أجلي تصنع ذلك ؟ كلا . . أرجوك. . . إنني لست مغفلة لأصدق هذه المهزلة .

كلـــود : إنني أفهم الآن ما يدور بفكرك .

إدميـــه : جائز .

كلـــود : ولكن . . هذا خطأ ، إنه ليس جبناً ، وإنمـــا لأنني أرفض أن ألقي الاضطراب في نفسها بلا فائدة .

إدميــه : هنا يكمن جوهر المسألة .

كلــود : إننى أكرر هذه العبارة . . بلا فائدة ، إنها لا تستطيع أن تفعل شيئاً ، ولا يستطيع إنسان أن يفعل له شيئاً . . إنه ضائع . . إنه شخص ضائع .

إدميــه : لست أدرى لماذا تصرخ هكذا . . لقد طلبت منك أن تجيب بنعم أولا . . . وأقرر أنه في اليوم الــذى يطاب منك فيه القيام بتضحية حقيقية . .

كلــود : ليس هذا صحيحاً .

إدميــه : لقد قلت تضحية حقيقية .

كلــود : ليس ذلك لأنها تضحية .

إدميــه : ستلتمس أسباباً . . وأسباباً وجيهة ، لكى تمتنع عن القيام بهذه التضحية .

المنظر السادس

الأشخاص أنفسهم ـــ أسموند

أسموند : (تدخل بسرعة وقد أمسكت بيدها خطاباً) أبى . . . آمل أن يكون هذا الخطاب قد أرسل على غير علم منك ؟

كـــود : أى خطاب ؟

أسموند : (تناوله الخطاب) ـ اقرأ

إدميــه : هل أعطاك هذا الشخص خطابى ؟ إنه كامل . .

أسموند : (موجهة الكلام إلى أبيها) ـ ماذا تقول عن هـــذه التلميحات ؟

كـــود : اسمعى يا عزيزتى ، لو أننا وافقنا على أن أملك قـــد أمعنت قليلا في حذرها . .

أسموند : ليس في الموضوع أى حذر . . ما هذه الطريقة التى تريدان أن تحمياني بها وكأنني جماد ؟

كـــود : وبعد ! ليس في هذا ما يجرح الشعور . . فمن الطبيعى لمن في مثل سنك ألا يلاحظ بعض الأخطار .

أسموند : أية أخطار ؟ أنا ألح في وضع النقط فوق الحروف .

كـــود : إن والد هاتين الفتاتين الصغيرتين . .

أسموند : أتخاف أن يكون في رؤيتى مايسره ؟

حسن . . هذا أمر طبيعى ، ولم يكتمه عنى . . وعلى كل حال فهو أرمل .

كـــود : أسموند . إن زوجته ما زالت على قيد الحياة . .

أسموند : إنه أرمل . . ولو أنكما امعنتما في دفعي إلى النهاية المحتومة . . .

إدميــه : أهذا تهديد ؟

كلــود : (بصوت منخفض إلى إدميه) ـ اتركيني لحظة معها

أسموند : أبي . قل لها إنها ارتكبت فعلة سيئة .

إدميــه : إنني لا أحبذ هذه المحادثات . . ولكن إذا كان هذا يسرك . .

أسموند : إن أمي على حق . . فلن يفيد ذلك شيئاً .

(يقترب كلود منها ويضع يده برقة على كتفها . تنظر إليه . إدميه بابتسامة خبيثة .خبيثة . ثم تخرج).

المنظر السابع

كلود ـ اسموند

كلــود : عزيزتي . .إنك تقفين على مزلق خطر .

أسموند : هذه الكلمة أيضاً !

كلــود : لقد فهمت اليوم معنى ترددك في اليوم السابق .

أسموند : ثم ؟

كلــود : هذا الرجل . .

أسموند : إنك لاتعرفه ، ولاحق لك في الكلام عنه .

كلـــود : مجرد أنه أعطاك ذلك الخطاب لقراءته . . .

أسموند : إننى أنا التى طلبت ذلك .

كلـــود : وما هى ، إذن ، علاقتكما ؟

أسموند : إننى أعتقد أن جوانحه تنطوى على عاطفة قوية نحوى ، وأنا أيضاً أحبه كثيراً .

كلـــود : ولكنك لم تعودى طفلة ، ولا يمكن أن تتجاهلى أنه قد يكون في عاطفته نحوك شيء من الشر ..

أسموند : أتقصد من الناحية الجسدية ؟ إننى لا أشك في هذا لحظة واحدة . (صمت)

كلـــود : مازلت مقتنعاً أنك لو واجهت الواقع لفهمت . . إن هذا الموقف لامخرج له .

أسموند : ربما لم يكن هذا يقينا مطلقاً .

كلـــود : أتفكرين في وفاة زوجته ؟

أسموند : أوه ! هذه المرأة ، إنها ستدفننا جميعاً .

كلـــود : ثم . . (صمت) . وأخيراً ماذا تأملين ؟ وعلى أى شيء تعتمدين ؟

أسموند : إنني لا آمل شيئاً ، ولا أعتمد على شيء، كل مافي الأمر أنني في حاجة إلى النظر في نفسي بوضوح .

كلــود : أرأيت ، إنك لست متأكدة حتى لها تشعرين به . . ولحسن الحظ ، يا إلهي !

أسموند : ليس هذا ما قصدت على الإطلاق أن أقوله . . إن ما أسميه النظر إلى نفسي بوضوح معناه أن أعرف ماهو الخير وما هو الشربالنسبة إلىّ (حركة من كلودا) إنني لا أوهم نفسي بشيء بالنسبة لطبيعة مشاعره . بل لو أنه لايضمر لى غير مجرد الصداقة المشوبة بالإجلال ، لاعتبرت نفسي سعيدة بذلك ، بالرغم من أنه قد يصدمك هذا التصريح . كلا . . وأعتقد أنني إذا أرتكبت عملا من أعمال الطيش ، فإنه سيسر كثيراً باستغلاله . . إن الرجال جميعاً سواء. (حركة من كلود) . وأنت يا أبي تفهم جيداً أنك لاتستطيع الحكم على ذلك . وهذا العمل الطائش ليس لى إلا أن أتجنبه ، أو أن أفعله وأنا على بينة من أمرى .

كلــود : (يتحكم في أعصابه بمشقة) إنك تتحدثين في هذه اللحظة كطفلة . . أو أنك بالأحرى تبحثين عن

وسيلة لخداع نفسك ، والحق يا صغيرتى المسكينة أنك حائرة بصورة فظيعـــــة .

أسموند : كلا ، على الإطلاق ، وإنى أؤكد لك ذلك .

كاـــود : إن صوتك يرتجف . .

أسموند : في اليوم الذى أتأكد أن هناك تحيزاً . .

كلـــود : بالضبط ، إن هذا اليوم لم يأت بعد .

أسموند : ما هذه المتعة التى تجدها في إثارة القلق في نفسى ؟ أوه ! إنني أعلم جيداً أن مهنتك هى ألا تترك الناس في هدوئهم .

كاـــود : بل إن من واجبى أن أجعلك تواجهين نفسك . .

أسمـــوند : ماذا تريد ياأبى . . إنها ليست أكثر من كلمات بالنسبة إلىّ .

كلـــود : إن واجبى هو أن أحذرك من ذلك النوع من الغرور ، أجل من الغرور الذى تشعرين به عندما تفكرين في أن رجلا ما يضمر لك عاطفة مبهمة .

أسموند : ليس هذا من الغرور في شيء فلأول مرة .. وربما للمرة الوحيدة في حياتى يفكر فيّ شخص دون أن يربطنى بصورة البيت المسيحى ، والعش الذى ترفرف

عايه التقوى . ولكنى في حاجة إلى أن أعيش بنفسى ، أما فكرة الوجود الذى ينزلق فوق قضبان ، فإنها تفزعنى ، ولست أدرى ما إذا كان هذا نوعا من الدونية . . ففى حياة رتيبة كحياتنا إذا لم تتح لنا الفرصة للاعتقاد . .

كلـــود : أتتصورين . . أنها ليست سوى مسالة حظ ؟

أسموند : أجل . . إن الإرادة لا تجدى هنا شيئاً . .ولقد حاولت بما فيه الكفاية . .

كلـــود : (في مرارة متزايدة) ــ إذن ، ينبغى أن نأخذ هذا الاستخفاف موضع الجد ، أعنى هذا الطيش الهادئ . . إنك توازنين بين الأسباب الدافعة والأسباب القابضة ولا شيء يتحرك في نفسك حين يخطر لك أن توجهى الإهانات . .

أسموند : ربما لم يكن في ذلك إهانة . .

كلـــود : إنك عندما تتحدثين عن حياتنا الرتيبة . . .

أسموند : إن جميع التضحيات التى طُلبت منى حتى الآن تبدو لى باعثة على الاستهزاء والمذلة . . ولم يتغير شيء، لم يتغير شيء على الإطلاق منذ أن كانوا يحثوننى على

أن أعطى لأطفال الدائرة الفقراء أعز هدايا العيد على نفسى . . وكذلك الأفعال اليومية الطيبة التى يجب أن تسجل في دفترى الجلدى الصغير . . إن هذا النوع من الأخلاق تتقزز منه نفسى . وإنى أوافق معاك أنني أقف على حافة . . . هوة . .

كلـود : لقد أفسدتك كتب الأدب الرخيص .

أسموند : الأدب ، يا أبى ، إنه هو عذاب الآخرين . . . ومن العظيمة التى أغدقت عليك أنك لم تتعرض لبعض ألوان الإغراء .

كلـود : (وكأنه يتحدث إلى نفسه) . . هذا غير محتمل . .

أسموند : يبدو لى أن هذا التفوق نفسه . . يقتضيك نوعاً من الضريبة .

كلـود : وأنت أيضاً . (ثم فجأة) والآن ، استمعى إلى : أنك تزعمين أن الحياة هنا يسيرة ومتشابهة أكثر من اللازم ، وتشكين لأنك لاتجدين العمل الذى يسمو إليك . . حسن ، مادمت ترغميننى ، فسوف أنزع عن بصرك هذه الغشاوة . .أولا . . . نحن لسنا أسرة كغيرنا من الأسر . . .

أسموند : ماذا تريد أن تقول ؟

كلـــود : ليس من اليسير أن تصدري حكمك على أي إنسان كان . أتفهمين ؟

أسموند : تبدو عليك التعاسة .

كلـــود : (مناجياً نفسه) . . إنني لا أستطيع احتمال ذلك . . ! !
(يكز على اسنانه)

أسموند : أهناك أمر خطير في حياتك لا أعرفه ؟

كلـــود : لقـــد أقسمت ألاَّ تعرفـــي ذلك مطلقـــا ، والآن ولو أنني بحت لك به لما كان ذلك عن طيب خاطر .
(ينهض ويذرع الغرفة وهو فريسة لانفعال شديد)
ما أشد ما تساء معاملتي ! ولشد ما يظلمني غيرى لحظة الانفجار مالسبب الاساسى في بَتوْحه بسرّه لها.

أسموند : كيف أسأت معاملتك يا أبي ؟

كلـــود : أتمنى لو أن كل شيء قد انتهى بالنسبة إليّ(١) . .

أسموند : (في مرارة) . . لما كان لاينتهى شيء أبدا بالنسبة لأى إنسان (صمت) .

كلـــود : سينجلي الأمر عن أني لم أخلف شيئاً ، عن أني لم أحفظ أحداً من الضياع ، وإني لأسأل نفسي لماذا عشت . . إنك الآن في منتصف الطريق إلى الضياع .

---

(١) يقصد مسؤوليته كمذنب لها .

أسموند : (منفعلة مخالطة في القصد) ـ بل كلا .....

كلـــود : بلى .. بلى ، لقد كنت في هذه الساعة ترهصين بسقوطاك ..

أسموند : في مقدورك أن تمنع كل شئ .. أولا بأن تثق بي ، وأيا كان هذا السر ، فإنى أريد أن أشاطرك إياه .

كلـــود : إنك لاتدرين ما تطلبين.

أسموند : أنا أشجع مما تعتقد ..

كلـــود : وهذا معناه أنك لاتعرفين شيئاً عن الحياة .. لاشيء على الإطلاق ... لاشيء ... (بغتة) أسموند ، إننى لست أباك (فترة صمت طويلة) .!!

أسموند : (مذهولة) ـ ماهذا الذى تقول ؟

كلـــود : لقد سمعت جيداً .. أننى لست أباك . (بتاكيد انفعالى)

أسموند : أوه يا أبي .. هل أخمـّن ؟ هذا الرجل الذى كان هنا ذلك المساء ، ونظر إلىّ تلك النظرة .. تلك النظرة ..

كلـــود : أجـــــل .

أسموند : (بكراهية) ، وهي .. أوه... إننى .. ...

كلـــود : (باطف) ــ صه !

أسموند : أبي (تنهمر الدموع من عينيها ، ويضمها كلود إلى صدره) إن رأسي يدور .

كلـــود : إنني أطالب صفحاك ياعزيزتي المسكينة . .

أسموند : كلا . . .

كلـــود : كان ينبغي لى ألا أبوح لك بهذا السر على الإطلاق . .

أسموند : سينقضي كل هذا . . . وينبغي أن أعتاد عليه . .

كلـــود : يا لصغيرتي المسكينة !

أسموند : على شرط أن تشرح لى كل شيء . . فإن من حقي أن أعرف كل شيء.

كلـــود : يا عزيزتي . . . إنها قصة شنيعة ، ولا داعي لمعرفة التفاصيل ، ولا ينبغي أن تسألى . . أحداً ــ صدقيني . . إنها قسوة لامبرر لها .

أسموند : وكنت أتخيل أن لى أسرة . . (بحسرة ومراره)

كلـــود : يجب النظر إلى الأشياء نظرة سامية . . (تنظر إليه أسموند) . لقد كنت محبوبة حباً رقيقاً .

أسموند : محبوبة مناك .

كلـــود : منا (حركة من أسموند) إن هذه الكارثة لم تجثم مطلقاً على حياتك .

أسموند : هل تعتقد ذلك ؟ أما أنا فانى أدرك جيداً ..

كاـــود : وحتى الآن ، بعد أن كشفت لك عن هذا السر .

أسموند : (في دهشة مستورة) ــ هل تريد أن تقول إنه لن يتغير أى شىء على الإطلاق ؟ . .

كلـــود : عزيزتى .. افهمينى .. إننى لا أطلب المحال ، ولكن من حقى أن أطلب منك . . .

أسموند : ماذا ؟

كلـــود : أن تمتنعى عن إصدار أحكام معينة .

أسموند : ولكن ، أنصت إلى ، إننا لانتحكم في أفكارنا .

كلـــود : إلى حدما . . ولكن ، تروى . . فسيكون ذلك باعثاً على النفـــور .

أسموند : وبعد . . فهذا شىء غريب جداً . . . ولكنه يبدو في نهاية الأمر وكأنه لم يكن كشفاً . . . قلت لى إنه لاينبغى الحكم على أمى ، ولكننى أشعر أننى كنت أحكم عليها دائمـــاً . . ففضائلها ، وعطفهـــا . . وإحسانها ، وتقشفها ، كل ذلك لم يخدعنى قط . . وكأنى قد فطنت إلى أن هذا كله . . لم يكن هى . .

ولكنها تصبح هي ذاتها عندءا ترمياك بالخطأ . . أو . .

كلـــود : إنك تسببين لى ألماً مخيفاً . . ولا أستطيع أن أحتمل منك الحديث عن والدتك على هذا النحو .

أسموند : إذن لابد من الاستمرار في النفاق . . حتى ولو لم يوجد غيرنا نحن الاثنين !

كلـــود : يجب أن تحترمى أمك .

أسموند : أتحب أن أقول لك الحقيقة ؟ إنى أشعر كما لو كان قد انزاح عن صدرى عبء ثقيل . . أما قبل ذلك ، فلم أكن أجروء على الاعتراف لنفسى بأننى . .

كلـــود : بأنك ماذا ؟ . .

أسموند : أما الآن فإنى أجروء على . . (صمت) . . كل مافي الأمر . . أوه . ! . يا أبتى ! لو كشف كل شيء منذ زمن بعيد ، أو لو حدثت فضيحة ، وأرغمت على الرحيل . . وأبقيتنى أنا معك ، كان من الممكن أن يحدث هذا كله على كل حال . . . وحينئذ كنا نعيش نحن الاثنين في أسعد حال . .

كلـــود : أسموند !

أسموند : كان كل شيء يسير وكأنها ماتت . . لا أكثر ولا أقل . . إن موت فرد في الأسرة لايعتبر مصيبة في كل

حال . . ما أكرمك ! وكان يجب أن تحادثنى عنها ، وإلا لربما اعتقدت أنها شخص يستحق الندم عليه .

كلــود : ولكن هذا الذى تقولينه فظيع !

أسموند : والآن ، من الحق أنك كنت كريماً إلى أقصى حد . . ولم ترد أن تفصلنى عنها ، يا إلهى ! كما لو كنت . . أو لعلك استبقيتها ، معتقداً دائماً أن في وسعنا إنقاذ الناس رغم أنوفهم . . أجل . .من يدرى ماكان قد يحدث لو أنك لم تغفر لها ؟ إننا نستطيع أن نسأل أنفسنا دائماً . . ولحسن الحظ أن ذلك لم يحدث ، أليس كذلك ؟ إن الأمور لم تسر على هذا النحو ؟

كلــود : (بمجهود) — كلا . لم تجر الأمور علىهذا النحو .

أسموند : هذا خير . وإذا كان على أن أفكر في أنك قد مثلت هذه المهزلة خلال عشرين سنة . . فإن هذا من شأنه أن يفسد على حنانك . أبى ! لقد آلمتك منذ لحظة ، وكان يبدو على أنى لا أفكر إلا في نفسى . . ولكن فاعلم أننى أحبك حباً جماً ، وأنت تعلم ، والآن وقد قام هذا السر بيننا . .

كلــود : كلا . . كلا . لقد كنت مخطئاً . .إنك لست غير طفلة ومن شأن الأطفال ألا يرحموا . . .(في حماس

يائس) : صغيرتي أسموند . . يجب أن تقسمي لي على أن هذه الأفكار الفظيعة لن تعود مطلقاً . . .

أسموند : أية أفكار ؟

كلـــود : إذا كان لا بد من أن أفقدك على هذا النحو . . فلماذا تبتسمين ؟

أسموند : تبدو كما لو كنت تريد استغلال الموقف . . ولكنني أفهم موقفك . . إنك محطم تماماً . . مريض . . وحين أفكر في أنك كنت منذ اثنتي عشرة سنة أو خمس عشرة سنة ، لاتعرف . .

كلـــود : (في صوت منخفض جداً ، كما لو كان يعتريه الخجل) كلا . . لم أكن أعرف . .

أسموند : يا أبي المسكين الحبيب (تقبله) . .

المنظر الثامن

الأشخاص أنفسهم ــ مدام ليموان

مدام ليموان : (متأثرة) ــ آه . . هذا لطيف . . صبـــاح الخير يا حبيبتي . . قل لي . . يا كلود . . إنني مسرورة كل السرور لما أنبأني به فرانسيس .

أسموند : وبماذا أنبأك يا جدتى ؟

مدام ليموان : ألفيت أباك شاحب الوجه ، فطلبت من عمك فرانسيس أن يمر لرؤيته . .ويبدو لحسن الحظ ، أن الأمر غير خطير (إلى كلود) . يلوح كأن عينيك حمراوان ؟

أسموند : إنها ذرة من الغبار .

مدام ليموان : لاتدعكهما أبداً . . فإن ذلك يزيدهما التهاباً (إلى أسموند) ياصغيرتى العزيزة . . إن أمك تبلغك بأنها في أشد الحاجة إليك . . وأعتقد أن الأمر يتعلق بقائمة مشتريات عيد الميلاد .

أسموند : إن أمى ليست في حاجة إلى نصائحى . .وأوكد لك أن كل شىء سيتم سريعاً . .إلى اللقاء العاجل ، ياجدتى . . . . (تخرج) .

المنظر التاسع

كلود ـ مدام ليموان

مدام ليموان : حسن . . ماذا قالت لى مدام هورسو منذ لحظة .

كلود : وكيف تريدين أن أعرف ؟

مدام ليموان : إنهم ينوون تعيينك في أبرشيــة كبيرة على الضفــة اليمنى . . في شايو .

كلـــود : تعلمين أنني لا أريد أن أسمع شيئاً عن ذلك .

مدام ليموان : ويبدو أن الاقتراح سيعرض عليك بشروط مرضية جـــداً . . . .

كلـــود : ليس من عادتي أن أرضخ لأى ضغط ، واليوم الذى أغادر فيه شارع اليزيا . . .

مدام ليموان : ماذا ؟

كلـــود : لن يكون ذلك لكى أذهب إلى شارع « مارسو » .

مدام ليموان : ياطفلى العزيز . . ليس لى أن أقدم إليك أية نصيحة ، ولكننى لا أفهم لماذا لاتريد أن يكون لك مستمعون أجدر بك .

كلـــود : ليست المسألة مسألة مستمعين .

مدام ليموان : لست وحدى التى أرى أنك بفصاحتك . .

كلـــود : إننى لست محاضراً . . .

مدام ليموان : كان أبوك رحمه الله يقول دائماً : « إن مكاننا هو حيث نستطيع أن نؤدى أكبر قدر من الخدمات » .

كلـــود : موافـــق .

مدام ليموان : كانت مدام هورسو تردد منذ لحظة أن كثيراً من الناس الذين يسعدهم سماعك يخشون بعد المسافة .

كلــود : هناك الترام . . والمترو على بعد خمس دقائق . . .

مدام ليموان : أشخاص تستطيع أن تفيدهم . . مثقفون .

(حركة من كلود) . . ولست أنا التى أشرح لك كيف أن الحياة في باريس تستغرق الناس .

كلــود : إن وقت هؤلاء الناس ثمين جداً (فجأة) ثم هناك خبر قد أعلنه إليك قريباً ، . خبر حقيقى .

مدام ليموان : (في انفعال) ستعود إلى الاشتغال برسالتك عن ميلانشتون . . كلود ، يالها من سعادة !

كلــود : إن الأمر يتعلق بذلك .

مدام ليموان : وا أسفاه !

كلــود : إنه يتعلق بمنصبى الدينى . فلما كنت ، للأسف ، أقل منك ثقة بمواهبى الكهنوتية ، أو حتى . . = = (يتوقف) .

مدام ليموان : ماذا تقول ؟

كلــود : (وكأنه يحدث نفسه) ــ لقد ضقت ذرعا ، لقد ضقت ذرعاً .

مدام ليموند : أخشى حقاً ألا يكون فرانسيس قد فحصك جيداً .

كلـــود : إذن كان الأمر يهون . . ومع ذلك . . فأنت على صواب . . إننى مريض . . مريض إلى درجةالموت .

مدام ليموان : يا إلهـــى !

كلـــود : اطمئنى . . ليس فيّ مريض غير ضميرى .

مدام ليموان : لقد أفزعتنى فزعاً . . ياكلود . . أنا التى تحتبس أنفاسى لأقل شيء !

كلـــود : إذا كنت انفجر حزناً واشمئزازاً من نفسى ، فماذا يفيدنى أن أكون جيد الهضم . . هأنذا ، منذ لحظة قصيرة ، قد ارتكبت الكذب أتسمعيننى ؟

مدام ليموان : إننى على يقين من أنها مجرد طريقة فى الحديث .

كلـــود : إنها لكذلك . . اسكبى لى ذلك الشراب الدافئ ، التافه ، وكأننى عدت إلى العاشرة من عمرى . أواه يا أمى . . إننى حاقد عليك أنت أيضاً .

مدام ليموان : حاقد عليّ ؟

كلـــود : لو لاك لكان لى الحق فى أن أكون شخصاً عادياً ، ولدخلت مكتباً من المكاتب .

مدام ليموان : كلـــود ! !

كلـــود : وما أغزرالدموع التى كنت ستسكبينها لوخطرت ببالك فكرة أن لك ابناً يعمل في مكتب . . كما لو لم يكن ذلك ، على الأرجح ، هو كل ما ينبغى لى . أوه . . تلك القائمة . يا لقائمتك ! . . قائمة المهن ذات الأرقام : أولا أن أكون قساً كأبى . . كأبى الطيب ، وكوالد أبى الطيب . ثانياً : أن أكون أستاذاً لأن الأستاذ يشكل النفوس ؛ ولو عاش أرنست لأصبح أستاذاً . ثالثاً : أن أكون طبيباً لأن الطبيب هو الآخر ، يخدم الإنسانية . . .هذه هى السخافات الورعة التى جعلت منى ذلك الفاشل الذى هو أنا .

مدام ليموان : أنت ، فاشل !

كلـــود : عندما استرجع الجو الذى ترعرعت فيـــه ! كان اختصاص « فرانسيس » هو امتيازه في الإنسان ، وكأن اختصاصى أنا في الحنبلية الأخلاقية . . آه ! يا أماه من ذلك الزهو الذى كان يلمع في عينيك عندما كنت أعرض بضاعتى الصغيرة ، وعندما يقول الناس « إن فرانسيس هو الذكاء ، أما كلود ، فشيء أفضل من ذلك ، إنه الضمير » . ومن يدرى فربما كنت أخترع تلك الضروب من الحنبلية لكى

أبعث السرور إلى نفسك ؟ هذا . .هذا هوما نسميه تشكيل الروح لخدمة الله . . . ثم التحقت بعد ذلك بكلية اللاهوت . وإنى لأذكر أن ضروباً من القلق قد ساورتني ، وأفضيت بها إلى والدى . . وفي هذه المرة تغيرت اللوحة .فقد استمعت إليكما من فراشي وأنتما تتحدثان طيلة الليل ، وفي صباح اليوم التالى ، كانت عيناك حمراوين أثناء تناول الفطور ، وكنت تنظرين إلى وكأنى قضيت الليل خارج المنزل . وعلى هذا النحو كنت تغرسين في نفسى حب الإخلاص . كلا ، ليست الغلطة غلطتى وحدى ، إذا كنت قد أفلست . هذه الكلمة تدهشك ، ولكنها الحقيقة الخالصة . . لقد عشت بأموال لست أملكها . . وإنما كانت دائماً ديناً على . . والآن . .

مدام ليموان : لن أرد على اتهاماتك . . فهى ظالمة إلى أقصى حد وإنى لأعلم أنك لاتفكر فيما تقول .. ولكنني لا أريد أن تعذب نفسك على هذا النحو ؛ إننى فخورة بك . . أتسمعني؟ . واعلم أنك قد بذرت بذور الخير بملء قبضتك .

كلـــود : لاينبغى التفوه بهذه العبارات ، فليس في مقدورى أن أسمعها بعد الآن .

مدام ليموان : لقد عشت حياة مسيحى عظيم.

كلـــود : كان ينبغى أن أحيا أولا حياة إنسان ، فأنا لست إنساناً ، ولم أعرف كيف أحب كإنسان . . وكيف أكره كإنسان .

مدام ليموان : تكره ؟

كلـــود : أجل . . أجل . . أكره أيضاً . . إننى لست شيئاً ، إننى لست شيئاً .

(يتداعى فوق مقعد)

المنظر العاشر

الأشخاص انفسهم ـ ادميه

إدميـــه : (التى واربت الباب) ـ ماذا حدث ؟

مدام ليموان : إنه مريض تماماً ، ولابد من استشارة طبيب ، طبيب ، ولتسمحى لى أن أصحبه إلى لوزان ، فلدينا هناك إخصائيون بارعون

إدميـــه : جداً . . إخصائيون فى أى شىء ؟

مدام ليموان : فى كل شىء . . فى كل شىء . .

كلـــود : (فى غلظة) ـ علام تتآمران أنتما الاثنان ؟ آه ! أجل . . تستطيعان النظر إلىّ . . فأنا من صنع أيديكما .

الفصل الرابع

الديكور نفسه ــ المستخدم فى الفصل الاول

المنظر الاول

اسموند ــ ادميه ــ ثم فيليسي

(أسموند جالسة تطالع ، وتلقى من حين إلى آخر نظرة على والدتها الجالسة هى أيضاً بملابس الخروج ، وقد بدا عليها الشرود ، فلم تخلع قبعتها . . !)

إدميــه : كلا .

أسموند : فلماذا لم تخلعى قبعتك ؟ (إميه تنزع قبعتها على مهل . فترة صمت) . . أتنوين الاحتفاظ بها طويلا فوق ركبتيك ؟ (طرقات على الباب) ادخلى . . ماذا تريدين يافيليسى ؟

فيليسى : (تدخل) ــ لم توص السيدة بشىء للعشاء . .

إدميــه : افعلى ما تشائين .

فيليسى : أوه . . ولكننى لا أعلم شيئاً ، وعلى سيدتى أن تقول.

إدميــه : حسن . . عشاء الأمس نفسه . .

فيليسي : وماذا أفعل للساكن الجديد الذى أنبأنى هذا الصباح بأنه لايحتمل السبانخ ؟

أسموند : ينبغى ألا تقولى « الساكن » يافيليسي . .فليس لك أن تتلقى الملاحظات من هذا السيد ، وإن لم يكن راضياً ، فعليه أن يشكو إلى ربة المنزل . هل فهمت؟

فيليسي : هذا ما أجبت به ، ولكنه قال إنه يخشى ربة المنزل. . وما أدرانى ؟

أسموند : انصرفي ، يـــا فيليسي

فيليسي : إذن . . سأفعل ما أمرت به السيدة ، عشاء الأمس نفسه . ولا ينبغى أن يشكو أحد من أن العشاء هو نفسه دائماً . (تخرج) . .

المنظر الثاني

ادميه ــ اسموند

أسموند : (دون أن ترفع رأسها ، وبعد فترة من الصمت) ــ هل مات ؟

إدميـــه : ماذا تقولين ؟

أسموند : إننى أسأل عما إذا كان قد مات !

إدميـــه : عمن تتحدثين ؟

أسموند : عنه طبعاً . . ذلك السيد الذى أتى ذات يوم .

إدميــه : أسموند !

أسموند : لست أدرى ، كما ترين ، انى لم أتعود أن أراك حزينة إلى هذا الحد . .

إدميــه : إذن ، لقد أنبأك والدك . . .

أسموند : على ما أعتقد . .

إدميــه : فلماذا لم يقل لى إنه قد تحدث إليك ؟ متى فعل ذلك ؟

أسموند : منذ يومين .

إدميــه : وأنت لم تفكرى حتى في أن . .

أسموند : لست أعرف ماذا يقال في مثل هذه الحالة . وأظن أن هناك شكليات معينة ، وهذه الشكليات لم تعلمنى إياها .

إدميــه : أنت بلا قلب .

أسموند : ليس هذا شيئاً جديداً .

إدميــه : إننى على يقين من أن والدك ، بكرمه المعهود . .

أسموند : لقد اقتصر على الإفضاء إلىّ بواقعة لا تحتاج إلى تعليق..

إدميـــه : اطو هذا الكتاب ، من فضلك .

أسموند : إذا كان هذا يسرك . . (تطوى كتابها وتلتفت إلى والدتها وتنظر إليها ، وقـــد أسندت مرفقها عـــلى المائـــدة .)

إدميـــه : لن أدخل في التفاصيل .

أسموند : ألفت نظرك أولا إلى أنى لم أسألك عن شيء . .

إدميـــه : ولكن ما تستطيعين أن تحدثى به نفسك هو أن ثلاثة من الخلق قد تعذبوا إلى حد الموت ، كل منهم على أيدى الآخرين دون أن يكون لأحد منهم أى ذنب في ذلك. . . والأمر لم ينته بعـــد . . هـــل تسمعين ما أقول ؟

أسموند : طبعاً ، ولكننى لا أفهم ماذا يعنينى من هذا كله .

إدميـــه : إن شخصاً في مثل شبابك . . شخصاً تتفتح الحيـــاة أمامـــــه . . .

أسموند : أوه !

إدميـــه : ينبغى أن يشعر بالرغبة في أن يحمل شيئاً من العزاء. . . لهؤلاء التعساء .

أسموند : لست أفهم ما تقصدين .

إدميـــه : هذا الشخص الذى تحدثت عنه . . .

أسموند : ذلك السيد الذى أتى ذات يوم ؟

إدميـــه : إن أيام حياته أصبحت معدودة .

أسموند : (في برود) ـ هذا شيء محزن .

إدميـــه : ولكنك في نهاية الأمر تعلمين من يكون . إنـــه . . .

أسموند : ثم ماذا ؟

إدميـــه : لاتوجد بجانبه غير ممرضة مأجورة . . (تهتز كتفاها من الشهيق المتشنج) .

أسموند : اسمعى يا أماه . . . أذكرك بأن « جونو » الصغير قد يدخل بين لحظة أو أخرى . . فإذا رآك بهذه الهيئة . . .

إدميـــه : وماذا يعنينى من ذلك ؟

أسموند : آه ! كنت أعتقد أنه من الواجب على أية حال أن يتمالك المرء نفسه .

إدميـــه : في مثل سنك ، لايستطيع المرء أن يتخيل ما يمكن أن يكون عليه هذا النوع المعين من العزلة . وعندما

لايعود المرء شاباً ، وعندما يصبـــح مريضاً ، ولا يستطيع أن يجد في ماضيه كله ذكرى سعيدة واحدة يمكنه استرجاعها . . .

أسموند : أه ! ألا يملك هذا السيد ذكريات لطيفة ؟

إدميــه : لو أنك ذهبت إليه من حين لآخر ، لكان في ذلك خير له . . أما أنا ، فلست أملك من أمره شيئاً ، بل إنه يقول أحياناً إنني أسيء إليه..

(إدميه تجد مشقة في تمالك نفسها . طرقات على الباب) .

أسموند : ما هذا ؟

المنظر الثالث

الاشخاص انفسهم ـ فريد

فــريد : أرجو المعذرة يا آنسة . . لم أكن أريد إزعاجك . . فليس لذلك أهمية ، . وإنما جئت فقط لأقول . . لست أدري إن كنت تعلمين أنني كنت قد أُصِبْتُ في طفولتي بالتهاب الأمعاء الدقيقة .

أسموند : كلا . . لم نكن نعلم .

فُـــريد : أجل ، بالطبع ، وقد بقى من ذلك عندى . . وهناك خضر معينة لا أستطيع أن . . وعندما مررت أمام المطبخ . . ظننت أنى أشم . . .

أسموند : حسن ، سنعد لك بيضة .

فـــريد : شكراً يا آنسة ، وأرجو ألا يكون في ذلك أيةمضايقة. أرجو المعذرة ؛ ولكن والدتى هى التى أوصتنى . . وفضلا عن ذلك ، فإن أسرتنا جميعاً ذات أمعاء مرهفة .

أسموند : أجل . . أجل . . إلى اللقاء (يخرج فرد) .

المنظر الرابع

ادميه ــ اسموند

أسموند : والآن ، أعترف لك بأنى في غاية الدهشة مما تطلبين منى . وعلى فرض أننى استطعت أن أوفر من وقتى ساعة من هنا أو ساعة من هناك لكى أذهب إلى هذا السيد لأطالع له في كتاب ، فلست أفهم جيداً ما هى الموضوعات التى يمكن أن يدور حولها حديثنا . . ولن أفعل سوى أن أبعث في نفسه من جديد ذكريات مؤلمة . . ولما لم يكن هناك غير هذه الذكريات . .

إدميـــه : هذه النغمة من السخرية فظيعة . . أنت مسخ من المسوخ .

أسموند : لم تتركيني أكمل جملتي . وبديهي أن أسأل أبي عما يراه بشأن الزيارات .

إدميـــه : إن أباك هو العطف نفسه .

أسموند : ولكنه تصدع إلى أقصى حد .

إدميـــه : ماذا تريدين أن تقولي ؟

أسموند : هذا لا يكتشف دون مقابل .

إدميـــه : أي كشف ؟ ماذا تتصورين في نهاية الأمر ؟ لقد وطن نفسه على هذا الأمر منذ تسعة عشر عاماً .

أسموند : آه ؟ (صمت) .

المنظر الخامس

الاشخاص انفسهم ـ فريد

فـــريد : (مواربا الباب) ـ يا آنسة ، لا أريد إلا أن أقول إذا تعطفتم بإعداد بيضة لي ، فمن الأفضل ألا تكون ناقصة النضج إذ أعتقد أنني لاحظت أنه في باريس... ولكن ، من الطبيعي أن المسألة رهن مشيئتكم (مكتشفا

إدميه) : أوه ! . هل مدام ليموان مريضة ؟ إننى آسف أشد الأسف .

أسموند : إن والدتى تعانى ألماً قوياً في الأعصاب . .أماه ! يبدو أنه ينبغى لك أن تذهبى للرقاد لحظة . .

فـــريد : إذا كان لى أن اتجاسر فأبدى رأيا ، فربما استطاعت « برشامة » أن تهدئ من آلام والدتك . . وأنا أملك صيدلية صغيرة للرحلات مجهزة تجهيزاً لا بأس به .

إدميـــه : شكراً ياسيدى . هذا ن لطفك .(تخرج) .

المنظر السادس

فريد ــ اسموند

فـــريد : أخشى أن أكون أنا الذى دفعت مدام ليموان إلى الانصراف . لابـــد أننى أبدو في نظرك مضحكاً بسبانخى وبيضى غير الناضج وأنا على يقين من أنك ستعتقدين أننى لا أهتم إلا بالأكل . . وإنما الأمر على خلاف ذلك تماماً ، ويمكن أن تقول لك أمى إننى لا أعرف مطلقاً ما آكله . . وهذا حق ، فأنا لا أطاب مطاقاً شيئاً معيناً ، وهم يعتبروننى جميعاً في المنزل شخصاً مثقفاً .

أسموند : هذا واضح .

فريد : ولو كنت أعلق أهمية على تلك الأشياء ، لما أتيت للإقامة هنا عند والديك . ذلك أن أناساً ممتازين مثلهما لايهتمون كثيراً بما يأكلون . وقد حرصت على أن أشرح لك ذلك لأنني سأحزن غاية الحزن لو اسقر في نفسك عني هذا الانطباع . ذلك أن الانطباع الأول على أكبر جانب من الأهمية . . نعم ، إن هذه ليست هي المرة الأولى التي تجمعنا فيها الظروف. لاشك أنك تذكرين ذلك الصيف الذى أمضيته في إيفيلار ، في بنسيون « سولدانيل » لقد كنت حينئذ « سيكلا مين Cylcmen » مع أبناء عمي من آل دى لوكل . . إن لك ضربة مضرب مذهلة . وقد لعبنا مرة على انفراد ، إذا كنت تذكرين ذلك . . ثم أقيم الاحتفال في البنسيون ، وقد غنّيت أغنية صغيرة . . أنيقة . . إن الموسيقى تؤثر في نفسي تأثيراً شديداً ! ومازال اللحن باقياً في ذاكرتي . وإذا كان لديك بيانو ، فإني أستطيع أن أعزفه لك .

أسموند : إنك تتمتع بذاكرة ممتازة ، ولا بد أنها تساعدك كثيراً في دراساتك .

فـريد : بما فيه الكفاية . . ولكن هناك أشياء غير يسيرة . . فاليوم يرى المرء نفسه مطالباً بالتضلع في الفلسفة وفي طائفة من الخزعبلات . . وهذا لايؤدى إلى شيء . ولست أدرى إن كنت مثلى . ولكننى أرى أن ذلك لاينبغى أن يكون ضروريا . . أما الذى ينبغى حقاً ، فهو أن يكون لدينا الإيمان ؛ وليس لى أن أشكو من هذه الناحية ، إذ في وسعى أن أقول إن لدى إيماناً عظيما ، عظيما جداً .

أسموند : لك تهنئتى .

فـريد : أوه ! لاداعى للتهنئة ، فهذه هى طبيعتى .

المنظر السابع

الأشخاص انفسهم ـ كلود

كـلود : (مخاطباً فريد) ـ صباح الخير يافريد .

فـريد : (تتصاعد حمرة الخجل إلى وجنتيه) ـ صباح الخير ياسيدى ، أعتذر عن إزعاجى لكم ، فقد أتيت لأستعلم عن شيء من الآنسة أسموند .

كلـود : لاضير عليك (يخرج فريد) .

أسموند : كان من المحتمل أن أسعد بالوقوع على نمرة من هذا الطراز ، إذا كان . . أرجو المعذرة يا أبي ؟

(تجلس إلى المكتب ، وتأخذ في الكتابة) .

كلــود : إلى من تكتبين ؟

أسموند : سأقول لك بعد لحظة (تغلق الخطاب ، وتتجه نحو الباب .) فيليسى !

فيليسى : (من وراء الكواليس) . . نعم يا آنسة . .

أسموند : احملى هذا الخطاب فوراً إلى السيد ميجال .

فيليسى : (تدخل وتتناول الخطاب) ـ سمعاً وطاعة يا آنسة (تخرج) .

كلــود : ما معنى هذا ؟

أسموند : الآن . . قل لى يا أبى ، لقد اكتشفت لتوى . . . لماذا تركتنى أعتقد أنك لم تعلم الحقيقة إلا الآن ؟ أنا لا أفهم جيداً ، وأعترف أن ذلك لم يكن أمراً مقبولا من جانبك . فأنا التى كنت أرجو أن يسود بيننا مزيد من الثقة من الآن فصاعداً . .

كلــود : (بصوت منخفض دون أن ينظر إليها) لقد كذبت عليك بدافع من الجبن . .

أسموند : كيف ؟

كلــود : خوفاً من أن توجهى إلىّ بعض التعليقات . .

أسموند : أية تعايقات ؟ (صمت . . تحاول أسموند أن تستشف ما يدور بنفسه) . .

كلــود : (بصوت منخفض جداً) — تعليقات مهينة بالنسبة إلىّ . .

أسموند : فهمـــت . .

كلــود : أين والدتك ؟

أسموند : إنها راقدة في فراشها .

كلــود : أهي مريضة ؟ (حركة تهرب من أسموند)ماذابها ؟

أسموند : يبدو لى أن بها شيئاً من اليأس .

كلــود : هل تحدثت إليها عن هذا الموضوع؟

أسموند : بضع كلمات . .

كلــود : (في صرامة) — ومع ذلك فقد منعتك من أن تفعلى .

أسموند : إنها هى التى فتحت لى موضوع ذلك السيد . . فقد طلبت منى أن أذهب لمؤانسته من حين لآخر .

كلــود : (بعنف) — لن تذهبى .

أسموند : ليس في نيتي أن أذهب .

كلـــود : إنني أمنعك من ذلك . . وهذا كل ما في الأمر .

أسموند : تستطيع أن توفر على نفسك هـــذا التعب . . .

كلـــود : وإذا تصادف أن سمح لنفسه بالعودة إلى . . .

أسموند : هذا أمر بعيد الاحتمال . .

كلـــود : لم يعد ينقصنى إلا هذا ، أن تذهبي إليه دون إذنى.

أسموند : ولكننى ، لست أدرى يا أبى ماذا حدث لك . .

كلـــود : بعد كل ما حدث ، تستطيعين أن تعتقدى ، لست أدرى ، أنا . . ولكن ، لقد انتهى كل شيء ، إنى أضمن لك ذلك . .

أسموند : ما هذا الذى انتهى ؟

كلـــود : حسبى ما تلقيته من إهانات . . آه ! . لو استطعت أن أوذى أحداً .

أسموند : لاتستطيع ذلك .

كلـــود : أوه ! بلى ، الآن أستطيع . . لو أقذف بشخص ما إلى الخارج وأنهال عليه ضرباً . .

أسموند : لن يجلب لك ذلك أى سرور .

كلـــود : (بصوت متغير) ـــ إاليك ما وصلت إليه . . إنى كما لو كنت قد شربت خمراً . . أه ! هذا مخيف . . منذ يومين كل المشاعر التى لم تعتمل فى نفسى من قبل ، وكل الكلمات التى لم يسبق لى التفوه بها مطلقاً . . آه ، لو سمعت منذ لحظة تلك ــ العبارات التى نطقت بها بصوت يكاد يكون مرتفعاً. أخبرينى بأن هذا كله سيزول . . ولكن كلا ، لست على ثقة حتى من أننى أود أن يزول هذا كله .

أسموند : لقد خرجت عن طورك ، هذا واضح . ولكن هذه نوبة لن تدوم .

كلـــود : أجل . .

أسموند : ومع ذلك ثمة لحظات تكون فيها هادئاً تمام الهدوء . ولاتعاودك هذه النوبة إلا عندما تكون وحيداً . . .

كلـــود : إنها أشبه بفقاعات تصعد لا أدرى من أين . .

أسموند : أرأيت ؟ لقد عدت إلى الهدوءِ التام مرة أخرى . .

كاـــود : إنك تتحدثين إلىّ ، كما تتحدثين إلى مريض . .

فيليسى : (من الخارج) ـــ السيد ميجال يسأل إن كان يستطيع أن يتحدث إلى الآنسة .

كلـــود : كيف ؟

أسموند : أدخلى السيد ميجال .

كلـــود : أهى أنت التى طلبت إليه الحضور ؟

أسموند : أجل . .

المنظر الثامن

الأشخاص أنفسهم ــ ميجال

ميجال : (منحنياً) ــ سيدى ، آنستى . .

أسموند : إننى سعيدة لحضور والذى هذا الحديث قلت لى إنك تبحث عن شخص يستطيع أن يعتنى بإيفون ــ وسوزان من جميع الوجوه . حسن ، إننى أعرض عليك رغبتى فى تكريس نفسى لهما . . .

ميجال : يا آنسة . . إننى متأثر من اقتراحك إلى حد يعجزنى عن التعليق عليه . . ولكن هذا محال . . أولا لأن وقتك لا يتسع لذلك . .

كلـــود : لست أفهم كيف تزعجين السيد ميجال من أجل سخافة كهذه . .

أسموند : إنّ وقتى كله خال . وأنا في حاجة إلى عمل أشغل به تماما . . .
وأعظم خدمة تستطيع تقديمها إلىّ هى أن تقبل — الاقتراح الذى أعرضه عليك .

ميجال : ولكن ، لست أدرى يا آنسة إن كنت قد وضعت في اعتبارك أننى أستعد لمغادرة باريس لعدة أشهر ..

أسموند : سبق أن قلت لى ذلك .

ميجال : ووالداك . . . .

كلـــود : سيدى ، أكون لك شاكراً لو فهمت أن هذا في الواقع ، أمر مستحيل كل الاستحالة . ولست — أتصور كيف أمكن أن تخطر مثل هذه الفكرة على بال ابنتى . . .

أسموند : (مخاطبة ميجال) — فكر بإمعان . .

ميجال : يا آنسة ، أعتقد . . . أنه ليس من حقى أن أوافق.

أسموند : ولماذا ، ليس من حقك ؟

ميجال : لأن هذا معناه سوء استغلال العاطفة التى أبديتها نحو ابنتىّ . . وأعتقد أننى بذلك أرتكب فعلا سيئاً .

أسموند : تجاه والدى ؟

ميجال : (مرتبكاً ارتباكاً عميقاً) — لابالنسبة لوالديك فحسب . . .

كالــود : (باسطاً له راحته) — سيدى ، أنت رجل مهذب ولكنك ترى مثلى أنه لاداعى لإطالة هذا الحديث . وحين انتهى إقناع ابنتى بما لحججى من قيمة . . .

أسموند : أعرف هذه الحجج .

كلــود : تستطيع أن ترى أن ابنتى ليست هذه اللحظة في — حالتها الطبيعية .

ميجال : (مخاطباً كلود) — لاأستطيع أن أقول لك إلى أى حد كنت أريد قبول هذا العرض الكريم . . إن شعورى أكثر من أن يكون مجرد أسف (يحتبس صوته) إن قلبي يتمزق . . إنى . . . .

أسموند : (إلى كلود) — ان الأمر في غاية البساطة . . إذا لم تترك لى حرية التصرف وفقاً لإرادتى ، — فسأذهب للإقامة بجانب المريض الذى تحدثنا عنه منذ لحظة ، ولن أغادره قبل النهاية . (إلى ميجال) إنى أتكلم عن قريب لنا سأكرس له وقتى إذا رفضت اقتراحى .

كلـــود : (مخاطباً ميجال) ـ سيدي ، أتوسل إليك أن تتركني معها . ما من أحد يستطيع أن يعرف مـــا أعانيه من عذاب .

أسموند : (إلى ميجال) ـ إلى لقاء قريب .

ميجال : (مخاطباً كلود في شيء من الشفقة) ـ سيدي . من أعماق قلبي ، أقدم إليك . . . .

(يصافحه ويخرج) .

المنظر التاسع

كلود ـ اسموند

أسموند : عليك أن تختار .

كلـــود : ليس هناك محل للاختيار . ستبقين هنا .

أسموند : لن أبقى هنا على أية حال .

كلـــود : احترسي ؟ .

أسموند : لا فائدة من كل ذلك : إنك تهدد . . .

كلـــود : ولكن من تكونين إذن ؟

أسموند : إنني لست ابنتك ، هيا ، ولتذكر أننا لا نكسب شيئاً على الإطلاق عندما نستبقي الناس رغم أنوفهم.

كلـــود : إذا كنت تتحدثين عن أملك ، فقد توسلت إلى ذات يوم ألا أطردها .

أسموند : فعلام تندم إذن ؟

كلـــود : وفي اليوم التالى تضرعت إلى أن أرد لها حريتها .

أسموند : (تهز كتفيها في حركة خفيفة تدل على الاحتقار) أما أنا فأعرف تماماً ماذا أريد .

كلـــود : لن أدعك تلقين بنفسك بين ذراعي ذلك الرجل .

أسموند : لا تستطيع أن تمنع شيئاً .

كلـــود : ستصحبك جدتك إلى سويسرا .

أسموند : فلنستعرض الأمر بشيء من المنطق .

كلـــود : إن أملك لم يكن لها هذا النوع من البرود البشع .

أسموند : لسوء حظها ، وربما لسوء حظ الناس جميعاً في هذا المكان . فهذا شاب قوى ، مقيد بالأغلال إلى مجنونة إنه يحبنى ، وأنا أيضاً أحبه ، ولا يحول بينى وبينه غير تقليد اجتماعى ، أكذوبة لا تخدع أحداً . — وإذا كنت أتهرب من نفسى بمحض الجبن ، فليس من العسير أن يخمن المرء ضروب العزاء المنحطة التى سوف ينحدر إليها .

كلـــود : انك لا تخدعين نفسك فيما سيكون . . .

أسموند : على الإطلاق ، وإذا استطعت إنقاذه من هذا العار..

كلــود : ما أنت الا طفلة منحرفة .

أسموند : أرى أن مبادئك ما زالت قائمة . .
وهذا أمر يبعث على السعادة .

كلــود : يبدو كأنك ألغيت ضميرك . . .

أسموند : الضمير ، ستعترف بأن أوامره ينبغى أن تؤخذ في حذر ، ربما كنت مخطئة . . بيد أن المثل الذى أقمته لنا من نفسك . . .

كلــود : أهذه هى العبرة التى تخرجين بها من حياتى !

أسموند : المهم في نظرى هو ألا يموه الإنسان على نفسه . . أقصد . .

كلــود : وإذا كنت تصورين لنفسك أنك لاتخدعينها عندما تدعين أنك تستسلمين لهذا الرجل لمجرد الشفقة والعطف عليه ؟

أسموند : إننى لم أقل شيئاً من هذا القبيل . .ومن الواضح البيّن أنه لو لم يعجبنى . . وأود أن ألفت نظرك بكل بساطة إلى أنه حتى لو اعتقدنا في الفضيلة ، وفي حب الجار ، وكل هذه التشكيلة كما يقول فريد —

لكان لقرارى مبرراته الوجيهة . . وما عليك إلا أن تتناوله من طرفه هذا إذا كان طرفه الآخر يحرق إذا كان طرفه الآخر يحرق أصابعك .

فسأبني لنفسي ، أنا أيضاً نوعاً من العش على أية حال . . ومن الواضح أنك لن تدعى لتباركه . . ولكن مجمل الأمر . . أبي المسكين ، إنك تذكرني بهؤلاء الناس الذين يقيمون في بنسيون يفيلارد والذين يذهبون كل صباح لمشاهدة جبال الألب خلال زجاج الشرفة الملون . . وهكذا يبدو لهم المنظر على هذه الصورة أكثر فتنة ، ولكنهم يتحسرون في الوقت نفسه لأن الأثر الذى يتركه ليس طبيعياً . . فتراهم يتجادلون إلى ما لانهاية له دون أن يصلوا مطلقاً إلى اتفاق فيما بينهم وبين أنفسهم . . . وأنت مثلهم ، لاتعرف ماذا تفضل ، ولهذا تشقى نفسك بنفسك . والاختلاف الجوهرى بيننا ينحصر في أنني لاأستطيع أن آخذ هذا كله مأخذ الجد . ولعل ذلك راجع إلى أنني استمعت كثيراً إلى الناس يلقون المواعظ من حولى عن واجباتنا ، وعن الدين الذى في أعناقنا نحو الله .

فإذا استمع المرء إلى الحديث عن روحه كل أيام

الآحاد من الساعة العاشرة إلى الساعة الحادية عشرة ، دون أن نحسب الصلوات اليومية . . . هناك ألفاظ ألفاظ معينة ، أفكار معينة . . لست أدرى ، ولكن يبدو لى أنه لا مفر من الشعور بنوع من الرعدة ، من الدوار في كل مرة يتفوه بها المرء أمامك . . ولكن ، هذا لايحدث ! إن موعظتك التى تلقيها يوم الأحد تكاد تكون أشبه شيء بحسابات المطبخ . وأعتقد أنها لو لم تكن ضرباً من الروتين حتى بالنسبة إليك أنت ، ولو رأيت أمامى شخصاً قد عاش في الفزع أو الدهشة . . أما دين مثل دينك ، فإنه في نهاية الأمر لايغير شيئاً في أى شيء . . . إنه يشبه أرضية اللوحة ، ولاشيء أكثر من ذلك . . وفضلا عن ذلك فإن لوحة السامرية الطيبة التى هى هناك ، تشبهك ، ولكن إلى حدما . ينبغى ألا تنظر إلى هذه النظرة البائسة ياأبى ، فهذا نوع من الاحتيال لايليق بك .

كلود : إذا رحلت فلن يبقى لى شيء .

أسموند : وأسوأ من ذلك أن أبقى . . . فإن حياتنا ، نحن الثلاثة ، الآن . . بعد كل هذا الذى قلناه كل منا

للآخر . . لكى يكون من المستطاع أن نحيا معاً ، كان لابد من الاحتفاظ بحاء أدنى من الوهم بعضنا عن البعض الآخر . . . وعليك أن تفكر أيضاً في أنى أريد أن أملأ حياتى برسالة جميلة أؤديها . . وهى أن أحل مكان الأم التى لن تعود أبداً . . تأمل جيداً ! فكر في هذا . . إن للزجاج الملون حسناته أيضاً على كل حال . . . ولا ينبغى أن تخجل من استعماله . .

(صمت) . . .

المنظر العاشر

الاشخاص انفسهم ــ ادميه

إدميه : (تحس انها ترنح) . . من كان هنا منذ لحظة ؟

أسموند : إنه السيد ميجال الذى حضر برهة . .

إدميه : من الذى سمح له بالحضور هنا ؟

أسموند : كنت أريد أن أحدثه بمحضر من والدى .

إدميه : (مخاطبة كلود) ــ إذن فقد كنت حاضراً

كلود : أجل .

إدميـــه : ماذا يعنى هذا ؟

أسموند : لقد تم اتخاذ قرار في غيابك . وأنا على استعداد —؟ لإطلاعك عليه . ولكننى أقول لك مقدماً إننى أرفض وضع هذا القرار موضع البحث .

إدميـــه : أنت ؟ ترفضين ؟

أسموند : رفضاً باتاً . . . السيد ميجال يريد فى مدرسة لطفلتيه

كلــــود : (بصوت خافت) بل هذا غير صحيح .

أسموند : أتعهد بأن أحوله إلى حقيقة .

إدميه : (إلى كلود) — أو تدعها تفعل ذلك ؟ هذا إذن مبلغ سلطانك عليها . .

كلــــود : (في عنف مباغت) — ليس لى أى سلطان على ابنة السيد سانديه . وأقرر في بساطة أنها خليقة بأمها وأنها تحتذى المثل الذى ضربته لها .

إدميـــه : كلود .

كلــــود : الآن . . . أصغى إلى يا إدميه ! فربما كانت هذه هى المرة الأخيرة التى تتاح لى فيها فرصة إطلاعك على طريقتى في التفكير . إذ لم أعد أهتم طويلا —

بمناقشتك في موضوع الضحية الشائقة التى تجدين عليها منذ عدة أيام .

إدميـــه : ماذا ؟ أتطردني ؟

كاـــود : أخشى أن يؤنبني ضميرى إذا حرمت هذا المحتضر من عناياتك التى تتحرقين شوقاً إلى إغداقها عليه .

أسموند : أبي .. لقد عدت من جديد إلى هيئتك التى كنت عليها منذ لحظة .. إنك لم تعد مسيطراً على نفسك.

كلـــود : (في خشونة) - ماذا تفعلين ، أنت ، هنا ؟ أليس من الأفضل أن تذهبي للتفاهم مع هذا الشخص عن الشروط ؟

أسموند : شروط ؟

كاـــود : إلا إذا كنت تعتقدين أن تكون الخدمة بينكمـــا متبادلة ؟

أسموند : (في رقة مهينة) .. ليكن ، فلست حاقدة عليك.

(تخرج)

المنظر الحادى عشر

كلود ــ ادميه

إدميــه : كلود ، امنعها !

كلــود : عليك أن تستخدمى نفوذك .

إدميــه : امنعها !

كلــود : لم أعد أهتم منذ اليوم بك أو بابنتك . وهذا أحد الاتهامات النادرة التى لم يسبق أن وجهت إلى مثلها .

إدميــه : تذكر أنك قد صفحت عنى .

كلــود : إنها تقول ذلك بابهجة جدية .. إذن ، فأنت لاتدركين أن كلمة « الصفح » هذه وحدها تكفى فى الوقت الحاضر ، إن ..أوه ! كلا ، حسبى هذا .. إن هذه التفسيرات تسبب لى الغثيان .

إدميــه : ولى أيضا ، أؤكد لك ذلك .

كلــود : ما قلته منذ لحظة هو صدق كله .. فهى إن تركتنا الآن ، فليس هناك داع لمواصلة الحياة معاً ، ويبدو

لى أن عليك واجبات عظيمة نحو شخص آخر . وتستطيعين أن تؤديها وانت مرتاحة الضمير مـــن الآن فصاعداً . . أما بالنسبة لى ، فمن المحتمل أن أهجر منصبي الديني .

إدميـــه : (في ارتياح مفاجئ) . . ليس هذا صحيحاً .

كلـــود : تلك البقية الضئيلة من القوة التي كنت أعتقد أنى ما زلت أماكها أشعر أنى فقدتها .

إدميـــه : لايمكن أن تفقد الإيمان فجأة على هذا النحو . ليس هذا ممكناً .

كلـــود : لست أدرى . . ربما لم أوهب في يوم من الأيـــام ذلك الإيمان الحقيقي .

إدميـــه : الإيمان الحقيقي . . . ومع ذلك تذكر تلك الطريقة التي كنت تتحدث بها عن الحياة ، عندما كنـــــا مخطوبين ، وتلك النغمة التي كنت تنطق بها بعض الكلمات . . . . لقد كنت صادقاً .

كلـــود : كنت صادقاً ، كنت سعيداً .

إدميـــه : وكانت عيناك تتألقان ، ويبدو لى أحياناً أننى قد تزوجتك بسبب هذه النظرة . . فلم يكن حولى أحد

يتحدث مثلك . كانوا جميعاً قاتمي الوجوه . أما أنت ، فعندما كنت تلقي هذه الكلمات ، كانت النبرات التي تنطقها بها وحدها . . . كان ذلك أشبه بعالم فتحته أمامي .

كلـود : وقد اعترفت لي الصغيرة منذ عشر دقائق فقط أن هذه الجمل نفسها التي طال تكرارها هي التي أبعدتها عن الإيمان .

إدميـه : ليست هي العبارات عينها . إنها لم تكن قد ثلمت بعد .

كلـود : هل فتحت لك عالماً ؟ ماذا كـان هـذا العالم ؟

إدميـه : لست أدري .

كلـود : تذكري ما حدث بعد ذلك . في الشهور الأولى من زواجنا . تلك الشكوك التي حاصرتني . النزهات الطويلة التي كنت تقومين بها وحدك وتعودين منها متعبة ، كئيبة ، ذات وجه مغلق . وكنت تجيبين على كل ما أقوله بكلمة واحدة قصيرة . . فكان أن حقدت عليك .

إدميـه : لم تكن تقول لي ذلك .

كلـود : هل كنت أحبك في ذلك الوقت ؟ وأنت ، هـل

كنت تحبيني ؟ إننا لا نتذكر شيئاً من ذلك ، وربما لم نعرفه على الإطلاق . (صمت) لقد التزمت في حياتك على أساس نظرة أو نغمة . . نظرة واحدة . . . واحـــدة بماذا ؟ ذلك الوعد الغامض لم يتم الوفاء به . . هذه هي قصة حياتنا المشتركة كاملة . . . وعندما أفكر في الله ، أشعر بنفس الشعور . كنت أعتقد أنه يتحدث إلىّ أحياناً . وربما لم يكن ذلك غير نشوة انجذاب كاذبة . . من أنا ؟ عندما أسعى لإدراك نفسي ، أفلت دائماً من نفسي .

فمنذ لحظة كنت أعتقد أنني أبغضك ، وخيل إلى أنني أود تعذيبك ، أود طردك ، أود أن أطأك بأقدامي . . ولكن ذلك قد زال . . . إنه محظوظ . . أليس كذلك ؟.

إدميـــه : عمن تتحدث ؟

كلـــود : عنه . . هو .

إدميـــه : ولماذا هو محظوظ يا كلود ؟

كلـــود : لأنه سينتهي عما قريب .

إدميـــه : ألا يفزعك الموت ؟

كلـــود : كلا . . لا أعتقد ذلك ، . إنه الفرصة الوحيـــدة للإنسان . . حتى ولو لم يكن باباً يفتح .

إدميـــه : أنت أشجع منى . . .

كلـــود : أتخافين من الحساب ؟

إدميـــه : أجل . . لست أدرى . .

كلـــود : أما أنا فعلى العكس . . فإما أن تعرق كما نحن . . أن نغرق في النوم .

إدميـــه : لماذا تبتسم ؟ فيم تفكر ؟

كلـــود : هل تذكرين أعالى « سان ــ لو » . . ذلك المكان الذى تنهال فيه الأرض فجأة . . كان هناك أخدود عظيم أخضر يجرى في أعماقه نهر « رافينوز » . . فإذا كانت السماء صافية لمحنا « القمم الثلاث » عند الطرف الآخر من الوادى . . فلنذهب هـــناك ذات مساء بعد العشاء كما كنا نفعل في الأيام الخوالى ، ثم . . .

إدميـــه : (في فزع) ــ كلا . . كلا . . لاأريد . .

فيايسى : (من وراء الكواليس) . . ولكن . . كلا . .

كلا يا آنسة . . يجب أن أخطر السيد الراعى أولا .

(تدخل)

كلــود : ماذا هناك يا فيليسى ؟

فيليسى : تقول لى إنها الآنسة أوبونو ومعها الصغير رينيه . .

كلــود : لماذا قلت إننى هنا ؟

فيليسى : حسن . . أولست هنا حقاً ؟ (كلود وإدميه يتبادلان النظرات) لتتفضل الآنسة بالدخول ؟

المنظر الثاني عشر

الأشخاص أنفسهم ـ الآنسة أوبونو ـ الصغير رينيه

الآنسة أوبونو : صباح الخير يا سيدتى ، صباح الخير يا سيدى الراعى . . أرجو المعذرة عن حضورى في مثل هذه الساعة ، ولكنه يوم خروج رينيه . . وقد قضينا فترة بعد الظهر كلها في القيام ببعض المشاوير .

كلــود : ولكن . . هذا لطيف منك ، على العكس من ذلك.

الآنسة أوبونو : وقد حرصنا على الحضور اليوم لأنه يوم ذكرى زواجكما .

إدميــه : ٢١ ديسمبر ، هذا حق . . هذا حق

الآنسة أوبونو : (مخاطبة رينيه) حسن ، تستطيع أن تقدم باقتك إلى مدام ليموان . إذا كان من الممكن أن توضع في الزهرية هذه اللحظة . .

(رينيه يقدم الباقة إلى إدميه) . .

إدميــه : هذا لطف عظيم منك .

كلــود : أجل ، حقيقة . .

الآنسة أوبونو : هذا أقل مايجب ، حين أفكر في كل ماندين به لك.. إن والدته (تشير إلى رينيه) كلفتني بأن أبلغكما تحيتها .

كلــود : كيف حالها ؟

الآنسة أوبونو : كما هي دائماً . . ولكنها لاتشكو ، وتردد دائماً قولها : « يعلم الله وحده ماذا كان يصبح مصيري لولا السيد والسيدة ليموان » .

إدميــه : كيف ؟

الآنسة أوبونو : حسن ، ألا تذكران أنكما أنتما اللذان أدخلتماها شارع « ميشيل بيزو » ؟

كلــود : هذا حق ، إنها الآن هناك .

الآنسة أوبونو : عند راهبات شارع « ميشيل بيزو » . . وهـى تقول : « إن الناس جميعاً ظرفاء معى » . .

كلــود : لحسن الحظ . .

الآنسة أوبونو : وكلفتنى أيضاً بأن أخبرك أنها تصلى كثيراً مــن أجلك يا سيدى الراعى ، وإن كنت بكل تأكيد في غير حاجة إلى صلواتها ، كما أنها تصلى أيضاً من أجل السيدة ليموان ، والآنسة أسموند :

كلــود : شكراً : . شكراً .

الآنسة أوبونو : وكما نقول دائماً ، إن الرعاة من أمثالك نادرون . .

رينيه الصغير : هل أستطيع أن أحمل تحيات العام الجديد لعرابتى ؟

الآنسة أوبونو : يقول ذلك لأنه ذاهب إلى والدتى في « شارانت » في العام الجديد . .

إدميــه : هذا حق . . لقد نسيت أن « أسموند » عرابته . . (تذهب إلى مؤخرة المسرح وتنادى « أسموند ! أسموند ! ») . .

أسموند : (من وراء الكواليس) . . ماذا هناك ؟

إدميــه : ابنك بالتعميد هنا ، ويريد أن يقول لك طــاب يومك . . . إنه الصغير « رينيه أوبونو » . .

الآنسة أوبونو : كلا ، إن اسمه رينيه « فيراندون » ، اسم زوج شقيقتى . .

إدميــه : صحيح ، أرجو المعذرة . . إنه فيراندون الصغير يا أسموند .

أسموند : (من الخارج) . . إننى أعد حقائبى .

الآنسة أوبونو : هل تستعد الآنسة أسموند للسفر ؟

إدميــه : إنها تتأهب لوظيفة تشغلها .

الآنسة أوبونو : لقد كانت جادة دائماً . ومن الطبيعى أن تكون وظيفة . . شيئاً . .

كلــود : وظيفة مدرسة . .

الآنسة أوبونو : حقاً ؟ أظن أن ذلك سيكون عند أشخاص تعرفونهم.

كلــود : عند ذلك السيد الذى فقدت زوجته عقلها . . .

الآنسة أوبونو : ياللفظاعة ! كم يرى الإنسان من أشياء !

كلــود : إن له بنتين صغيرتين . .

الآنسة أوبونو : ولاشك أن هذا السيد قد بلغ عمراً معيناً . . أنا واثقة من أنها ستكون أماً حقيقية لهاتين البنتين العزيزتين .

سموند : (توارب الباب) .. هأنذا يارينيه .. إذا أردت أن تدخل . طالب يومك ياآنسة ، أدخلى أنت أيضاً لحظة .

الآنسة أوبونو : إنى سعيدة كل السعادة لرؤيتك ..

رينيه الصغير : (أثناء دخوله) .. أمى ! أتمنى لك حياة طيبة سعيدة .

(كلود وإدميه يبقيان وحدهما) ..

إدميه : انظر ، انظر ، هذا ما ينبغى أن نعيش من أجله في الوقت الحاضر .

كلود : (غارقاً في أفكاره) .. أن يعرف المرء على ما هو عليه ..

(ستار)

مسرحية

القلوب النهمة أو الظمأ

تأليف : جبرييل مارسل

ترجمة وتقديم : فؤاد كامل

العنوان الأصلي للمسرحية

GABRIEL MARCEL

LES COEURS AVIDES

(La Soif)

Pièce en trois actes

LA TABLE RONDE
8, RUE GARANCIÈRE, 6e
PARIS

مقدمة

مسرحية القلوب النهمة بقلم المترجم

اذا كان « جبرييل مارسل » قد كتب مسرحية « رجل الله » فى فترة القلق والتردد والحيرة قبل تحوله النهائي الى الكاثوليكية ، فانه كتب مسرحية « الظمأ » أو « القلوب النهمة » بعد أن استقر على الايمان ، وانتهى الى ذلك التحول . وهذه المسرحية امتداد لمسرحية سابقة هى « الرمح » ، من حيث الاتجاه السائد والروح الشائعة فيها ، ولكنها تختلف معها اختلافا بيّنا من حيث المضمون . ففى مسرحية « الرمح » عبارة لاحدى الشخصيات تقول فيها : « لو لم يوجد سوى الاحياء لأصبحت الأرض غير صالحة للسكنى » ، وسنرى ان « القلوب النهمة » هى بمعنى من المعانى نداء حار الى منابع النور والاكتمال التى تَربطها بالموت ، أو كما يقول « آرنو » — أحد أبطال المسرحية — « اننا بالموت ننفتح على كل ما عشنا من أجله على الأرض » .

وهذه المسرحية تبدأ فى جو من الشك القاتل والقلق الممزق والحيرة اليائسة وتدور حول سر غامض لا نبلغ له تفسيرا ، وتنتهى بالايمان والحب والتضحية والانسجام العائلى . فهى مسرحية من المسرحيات المؤدية الى الايمان ، ان صح هذا التعبير ، وقد وضع فيها « مارسل » كثيرا من نفسه ، وأحاطها بالظروف والملابسات التى تذكرنا تذكيرا قويا بالجو الذى نشأ فيه ، وبالتساؤلات التى ألحّت عليه فى طفولته الخالية من حنان الأم .

والمسرحية دراما عائلية ، أبطالها هم «آل شارتران» : الجدة «مدام شارتران» ، والأب « أميدية شارتران » وابنته « ستللا » وابنه « آرنو » . أما الأم فقد توفيت فى ظروف غامضة بعد أن احتجزت فى احدى المصحات العقلية لفترة طويلة ، وتزوج الأب بعدها من صديقة لها تدعى « ايفيلين » ، وتدور أحداث المسرحية بعد هذا الزواج بحوالى ثمانية عشر شهرا .

وحين تبدأ المسرحية نرى « ستللا » فى أزمة نفسية عنيفة ، فهى تريد أن تكشف عن السر فى وفاة أمها ، تلك الوفاة التى اكتنفها الغموض ، وهى تتخبط وحدها - لأن « آرنو » شقيقها لا يشاركها هذا الفضول - فى تكهنات لا نهاية لها ، وما من احد يريد أن يحدثها بالتفصيل عن المرض الذى أودى بحياة الأم ، بل انها لم تعلم بموتها الا بعد انقضاء ثلاثة أسابيع . وفى حوار لها مع « آرنو » تقول ان ما يدفعها الى التنقيب عن هذا السر ليس فضولا ، بل نوعا من القلق ، من تأنيب الضمير « ... لا أستطيع ان أفكر فى أمى كما ينبغى أن يكون التفكير ، ما دمت لا أعرف كيف كانت حياتها » . وحين يسألها « آرنو » : ولماذا لا تستطيعين ؟ تجيبه : « لأنني لا أعرف الصلاة . » (الفصل الاول - المنظر الرابع) .

المسرحية اذن منذ البداية رغبة فى اجتياز ذلك الحاجز الذى يفصل بين الاحياء والأموات ، واستدعاء قوى لـ « حضور » من أحببناهم بعد أن رحلوا عن عالمنا الأرضى .

وتلتقى « ستللا » مصادفة « بالآنسة فرو » - وهى عانس كانت فى يوم ما مدرسة للزوجة المتوفاة ، فتدعوها الى زيارتهم ، وحين تتم هذه الزيارة يعترض « أميدية » الأب على انفراد ابنته بالآنسة « فرو » فتجابهه هذه الأخيرة بتلك العبارة التى تشعل الشك فى قلب ستللا : « أهناك اذن ما تخشاه ؟ » (الفصل الاول - المنظر ١٤)

وتزداد « ستللا » ارتيابا حين تعلم من « الآنسة فرو » أن الأم قد تركت خطابا لآرنو ، وأوصت موثق عقودها أن يسلمه اليه بمجرد بلوغه سن الرشد . وتسأل « ستللا » أباها عن هذا الخطاب ، فيرفض أن « يقدم حسابا لمفتوحة على حد وصفه للآنسة « فرو » وتعتقد « ستللا » أن ثمة سببا وراء اخفاء هذا الخطاب عنها . وهنا تصرخ فى وجه أبيها مطالبة اياه بالحقيقة .

- « انى مصرة على أن تخبرنى بالحقيقة : ماذا حدث ؟ لماذا لم نرها ثانية على الاطلاق ؟ » (الفصل الاول - المنظر ١٦) وتتهم أخاها « آرنو » بأنه متواطىء معهم ، وبأنه جبان بل تندفع فى اتهام أبيها قائلة ، « هناك اناس يُسْجَنون دون سبب ، لأنهم يموتون غيرهم .. »

ولا يجد « أميديه » مفرا من الاعتراف بأن أمها حاولت دس السم له ، وحينئذ ألقى نفسه مُرْغَماً على احتجازها فى احدى المصحات العقلية خوفا على حياته وحياتهما . (الفصل الأول - المنظر ١٦) .

بيد أن هذا الاعتراف لا يبدد الشك الذى ينهش قلب الابنة ، ففى حوار آخر بينهما وبين « ايفيلين » زوجة أبيها ، تؤكد لها « ايفيلين » أن أمها لم تكن مريضة ، فتسألها ستللا :

ســتللا : كانت مجرمة اذن ؟

ايفيلين : ولا هذا .

ســتللا : لقد أرادت قتله .

ايفيلين : لقد أرادت أن تعيش .. بكل بساطة .. (الفصل الثانى ــ المنظر ٨) .

ومن هذا الحوار نلمح أن « ايفيلين » تعتقد أن الأم قد ذهبت ضحية «أميدية» لانها أرادت أن تعيش .

والواقع أن « ايفيلين » التى التقت بأميدية فى فترة عصيبة من حياته كان محتاجا فيها الى من يفهمه ــ لم تلبث أن تنكرت له ، وانحازت الى جانب ضحيته (الزوجة المتوفاة) ، وأعلنتها حربا شعواء عليه ، فهى تتصل بـ « ماجى لامبرسار » ابنة الد اعدائه الذى حطم حياته وأرغمه على التخلى عن ادارة « مجلة الاداب » فى نفس الوقت الذى تظاهر فيه برفض استقالته . كما أنها تدفع الابنة ستللا ــ كما رأينا ــ الى الشك فى أبيها . غير ان هذه المحاولة لا تسفر الا عن نتيجة عكسية ، اذ تنتهى ستللا الى الاعتقاد بأن أباها هو ضحية سوء فهم « ايفيلين » له .

وشخصية « ايفيلين » شخصية معقدة ، ويمكن اعتبارها ــ بمعنى من المعانى ــ الشخصية الـ antagonist فى المسرحية ، فبالأخطاء التى تقع فيها ، وبضروب المقاومة والعناد التى تبديها ، تكشف لنا عن الموقف الصحيح الذى يهدف اليه الكاتب ، « وبضدها تتميز الاشياء » كما يقولون . فهى تسعى الى السعادة والى اسعاد غيرها ، ولكنها تسلك الطريق الخاطىء ، وهى تتخذ لها شعارات ، ولكنها لا تعمل بها ، وهى تتهم « أميدية » بأنه لا يضع نفسه فى موضع الآخرين ، على حين أنها هى التى تفعل ذلك ، فهى تريد مثلا اسعاد « ستللا » ، ولكن على طريقتها الخاصة التى لا ترضاها « ستللا » ، وهى تقحم نفسها فى شئون غيرها وكأنها مسئولة عن الجميع ، ولكنها لا تفعل فى الواقع الا اسقاط نفسها على الآخرين . وربما كان ارتيابها فى « أميدية » راجع الى اعتقادها بأن اباها قد قتل أمها بحرمانها من الحنان والرعاية كما تقتل

الزهور حين نمنع عنها الماء . وحقدها على احدى صديقات « اميدية » وهي « مدام دي بويجرلان » ـ يدفعها الى اسقاط هذا الحقد على ابن تلك السيدة وهو « آلان »، فتعارض رغبته في الزواج من « ستللا معارضة شديدة ، على الرغم من أن « أميدية » يرأه شابا مناسبا لابنته ، بل وربما كانت هذه المعارضة كيدا جديدا لأميدية حين شعرت بأنه يحب ذلك الفتى « آلان » . وأساس سوء التفاهم بين « ايفيلين » و « أميديه » هو أنها لم تحبه منذ البداية ، بل رضيت به زوجا لأنها كانت في حالة من الضياع حين التقت به وبأسرته ، فاحسست كأن « ستللا » و « آرنو » قد تبنياها . ولكنها لا تلبث أن تضيق بحياة العزلة والتأمل التي تحياها تلك الأسرة ، وتشعر أن الجو فيها ثقيل الوطأة . وحين يتهمها « أميدية » بانها تتصف بالصرامة والعناد ، وبنوع من العتمة الباطنة ، تسأله متهكمة : أين كانت شفافيته العجيبة في البصيرة حين عقد على زوجته الأولى ؟

ايفيلين : آه ! هنا تخونك ذاكرتك ، يا اميدية . ففي الايام الأولى من زواجنا .. (تضحك) استطيع أن أؤكد لك أنك لم تدع مناسبة لاصطحابي وراءك داخل تلك المملكة الخاصة .. بل كنت تغريني بتوجيه الأسئلة اليك ـ ولم تتخذ هذا الموقف الجديد الا لأنني لم أرحب بأسرارك كما كنت تتمنى تماما .. أجل ، لأنك شعرت بأنني أقل استعدادا للعطف عليك ، من العطف على .. ضحيتك ، أجل ، وأنا مصرة على ما أقول ... ضحيتك ... » (الفصل الثاني ، المنظر الثاني) .

وشخصية « أميدية » لا تقل عن ذلك تعقيدا . فهو يبدو لأول وهلة شخصا متحذلقا ، يعشق العبارات الطنانة ، والألفاظ الضخمة المتقعرة ، ويميل الى نقد كل شيء والسخط على كل شيء ، ولكننا لا نلبث أن نكتشف تحت هذا المظهر الذي يتسم بالغرور نفسا شديدة الشقاء والتعاسة والوحدة .. ففي حوار بين « ايفيلين » وابنه « آرنو » يدفع الابن عن الأب تهمة انشغاله بنفسه فيقول :

آرنـو : مشـغول بنفسه . ألم يخطر ببالك قط أن هذه سمة شخص هش جدا ، أعزل جدا ، لهم جدا أيضا ، وأشد ما يكون تعاسة .؟

ايفلين : لا أعتقد أن والدك قادر على الألم ـ على ما أسميه أنا بالألم .

آرنـو : ما تسمينه انت .. لابد لك من آلام مدموغة ، يا ايفيلين .. ثمة آلام أخرى،

كما توجد أمراض لم يُعْرف لها اسم بعد ؛ ولكنها ليست اقل فظاعة . أما انا فأعتقد أن ابى رجل شقى الى أبعد حد ، وان شقاءه ليزداد بقدر ما تقل معرفته به . وذلك النوع من الظمأ المُبْهم الذى يلتهمه ، هو نفسه لا يعرف عنه شيئا — والسبب هو أنه التهمه فلم يُبْقِ منه شيئا . (الفصل الثالث — المنظر ٩)

وفى هذا المنظر نفسه يقول « آرنو » :

آرنـو : اتعتقدين اننى لا أرى نفسى مذنبا حياله ؟ انه بالنسبة لى أشبه بجزيرة لم أجد بعد وسيلة للوصول اليها . وانى لأصلّى كل يوم لبلوغها ... ثم اننى — يا ايفيلين — مهما بدا ذلك غريبا جدا — لم أدرك شقاءه الا فى هذه اللحظة ، وبعد احتكاكى بك .. والشىء الغريب جدا ، هو انك لمحت شقاء ستللا ، ولكنك لم تكتشفى شقاءه هو ، مع أنهما متشابهان.. ولا ينفصلان. (الفصل الثالث — المنظر ٩) .

اما ذلك الظمأ الذى يلتهم نفس « أميدية »، فلعله « توافق الانسان مع نفسه .. أو « نوع من الحالة الموسيقية تكون فيها الروح » على حد تعبيره (الفصل الثانى ، المنظر الأول) . أو لعله حب الانسان لمصيره amor fati كما يقول فى مشهد آخر ، أو ضرب من الثقة المطلقة يتطلبها من الاخرين . ومن هنا كانت ثورته على ايفيلين حين تشككت فيه : « ... وكأن ما أقوله موضع ارتياب ، وكأنك تشعرين بالحاجة الى التحقق من صدقه ، ومراجعته على أقوال الغير .» (الفصل الاول ، المنظر الرابع) .

ومن سلوكه فى المسرحية نرى أنه يأخذ الأمور مأخذا مأساويا ، وللمبالغة فيه أوفى نصيب ، فهو « يسرح » أتفه الأحداث ، « ولا يرى حيثما ولى وجهه سوى اهانات شخصية ، وهو « أكثر أهل الارض حساسية » (هذه العبارات جاءت على لسان ماجى لمبرسار (الفصل الاول — المنظر ٨) وهو يقول عن نفسه : «ثمة ضرب من الافراط — سواء أكان معقولا أو لم يكن ، يحوز دائما على اعجابى » (الفصل الاول — المنظر ١٣) .

و « أميدية » لا يعترف بالسعادة ولا بالمتعة . فالسعادة عنده كلمة من تلك الكلمات الكبيرة الجوفاء التى لا تحمل معنى . أما « المتعة » فلا تحتل مكانا أيا كان نوعه فى وجوده الخراب .

وخلاصة القول اننا نشعر بأن « اميديه » شخص وحيد جدا .. وانه جدير بالعطف حقا لأنه يعيش بالقلب ، وبالقلب وحده ، ولا يقبل أنصاف الحلول .

وعلى عكسه تماما نرى أمه « مدام شارتران » التى لا تسعى الا الى الاستمتاع بحياتها على قدر الامكان ، وهى لا تحيا بالقلب ، وانما بالعقل ، حتى الاحسان تحب أن يتم على مسافة ، وبذهن مستريح ، وتعتقد أن المرء لو ترك لخياله العنان ، فهو هالك لا محالة . وهى سيدة متحررة مستنيرة تقرأ « فولتير » و « رينان » ، وبها اصرار شديد على مواصلة الحياة دون الانسياق وراء العواطف أو الخضوع لها . وفى حوار بينها وبين اميدية تقول :

مدام شارتران : هذا أمر غاية فى البساطة .. أعنى القدرة على الاستمتاع . فأنا شخصيا لا استيقظ من نومى دون أن أقول لنفسى أولا : يا صغيرتى اميلى، ماذا تستطيعين أن تفعلى اليوم لامتاع نفسك ؟ ودائما أجد ما يجلب السرور الى نفسى . وفى اليوم الذى لا أجد فيه بغيتى ، لا يبقى أمامى الا اللحاق بأجدادى بأسرع السبل.. هيه، هيه ...

اميديــه : ولكن ، الا تعتقدين مع ذلك أن التفكير فى الآخرين ... ؟

مدام شارتران : خطير . فنحن لا نستطيع بكل تأكيد أن نمتنع عن التفكير فى الآخرين. ولكن ينبغى ألا نسعى الى اسعادهم على الرغم منهم ، كما لا ينبغى ــ على الأخص ــ أن نضع انفسنا فى مكانهم ، فليس هذا ممكنا ولا طبيعيا . اننى أؤمن ــ فى الحياة ــ بالمقاعد ذات الأرقام . اليك ايفيلين مثلا ــ انها لم تفهم بعد هذا ، وذلك ما يجعلها غير محتملــة فاذا عرفنا ــ بالاضافة الى ذلك ، أنها كانت تريد أن تكون مشرفة اجتماعية .. أدركنا أنه حب التدخل ، ولا شىء سواه . » (الفصل الثانى ، المنظر ٤)

أما « آرنو » الابن ، فهو روح الايمان التى ترفرف على هذه المسرحية ، انه يتخذ فى كل تصرفاته موقف انكار الذات ، ولا يلتهمه ذلك الشعور بالقلق والفضول الذى يلتهم أخته « ستلا » . انه يتمتع بحالة نادرة من صفاء النفس ، والتعاطف مــع الآخرين . فهو باختصار لا يمكن تصوره بدون ايمانه ، ومع ذلك ، فانه لا يتحدث أبدا عن ايمانه ، انه أشبه بشخص يحمل شيئا رائعا لا يراه احد سواه ، وليس

من المسموح للآخرين الا أن يلمحوا انعكاس هذا الشيء فى عينيه . وتتهمه « ستللا » بأنه معتصم بنفسه دائما وبأنه منعزل عن الحياة ، وعندها أن يحيا المرء الحياة أشد عسرا من تلك العزلة التى يضربها أخوها حول نفسه .

ونقاء سريرة « آرنو » ، ونفاذ بصيرته ، وشفافيته ـ أو « أنواره » على حد تعبير « ايفيلين » ـ هى التى تجعلنا ننفذ الى أعماق الشخصيات الأخرى ، كما أن هذه الانوار نفسها هى التى تهدى « ايفيلين » الى الصواب بعد أن تَزَعْزَع يقينُها واهتزت توكيداتها التى لا أول لها ولا آخر .. ويكاد فى المشهد الاخير من المسرحية أن يضع يدنا على السر فى وفاة والدته حين يقول :

آرنــو : طالما تساءلت : الا يمكن أن يكون أبى هو الذى أوحى اليها ـ فى الواقع ـ بهذه الفكرة ؟

ايفيلين : ماذا تعنى ؟

آرنــو : لانه كان يتوقع ببساطة أن تقوم بها ، لانه كان فى حاجة اليها .. أتفهمين ؟ وكانما كان لابد من وقوع حادث ليبرر فى نظره الشفقة التى يشعر بها نحو نفسه .. وربما كان أولئك الذين نسميهم مجرمين ، ليسوا فى بعض الأحيان سوى .. مفتونين . ولكن هذه الجريمة المستعارة التى لم تستطع التعرف فيها على نفسها .. اعتقد انها قد عزلتها عن نفسها .. وهكذا اضطرب عقلها .. وضاعت حقا . (الفصل الثالث ، المنظر ٩)

وتسرع الأحداث فى المسرحية بمحاولة الانتحار التى أقدم عليها « آلان » بعد أن بعث الى ستللا بخطاب يطلبها فيه للزواج . ولكنه لم يتمهل حتى يتسلم الرد ، مع ان ستللا كانت قد قررت قبول طلبه ذاك حين أحست أنه يحبها حقا ، وانها فى حاجة الى هذا الحب . وتشاء المصادفة أن ينقذه « أميديه » من هذه المحاولة فى اللحظة الأخيرة .

ولعل أروع لحظتين فى هذه المسرحية ، هما اللحظتان اللتان تثوب فيهما كل من « ايفيلين » و « ستللا » الى الحب : الاولى الى حب زوجها الذى لم تنصفه ولم تفهمه ، والثانية الى حب « آلان » . تقول ايفيلين لآرنو :

ايفيلين : أجل ، ربما أخطأت على سبيل الكبرياء .. انظر ، اننى أوافق على ذلك ،

ولا أتشدد . ان الطريق الذى سلكته حتى الآن لم يؤد بى الى أي مكان . احب أن أمشي طريقى . وما دمت تتمتع بأنوار حرمت على، فلماذا لا تقبل ارشادى ؟ سأكون طيعة .. متواضعة ، أؤكد لك . وربما تعلمت أن أكون أكثر انصافا له (تقصد أميدية) ـ ما دمت تعتقد أننى غدرت به .. وانى لعلى يقين فى هذه اللحظة من أنك على صواب .. » (الفصل الثالث ـ المنظر ٩)

وهنا يعلن لها آرنو انه سيدخل فى سلك الرهبان خلال بضعه أسابيع .

أما ستلا فتقول لآرنو أيضا :

ستللا : لست أدرى ، كل شيء قد اختلط .. اختلاطا مستعصيا فى داخلنا نحن ، وفى خارجنا . انى لأتمثل « الآن » راقدا على تلك الصخرة ، خائر القوى ، يائسا .. وأراه غدا سعيدا .. بل يكاد أن يكون مجنونا .. ولا أريد من بعد ، أن أتذكر كم ضايقنى فى كثير من الأحيان ، وأثارنى .. انى أمحو هذا كله .. فاهم ... »

وتنتهى المسرحية نهاية سعيدة يعلنها أميدية بقوله :

أميديه : يا طفلى المسكينين هنـاك لى لحظات موفقة ، يتآلف فيها نظام لا تلتقطه غير الأذن المرهفة ، البالغة الدقة .. (الفصل الأخير ، المنظر الأخير)

ولا يسع المرء بالنسبة لهذه المسرحية الا أن يتعاطف مع شخصياتها جميعا على الرغم من مواطن الضعف فى كل شخصية ، لأنها فى حقيقة الأمر شخصيات انسانية من لحم ودم ، ومن الممكن أن يقع المرء فيما تقع فيه من أخطاء وعثرات ، وأن يتعرض لتلك المشكلات الحارقة ، والمحن الرهيبة التى تعرضت لها .

شخصيات المسرحية

أميدية شارتران	(٥٠ سنة)	Amédée Chartrain
آرنو شارتران	(٢٤ سنة)	Arnaud Chartrain
آلان دى بويجرلان	(٢٣ سنة)	Alain de Puygeurland
ايفيلين شارتران	(٢٤ سنة)	Eveline Chartrain
ستللا شارتران	(٢٠ سنة)	Stella Chartrain
مدام شارتران	(٧٢ سنة)	Madame Chartrain
مدام دى بويجرلان	(٤٨ سنة)	Madame De Puygeurland
الآنسة فرو	(٦٠ سنة)	Mademoiselle Freux
ماجي لامبرسار	(٣٢ سنة)	Maggie Lambersart

تمهيـــد

ظهرت هذه المسرحية سنة ١٩٣٨ تحت عنوان « الظمأ » في مجموعة Les Iles عند الناشر « دسليه دى برووَيه » .

وتحاشيا لاى خلط مع مسرحيـــة « هنرى برنشتين » التى ظهرت قبل مسرحيتى بعشر سنوات ، والتى تحمل نفس العنوان ، وبناء على طلب مسيوليچين Lejeune مدير « مسرح المنتزه » فى بروكسل الذى كان مكلّفا بتفيذ المسرحية فى أكتوبر ١٩٥٢ ، وافقت على أن استبدل بالعنوان الأصلي عنوان « القلوب النهمة » .

وتحت عنوان « الظمأ » ، عرِضت هذه المسرحية على الجمهور لأول مرةتحت اشراف « نادى البروفانس » فوق مسرح « الچمناز » بمارسيليا فى ٦ مارس ١٩٤٩ .

جبرييل مارسل

الفصل الأوّل

تدور حوادث المسرحية عـــام ١٩٣٧

غرفة فسيحة الجنبات في منزل ريفي ، على بعد مائة كيلو مـــن باريس .

المنظر الاول

مدام شارتران وستللا

مدام شارتران : (بانفعال) — عيناى ! عيناى !

ســـتللا : (تناولها نظارتها في هدوء) ، هاهى ذى ياجدتى .

مدام شارتران : شكرا ، يا بنيتى . (وكانت قد وضعت على المنضدة مفكرة من القماش المشمع ، وقلماً من الرصاص .) ها أنذا مصغية إليك .

ســـتللا : (تقرأ) — « مدام ف . . . ، التى مازالت أرملة تعول ثلاثة أطفال ، أكبرهم في السادسة من عمره . . . »

مدام شارتران : رقمهـــا ؟

ســـتللا : خمسمائة وثمانية وسبعون .

مدام شارتران : أعيدى علىّ هذه الفقرة .

ســـتللا : مدام ف . . . التى مازالت أرملة تعول ثلاثـــة أطفال ، أكبرهم فى السادسة من عمره ــ تعانى فى الوقت الحاضر أشد ضروب الحرمان . ولاحق لها فى إعانة البطالة ، ولما كان زوجها قد أدمن الشراب . . . »

مدام شارتران : قلنا انها أرملة ! . . . هذه ركاكة فى التحرير .

ســـتلا : فانه لم يتفاد فى الوقت المناسب ، سيارة أقبلت عليه . . . »

مدام شارتران : فهمت . . عائلة من مدمنى الخمر لاأرى فيها أمـــلا كبيراً . . عشرون مـــن الفرنكات . (تكتب فى مفكرتها) .

ســـتللا : ولكن ، ياجدتى . . .

مدام شارتران : إلى ما بعدها .

ســـتللا : (تستأنف القراءة) ــ « الآنسة ى . . »

مدام شارتران : وهذه رقمها خمسمائة وتسع وسبعون

ســتللا : « . . . صماء بكماء منذ مولدها ، وعلى وشك أن تفقد بصرها . »

مدام شارتران : هذه حالة طريفة . تمهلى في قراءتها يا ستللا .

ســتللا : » وقد عاشت حتى الوقت الحاضر بفضل معونة مادية تسديها إليها إحدى قريباتها البعيدات ، غير أن نكبة مالية نزلت بهذه السيدة ، حالت اليوم دون استمرارها طويلا في تلبية احتياجات تلك الفتاة . . التى أصيبت فضلا عن ذلـك بروماتزم المفاصل . . . »

مدام شارتران : حالة ميؤس منها . . لاسبيل إلى تداركها . . وخير مانسديه إليها أن نقدم لها قليلا من السيانور .

ستلا : جدنى !

مدام شارتران : إن مفعوله فورى . صدقينى ، إنه الحل الذى سوف نصل إليه يوما ما . . فما برحت هناك معتقدات زائفة ينبغى القضاء عليها .

ستللا : لا أعتقد أن مثل هذه الأمور من قبيل المعتقدات الزائفة .

مدام شارتران : انك لا تتمتعين بأى حس اجتماعى ، يا صديقتى

الصغيرة ، وليست هذه أول مرة ألاحظ فيها ذلك . ومهما يكن من أمر ، فأنتم — هاهنا — رجعيون جميعا . . هيا . . إلى الحالة التالية . . .

ستللا : (تواصل القراءة) « مسيون . . . اسرائيلى ، من اللاجئين الألمان . . . »

مدام شارتران : لقد منحت جمعيتهم خمسين من الفرنكات . في هذا اذن ازدواج .

ستللا : مدام س . . الى مازالت أرملة ترعى ثلاثة اطفال . . . »

مدام شارتران : مرة أخرى !

ستللا : إنها ليست نفس الأرملة السابقة . » . . . ستجد نفسها مرغمة على الانفصال عنهم ، إن لم تسارع إلى عونها . »

مدام شارتران : هذا الكلام غاية في الغموض .

(يفتح أميدية الباب القائم عند مؤخرة المسرح ، ويبقى بلا حراك)

ستللا : (تواصل القراءة) « وهم يعيشون الآن في غرفة غير صحية ، تطل على فناء صغير ، وينام الأطفال الثلاثة على فراش واحد . » (يسعل

امدية سعلة خفيفة ، فتلتفت إليه ستالا) ماذا هناك يا أبى ؟

أميـــديه : (بعد هنيهة) لا أميل إلى زهرات الشقاء .[1]
(يخرج)

مدام شارتران : ماذا قال أبوك ؟ لم أحسن الاستماع .

ســـتللا : (في شيء من الحرج) .كلمة حول هذه النشرة .. جدتى ، أأنت واثقة أن ما نفعله ، يفيد في شيء ؟

مدام شارتران : كيف ؟

ســـتللا : هذا التدقيق في الفحص .. لا أدرى .. حين أتمثل كل هؤلاء التعساء ... أشعر . .بالخجل

مدام شارتران : (في قسوة) اوترك المرء لخياله العنان فإنه يتوه . .فلا يبغى أن يتم الاحسان إلا عن بعد ،وبذهن مستريح .

ســـتللا : أجل ولكن ... ربما لايصبح هذا احسانا .

مدام شارتران : يبدو عليك الارهاق ، ياصديقتى الصغيرة ، ولست على مالوف عادتك في أيام الأربعـــاء الماضية .. أهناك شيء لايسير على ما يرام ؟

(1) Les Heeri legis de maiheur

أنت تعلمين ياستللا ، أنى لاأحب الأسرار .

ستللا : أؤكد لك يا جدتى ، أنه لاشيء هناك على الاطلاق

مدام شارتران : في هذه الحالة فلنستمر .

المنظر الثاني

نفس الأشخاص ـ ايفيلين

(تقلب إيفلين أشياء مختلفة ، ومن الواضح أنها تبحث عن شيء فقدته)

إيفيلين : أرجو المعذرة ياأماه . لاداعى للانزعاج .

مدام شارتران : (مستاءة) كيف تريدين ياإيفيلين أن نقوم بعمل بعمل جاد على حين نقاطع في كل لحظة ؟

إيفيلين : (تتجه بالحديث إلى ستللا) ألم تقع عيناك ـ ياعزيزتى ـ مصادفة ـ على شغلى ؟ فلست أدرى أين وضعته .

ستللا : لعلك تركته في الحديقة مساء أمس .

زيفيلين : أتعلقدين ذلك ؟ (تلمح احتداد مدام شارتران، فتطلق ضحكة صغيرة) هذه حماقة .

مدام شارتران : بل إن أقل مافيه هو أنه يثير الغضب . ويبدو

أن الوقت لاقيمة له عندك ، وهذا شيء غريب ، يـا ايفيلين بالامس حسبت الوقت فوجـدت أنك أنفقت ثماني عشرة دقيقة في البحث عـن منديلك ، وقفازك . .

إيفيـلين : جائزه .

سـتللا : أرجو أن تأذني لى بالانصراف ، ياجدتى . . .

مدام شارتران : (حانقة) لماذا ؟

سـتللا : الواقع . . . أنك لست في حاجة إلىّ .

مدام شارتران : (في تهكم مرير) لامفر من أن افقأ عيني في هذا النص المطبوع بحروف باهتة جدا ، ودقيقة جدا . . وأنت مع ذلك تعلمين مانصحني به طبيب العيون . ولكن ، الأمر يستوى لديك . . هل استطيع الاعتماد عليك — على الأقل ، في إلقاء الحوالات في صندوق البريد ؟

إيفيـلين : تستطيع روز أن تقوم بهذه المهمة ياأماه .

مدام شارتران : أنت لاتشغلين فكرك بهذه المسألة يا إيفلين . إن حسناتى ليست من اختصاص الخدم .

(تخرج غاضبة)

المنظر الثالث

ستللا ــ ايفيلين

ســتللا : مسكينة جدتي !

ايفيــلين : أجل ، يبدولى أن حالتها زداد سوءا هذه الأيام .

ســتللا : أراك تتحدثين عنها كما تتحدثين عن مرض من الأمراض .

إيفيــلين : ومع كل هذا ، تتمتع بحيوية خارقة .

ســتللا : هذا صحيح .

إيفيــلين : حيوية بعض الأشخاص المُحنطين تماما في مواقف أخرى .

ســتللا : المحنطين ؟

إيفيــلين : صدقيني يا ستللا ، إن تَحَجّر القلب يصون الحيوية على نحو عجيب . أبي ــ مثلاــ كان يمكن أن يُعَمر مائة عام ، لولا تلك الحادثة المشئومة .

ستللا : أكان مولعا بالحياة

إيفيــلين : هذا أمر صعب الحكم عليه . إن حب الحياة ،

ضرب من السخاء ، لا يوهب لكل الناس . .
وقد كان يتمسك بالحياة تمسكه بكتبه ، وأوراقه .
فلندع الحديث عنه ياقطتي الصغيرة . . هذا
أفضل . .

ستللا : وأمك ؟ قلما تتحدثين عنها .

إيفيلين : أمي . . لقد كانت شيئا مختلفا . بددت حياتها
أولا في سبيل أمها التي كانت مخلوقة جهنمية ،
ثم في سبيل زوجها من بعد . . . لقد قتلها .

ستللا : أوه !

إيفيلين : قتلها على مهل : وفي كامل وعيه .

ستللا : ماذا تعنين بكلمة قتلها ؟

إيفيلين : كما تقتل الزهور في الآنية . . إذ تعمدنا — بكل
عناية — ألا نعطيها ما تحتاجه من ماء . . .

ستللا : يا للبشاعة ! . . . ولم يساوره . . . الندم قط ؟

إيفيلين : أي أنه أعتبر موتها إهانة شخصية .

ستللا : (بعد هنيهة) كثيرا ماتساءلت عما كان سيحدث
لو لم تحضري إلى « سيلفا بلانا » في تلك السنة
التي كنا نحن هناك . . .

إيفيلين : لو لم ألتق بكم – اى ستللا – لرحلت . فقد عقدت عزمى على الرحيل ، إذ علمت أن في إمكانى السفر إلى فيينا في مقابل أداء عمل ما . وكنت أستطيع اعطاء دروس في اللغة الفرنسية . . حتى لا أكون عالة على أحد .

ستللا : وهل تتركين والدك دون تردد ؟

إيفيلين : دون أدنى تردد يا عزيزتى . .

ستللا : ودون أن تنحى على نفسك باللائمة فيما بعد ؟

إيفيلين : أيتها الحالمة الصغيرة ! دون لوم على الاطلاق .

ستللا : نحن غير متشابهتين .

إيفيلين : لحسن الحظ ، يا حبيبتى .

ستللا : بالنسبة لمن ؟

إيفيلين : ربما كان من حسن حظك أنت ، ولكنه بكل تأكيد ، من حسن حظ الآخرين .

ستللا : (متابعة تفكيرها) ونحن ، لو لم نلتق بك ، نحن الثلاثة . . تصورى الأسابيع العصيبة التى كان

أبي يجتازها في تلك اللحظة . . . لولاك ! . . .
كان في أشد الحاجة إلى من يفهمه. كنا نقتله أحيانا
على غير وعي منا ــ بكلمة نقولها ــ أو لا نقولها .

إيفيــلين : (في عذوبة) صدقيني ، انه لاداعي للقلق .

ســتللا : انك تعرفين دائما كيف تبصرين ماهو خطير ،
وما هو تافه . . مثل آرنو . .

إيفيــلين : (في حزن) ثمة اختلاف كبير بين أخيك وبيني ،
تنسينه يا حبيبتي .

ســتللا : أعرف ذلك حق المعرفة ومن حسن حظ آرنو أن
يكون على مثل تلك الثقة ، تلك . . .

إيفيــلين : أجل . . . وان كان من الاجحاف به ان ــ
نتحدث عن حظه . . فالحظ الذى يواتينا ، يمكن
ألا يأتي ومن الممكن أيضا ان يتحول عنا .

ســتللا : هذا حق ، فليس من الممكن ان نتصور آرنــو
دون ايمانه ، إنه لن يكون حينئذ آرنو ، ولن
يكون هناك في تلك الحالة . .

إيفيــلين : ومع ذلك ، فهو لايتحدث عن إيمانه ابدا ، إنه
أشبه بشخص يحمل شيئا رائعا لايراه أحد سواه ،

وليس من المسموح للآخرين إلا أن يلمحوا — انعكاسه في عينيه .. بيد أن هذا وحده شيء كثير .

ستللا : وحتى لو عاش المرء دائما في صحبته ، لما كان في ذلك أى عون . . . بل قد يجد في هذه الصحبة أحيانا شيئا من الضيق .

إيفيلين : ثمة شيء يشغلك — أى ستللا — ولقد أحسست به على الفور .

(فترة من الصمت)

ستللا : (في صوت مختنق) أوثر ألا أتحدث عنه ، حتى لو كان ذلك إليك أنت .

إيفيلين : لك ما تشائين ياحبيبتى .

ستللا : أنت تفهمين . . .

(تتوقف عن الكلام)

المنظر الرابع

نفس الأشخاص — اميديه

أميديه : (يتحدث وعيناه نصف مغمضتين) — ما كنت أريد أن ينشأ بيننا سوء تفاهم .

(مخاطبا ستللا) من المحتمل أنك أعدت على سمع والدتى الجملة التى تفوهت بها منذلحظة ؟

ستللا : أية جملة ياأبى ؟

أميديه : ليس من اللائق أن يستشهد المرء بنفسه ، ويحسن بك أن توفرى على ذلك العناء .

ستللا : أؤكد لك أننى لا أتذكر شيئا على الاطلاق . . .

أميديه : (بعد فترة صمت) هاقد مضى يومان نسوا فيهما افراغ سلتى للمهملات ، وكنت أفهم أنك أنت التى تتولين هذا العمل ياستللا .

ستللا : يخيل إلى أنه لاوجود لقاعدة .

أميديه : أو ليس هذا أمرا يدعو إلى الأسف ؟

ستللا : آه ! تذكرت الآن . لقد قلت إنك لا تحب « أضرار » الشقاء (١)

أميديه : (في عصبيه بالغة) — لم أقل « أضرار » ، بل قلت « أزهار » وليس معنى هذا — إطلاقا — أننى ألومك على ماتبدينه من رحمة بأولئك البؤساء الذين وقع عليهم الاختيار . . .

(1) Les Lrrilege du Welheum

إيفيلين : أميديه !

أميديه : ثم ماذا ؟ ربما كان من الطبيعي أن أشخاصا في ميعة الصبا ، أو — واأسفاه ! — ينحدرون إلى الشيخوخة كوالدتي . . .

إيفيلين : (إلى ستللا) ألم تتصل ماجي بالتلفون ؟

ستللا : لاأظن . ماذا كنت تقول ياأبي ؟

أميديه : (إلى إيفيلين) إن لك طريقة محيرة تقطعين بها الحديث ياإيفيلين . من تكون ماجي هذه ؟

إيفيلين : أنت تعرفها تمام المعرفة ياأميديه .

أميديه : ومع ذلك ، أعتقد أنك لاتقصدين الآنسة لامبرسار .

إيفيلين : أنا لاأعرف غير ماجي واحدة .

أميديه : وكان ينبغي . . على تلك الفتاة أن تتصل بك تلفونيا ؟

إيفيلين : أجل .

أميديه : وكان من المتفق بينكما أن تطلبك بالتلفون ؟

إيفيلين : ولم لا ؟

أميديه : فقد كان أمرا مرتبا ؟

إيفيـــلين : وماذا بعد ؟

أميـــديه : قد يحدث ان أرد على التلفون يا ايفيلين . . وعلى هذا النحو أخاطر بأن أجد نفس في حضرة . . . .

إيفيـــلين : ولكنها في الطرف الآخر من الخط .

أميـــديه : لاداعى للتلاعب بالألفاظ . . أجد نفسى في حضرة شخص يمت بصلة القرابة الى الرجل الذى حطّم حياتى بوسائله الوضيعة ؟ إيفيلين ، أتدركين ما يمكن أن يسفر عنه هذا الأمر ؟

إيفلين : تستطيع في هذه الحالة أن تناولنى السماعة .

أميـــديه : ولكن الأدهى من ذلك ـ على وجه الخصوص ـ أن تظل علاقاتك موصولة بابنة ألد اعدائى !

إيفيـ لين : سبق إليك قولى بأن هناك ـ بلاشك ـ قدراكبيرا من سوء التفاهم .

أميـــديه : كلا ، يا إيفيلين ، لا وجود لسوء تفاهم ، لا وجود لأدنى سوء تفاهم .

إيفيـــلين : على المرء أن يتعرف أيضا على رنّة الجرس الأخرى.*

---

* كتابة عن اقوال الطرق الآخر ، وهي بالفرنسية Lo'autre Son de Chocke

(يرفع أميديه راحته إلى وجهه وكأن أحدا يهم بصفعه)

أميـــديه : وهكذا يكون عذابي ومهانتي وثورتي .. مجرد رنة جرس أخرى ... ؟ وكأن ما أقوله موضع ارتياب ، وكأنك تشعرين بالحاجة إلى التحقق من صدقه ، ومراجعته على أقوال الغير ...

إيفيـــلين : ولم لا ؟ وهذاهو سبب تلهفي على الحديث مع ماجي .

أميـــديه : وأين قررت الالتقاء بهذه الانسانة ؟ على أرض محايدة ، على ما أعتقد ؟

إيفيـــلين : ولم لا يكون اللقـــاء هنا ؟

أميـــديه : آه ! كلا ، يا إيفيلين ، ليس هنا ، لن يحدث ذلك عندي ، وتحت سقف بيتي .. وإلا ، انسحبت أنا من هذا المكان ، انسحابا نهائيا لا رجعة فيه .

ســـتللا : حسبك يا أبي ، لا تأخذ الأمور هذا المأخذ المأسوي . فاني على يقين تام من أن إيفيلين ستتخلى طواعية واختيارا عن هذا الموضوع في

اللحظة التى تشعر فيها أن هذه المحادثة تجشمك أى عناء .

أميــديه : لست أدرى — ياطفلتى — لم تصرين على قولك « إيفيلين » ، وأنت تعلمين أن هذا يصدمنى ؟ لقد رجوتك أكثر من مرة أن تناديها بعامى .

ســتللا : اسمع يا أبى ، ان هذا لا يتفق مع شعورى نحو إيفيلين ، وسيكون ذلك مصطنعا .

أميــديه : مصطنعاً ! الأدب شيء مصطنع ، والتهذيب شيء مصطنع . .

إيفيــلين : لاتصر على ذلك يا أميديه ، وحتى لو ارتضته ستللا ، فلن أرتضيه انا . كيف غاب عنك أن التدخل في هذه المسألة لايعنيك ؟ ثم ، انها مسألة صبيانية ، في نهاية الأمر.

أميــديه : ثمــة شيء من الترخص في العلاقات الشخصية لن أسمح به أبدا في بيتى . .والحق ، أن هذه المسألة على أكبر جانب من الخطورة.

ســتللا : ولماذا يا أبتى؟

أميــديه : لأن هذه علامة أخرى على حالة الانحلال التى يوغل فيها هذا البلد التعس يوما بعد آخر .

ستللا : أنا لا أفهم شيئا . .

أميديه : لو أنك – ياطفلتى المسكينة – بدلا من أن ترتعى في تلك المطالعات المهوشة الشائكة ، كنت قد بذلت جهدا منهجيا – وذكيا – لدراسة تاريخ تقاليدنا ومؤسساتنا . .

المنظر الخامس

نفس الأشخاص – آرنو

آرنو : صباح الخير عليكم جميعا . التقيت من توى بماجى ، يا إيفيلين ، وقد كلفتنى بأن اخبرك انها ستحضر بعد ساعة – من الآن – لرويتك .
(يتجه أميديه إلى الباب القائم في المؤخرة .)
لماذا تمضى يا أبى ؟ ؟

أميديه : أمك وأختك تعرفان رأيى في هذه الزيارة . – وأعتقد أنى قد عبرت عن نفسى منذ لحظة في عبارات واضحة بما فيه الكفاية . غير انى اضيف لعلمك الخاص – بما أنك كنت محيطا بالحوادث التى تعاقبت في هذه الشهور الأخيرة ، فقد كان من واجبك أن تفهم تلك المعتوهة ما ينطوى عليه سلوكها من مجافاة للذوق .

إيفيلين : المسألة ليست مسألة سلوك يا أميديه ، انت — تحلم . . وماجى صديقتى ، ولاأجد ماألومها عليه . وإذا كان يروق لك الآن أن تذهب للقيام بجولة أثناء وجودها هنا ، فانى لا أرى في ذلك — من جانبي أية مجافاة للذوق .

أميديه : ألف شكر على لطفك . . .

مدام شارتران : (وقد ظهرت في المؤخرة ، ومن الواضح انها جهزت نفسها كما لو كانت تتأهب للقيام برحلة بعيدة) سأذهب إلى مكتب البريد .

أميديه : (إلى إيفيلين) إن نتائج موقفك يمكن أن — تكون . . بغير حدود .

إيفيلين : لم يكن من طبعى أبدا أن أخشى ماكان بغير حدود يا أميديه .

مدام شارتران : أكرر عليكم قولى بأنى ذاهبة بنفسى إلى مكتب البريد ..

آرنو : لاداعى للعجلة ياجدتى ، فالبريد لايصدر قبل هذا المساء .

مدام شارتران : إنها مسألة مبدأ ؟

أميـــديه : ماما ، انتظرى لحظة من فضلك ، وسأصحبك.

(يخرجان)

المنظر السادس

إيفيلين ـ آرنو ـ ستللا

إيفيـــلين : (في مـــرح) ينبغى ألا نكتم شيئا يـــا أولاد فلنفض بكل شيء .

آرنـــو : ماذا حدث إذن ؟

إيفيـــلين : (تنظر في الاتجاه الذى خرجا منه) ما اشـــد تشابههما ، هذين الاثنين !

ســـتللا : (مرتاعة) أتعتقدين ذلك ؟

إيفيـــلين : إلى أقصى حد .

ســـتللا : ماكنت أعتقد هذا قط . فانى مرهف الحس .

إيفيـــلين : (في هدوء) أما أنا ، فأعتقد ان بينهما على الاخص .. اختلافا . فلنقل .. في الايقاع .

آرنـــو : (ضاحكا) إلام تقصدين ؟

ســـتللا : (إلى إيفيلين) تقولين ـ وأنت تضحكين ـ أشياء رهيبة .

إيفيلين : هل ابدو مرعبة ياعزيزتى ؟ ان معرفتك بى الآن تكفى لكى لايراودك الشك في انني لأستطيع الامتناع بين حين وآخر عن النظر إلى أقرب — الناس إلى ، وكأنهم غرباء ، عابرو سبيل

ستللا : ونحن ، آرنو وأنا ، أمن الممكن ان ت.. ؟

إيفيلين : بكل تأكيد : مجرد عابرى سبيل يشعر نحوها المرء شعورا لاسبيل إلى مقاومته بأن يصيح قائلا : « كم أعجب بكما أنتما الاثنين ! » ففى طفولتى ياستيللا ، بل منذ ذلك الحين ، عرفت مثل هذه الاغراءات ، دون أن املك إلى مقاومتها وسيلة .

ستللا : حتى مع الرجال ؟

آرنو : بالطبع ، ولم لا ؟ إننى مثلك يا ايفيلين ، كل ما في الأمر اننى لا ابحث مطلقا عن وسيلةللمقاومة

ستللا : الامر ايسر بالنسبة للولد . . .

آرنو : بالنسبة للناس جميعا : مع الشيوخ ، والشبان ، والأطفال ، ولهذا السبب أعشق السفر بالقطار

إيفيلين : وعند هذا ، سأترككما ، يا أولادى ، إذ

ينبغي أن اهتم بقائمة الطعام ، فقد أزف الوقت وإذا حضرت ماجى ، فابعثا بها إلى في حجرتى.

(تخرج)

المنظر السابع

آرنو ـ ستللا

ستللا : (في عصبية) عندى أشياء كثيرة أود أن أقولها لك ، وان أطلبها منك ، ولكنك غائب دائما وابدا . ومع ذلك فقد استيقظت هذا الصباح في ساعة مبكرة . . وأنا ، حين تذهب أنت إلى الكنيسة ، لايساعدنى ذلك في شيء .

آرنو : (في رفق) ربما ساعدك ذلك أكثر قليلا مما تعتقدين .

ستللا : أعرف ماترمى إليه ، ولكن ، اذا لم أشعر أنا به ، أنت فاهم . . .

آرنو : أعتقد أنه لاينبغى أن نطالب الكثير من الشعور ، فهذا لاجدوى منه .

ستللا : لقد اصبح الجو ها هنا ثقيل الوطأة ، ولايبدو

عليك أنك لاحظت ذلك ، وان كنت قد سمعت ما قالته إيفيلين منذ لحظة . فاذا كانت قد بلغت هذا الموضع بعد ثمانية عشر شهرا من الزواج . .

آرنـــو : لاأريد مناقشة مشاعر إيفيلين ، فانها لاتخصنا . وفضلا عن ذلك ، من المحتمل ألا نستطيع — فهمها على الاطلاق .

ســتللا : أنت تعتصم دائما بنفسك ، وهذا شيء مريح . . . أما أن يحيا المرء ، فهذا ماأجده غاية في العسر . أترانى أثير شفقتك ؟

آرنـــو : كلا ، وانما أتألم من أجلك .

ســتللا : أوثر أن تهزنى هزا . .

آرنـــو : ولكنك في تلك الحالات ، تتهميني بأنى أعنفك

(صمت)

ســتللا : (خافضة من صوتها) ستأتى الآنسة فرو لرؤيتى حالا .

آرنـــو : ومن تكون ؟

ستللا : آرنو !

آرنو : آه ، آسف ، لقد نسيت اسمها .

ستللا : ولكن ، أين ذهب عقلك ؟

آرنو : هل كتبت إليك ؟

ستللا : بعثت إلى بكلمة تسلمتها مساء أمس .

(تناوله رسالة)

آرنو : (بعد أن قرا مافيها) ياله من خط عجيب ، وكأنه مزيف .

ستللا : انها هى نفسها مزيّفة ، وأنت تعلم ذلك جيدا .

آرنو : يؤسفنى أنك سترينها مرة أخرى .

ستللا : إنها ترغب في محادثتى . . . وكان من الجبن ألا ألبى رغبتها .

آرنو : ليس بالتأكيد .

ستللا : لماذا ؟

آرنو : هل تبادر إلى ذهنك أنها سوف تحدثك عن أمنا ؟

ستللا : إنى من ذلك على يقين .

آرنو : طيب ، وبعد . . .

ستللا : (في حماس (لا أستطيع أن أفهمك . لقد تعذبنا كثيرا ونحن نسعى إلى التكهن بما حدث في الماضي . . .

آرنو : لم أتعذب .

ستللا : إذن ، فقد كنت تتظاهر . . . ذلك المرض غير المفهوم الذى لم يشأ أحد قط ان يعطينا عنه أية تفصيلات . . وموتها – ياارنو – موتها الذى لم نحط به علما الا بعد انقضاء ثلاثة اسابيع . . . وانت ايضا قد تسلطت عليك هذه الوساوس كلها .

آرنو : كنت اسير في اعقابك ، ان الأمر اشبه بتلك التزهات التى ماكنت اقوم بها بدونك ، على مقربة من «هاشيكور» أو عند المنزل الأحمر.

ستللا : آرنو ! وماوجه الشبه ؟ . . .

آرنو : أعتقد أننى لست فضوليا .

ستللا : ان الأمر يتعلق بأمنا ياآرنو – لا بانسانة غريبة .

آرنو : انه – على كل حال – ضرب من . . . الفضول

ستللا : ليس بالنسبة إلى . . انه نوع من القلق . . من

تأنيب الضمير . فلا أستطيع أن أفكر في أمي كما ينبغي أن يكون التفكير ، ما دمت لا أعرف كيف كانت حياتها .

آرنـــو : ولماذا لا تستطيعين ؟

ستـــللا : لأنني لا أعرف الصـــلاة .

آرنـــو : عفوا يا ستللا (يخاطبها في رفق) كل مـــا في الأمـــر — انني ربمـــا لم أكن بالبساطـــة التي تتصورينها تماما ، وأؤكد لك . . .

ستـــللا بلى ، يا آرنو ، إنك أشد الناس بساطة . وحتى لو أردت ، فإنك لا تعرف كيف تكذب ، بل تتخبط على الفور كطفل غرير .

المنظر الثامن

نفس الأشخاص — ماجي

ماجي : صباح الخير ياآنسة . (ثم لآرنو) هل بلّغـــت رسالتي إلى إيفيـــلين ؟

آرنـــو : أجل ، أجل ، وهي تنتظرك .

ستـــللا : فلنغتنم فرصة خروج أبي ، فقد يعود بين لحظة وأخرى .

ماجى : أظن أنه لن يلتهمنى إذا التقينا .

ستللا : لا أخفى عليك أنه كان حاقدا أشد الحقد . . .

ماجى : كيف ؟

ستللا : لا أستطيع أن أقطع برأى في هذا الموضوع ، ولكنه مقتنع بأنه كان ضحية مؤامرة .

آرنو : حسبك يا ستللا .

ستللا : أنت تعلم حق العلم أنى لا أبالغ .

إيفيلين : (قادمة) حسبت انى أسمع صوتك ، كيف حالك ؟ متى وصلت إلى أورشان ؟

ماجى : منذ مساء أول أمس . ولكن خبريني يا إيفيلين ، يبدو أن زوجك يتوهم أشياء عجيبة ؟

إيفيلين : سأشرح لك كل شيء ، ولكن ينبغى ألا تأخذى الأشياء مأخذ المأساة .

ماجى : (مشتعلة الاحساس) لأننى ، عندما يتعلق الأمر بأبى ، انت تفهمين . . .

إيفيلين : طبعا ، يا ماجى .

ماجى : أبى كائن لا نظير له . فمن حيث الاستقامة ، ومن حيث الولاء . . . هو شيء رائع . . بل لست

أدرى . . انه شيء سابق على التاريخ .. وباختصار ما الذى يأخذه عليه مسيو شارتران ؟

آرنـــو : أظن أن والدى يرى ، سواء أكان مخطئاأم مصيبا

ستـــللا : اسمع ، ياآرنـــو . . .

آرنـــو : إنهم قد أرغموه على التخلى عن ادارة « مجـــلة الآداب » ، في نفس الوقت الذى يتظاهرون فيه برفض استقالته.

ماجى : ماذا تعنى بقولك « أرغموه » ؟ كل ما أعرفه أنا هو أن والدك ــ حسب ما يقوله أبى ــ أكـــثر أهـــل الأرض حساسية ، وهو يمسرح اتفـــه الأحداث ، ولا يرى حيثما ولى وجهه ــ سوى اهانات شخصية ــ وانتهى الأمر بأبى ــ الذى هو الصبر ذاته ، أن طفح منه الكيل ، فكان من الطبيعى جدا . . .

المنظر التاسع

نفس الأشخاص ــ اميديه

أميـــديه : أهنئك ياآنسة ، فها أنت تأتين إلى بيتى لتبصير أهلى بعيوبى : وهذا تصرف غاية في الرقة ،وخليق

بالزمن الذى نعيش فيه. تهانئى ، يا آنسة . من الحق أنك تربيت في مدرسة طبية يا آنسة.

ماجى : (بصوت بالغ الحدة) سيدى، لا أسمح . .

إيفيلـــين : ألا تدركين يا ماجى أن هذا كله من قبيل الهزل؟ تعالى معى نتجول في الحديقة ، فهذا أفضل كثيرا

ماجى : إن كان يجلب السرور إلى نفسك ، مثلا!

إيفيـــلين : طبعا ، طبعا .

ماجى : كان الأمر يحتاج حقا إلى طيبة أبى التى لا يصدقها العقل ، وتسامحه الذى لا مثيل له. .

(تخرج بصحبة ايفيـــلين)

المنظر العاشر

اميديه ـ ستلا ـ آرنو

أميـــديه : هذا شىء فريد . . . ألا حظتم وَصْمات الانحلال التى يعرضها وجهُ هذه المخلوقة ؟ .

آرنـــو : (في بساطة) ، لا أدرى ، ولكننى أرى أن ماجى مخلوقة فاتنة .

أميـــديه : ماذا ؟

آرنـو : أعتقد أنها لم تخترع البارود ، وأن لها شخصية على شيء من الوقاحة ، ولكن . . .

أميـديه : فاتنة ؟ إنها فقمية* !

آرنـو : هذا ما لا أعرفه .

ستـللا : وما معنى « فقمية » ؟

أميـديه : يا طفليّ المسكينين ، لست أدرى ، أن أشد ما يحزنني في جهلكما المشين ، هو أنه جهل أمين ، والأدهى من ذلك أنه ضرب من البلادة الصفيقة . . .

آرنـو : ليست غلطتي أن وجدت ماجي فاتنة

أميـديه : بكل تأكيد . فالمخلوق الشائه ليس مسئولا عما به من تشويه . (ينفجر آرنو ضاحكا) أين وجه الضحك في هذا ؟ وانى لاتساءل مرة أخرى عامدا : أليس الشطر الذي ينتمي إلى الاختيار الحر من طريقتنا في الوجود أكبر كثيرا مما يذهب اليه اعتقاد الناس ؟ (إلى آرنو) وفضلا عن ذلك ،

---

* ترجمة كلمة Prognathe ومعناها الانسان البدائي البارز الفكين .
(المترجم)

يا بنى ، إذا اعتقدنا فيما يقوله ذلك الدكتـــور الذى يـُجِلـُّونـَه في الكنيسة — التى هى كنيستك ، والذى ابجله إلى غير حد . .

آر نـــو : لست لاهوتيا ، يا أبى .

أميـــديه : ودون أن تكون لاهوتيا ، كان ينبغى أن تهتم — على ما يبدو لى، بالتفكير في إيمانك. ومعتقداتك التى ربما وجدتُ في مشاطرتك إياها شيئا مـــن العذوبة ، تبدو لى أنها في جملتها . . . (إلى ستللا التى أخذت تتثاءب) ستللا ، ألا يحتاج هضمك إلى شيء قليل من المراقبة ؟

ســـتللا : لماذا يا أبتِ ؟

أميـــديه : هذه التثاؤبات التى جاءت في غير أوانها . . .

المنظر الحادى عشر

نفس الأشخاص — ايفيلين

إيفيـــلين : (عائدة من الحديقة) بدأ المطر .

ســـتللا : هل عادت جدتى ؟

أميـــديه : ما زالت جدتك في مكتب البريد ، وقد صحبتها

مدام بويجرلان التي التقينا بها عند خروجنا في عربتها ، وسوف تعود بها بعد لحظات .

آرنـو : (إلى إيفيلين) وماجي ؟

إيفيـلين : إنها لم تشأ أن تواجه صواعقك مرة أخرى يا أميديه. فاذا ظننتَ أنك قد أرهبتهما ، كان من واجبي أن أبدد هذا الظن . إنها تعرف نفسها ، هذا كل ما في الأمر ، وهي تعلم أنها تسيطر على نفسها في صعوبة ، ولهذا فقد خشيت . .

أميـديه : لا يهمني في قليل أو أكثير ما تقوله هذه المأفونة أو ما تفكر فيه يا إيفيلين . ولكن هل أفهم من من ذلك أنك انحزت إلى أعدائي ؟ حينـذاك ، يكون الأمر خطيرا . (صمت) هذا صمت مليء بدلالة رهيبة ، يا طفليَّ المسكينين ، أليس كذلك؟

إيفيـلين : اسمع ، ياصديقي ، حين يكون السؤال خاليا من المعنى ، يبدو من باب الاحسان أن أتركه بلا إجابـة .

أميـديه : (بفظاظة) إيفيلين ، هل يخامرك شك في أنني قد شخت عشر سنوات منذ ستة اشهر ؟

إيفيلين : ومن ذا الذى استطاع أن يُدْخِل هذه الفكرة في رأسك ، مثلا ؟

أميديه : إنها ليست فكرة يا إيفيلين ، إنها بينة . فأنا احلق ذقنى كل صباح يا إيفيلين ، وأرى وجهى في مرآتى .

(تضحك إيفيلين ضحكات هستيرية ،وينفجر آرنو بدوره ضاحكا .)

ستللا : أنتم مضحكون .

أميديه : هَوِّ نى عليك يا طفلتى . هذا الضحك يروق لى ، انه ينير بصيرتى. انا لا أتحدث عن آرنو ، فانه عرضة لنوع من التهلل الذى نصادفه عند بعض الكائنات البدائية . . إلى حد ما .

آرنو : شكرا .

ميديه : . . . أما ضحكة أمك الثانية فانها تعلمنى أشياء أليمة . . (يشتد ضحك إيفيلين) إن رجلا ينحدر إلى الشيخوخة . . رجلا يتألم ، رجلا يغدر به أصدقاوه ، بعد أن غدرت به الحياة نفسها . . هذا شيء مضحك بكل تأكيد يا إيفيلين ، مضحك بدرجة لا سبيل إلى مقاومتها .

إيفيلين : (دون أن تكف عن الضحك) أرجو عفوك يا أميديه .. أعترف بأن هذا شيء لا يليق ، ولا أستطيع ...

(تخرج مهرولة وهى تضغط بمنديلها على فمها)

(صمت)

المنظر الثاني عشر

اميديه ـ آرنو ـ ستللا

أميديه : (مشيرا باصبعه إلى الباب الذى خرجت منه) ، ماهذا ؟

ستلا : أنت تفهم ، يا أبى ...

آرنو : هذه تصرفات آلية .. ولا أهمية لها على الاطلاق .

أميديه : ماهذا ؟

ستلا : اننا جميعا عصبيون قليلا هذه الأيام الأخيرة .. فالجو ثقيل جدا ، هذا حق .

أميديه : عصبيون .. الجو .. هذه كلها اعذار واهية يا بنى أما أنا ، فلا يمكن أن اكون مخدوعا .

آرنو : لقد ساءلت نفسى عما إذا كانت إيفيلين ...

أميــديه : ثم ماذا ؟

آرنــو : من المحرج إلى حد ما أن أحدد ما أريد .

ستلا : ولكن ، ماذا تريد أن تقول يا آرنو ؟

آرنــو : (مرتبكا) يبدو أن مزاج النساء في مثل هذه الحالات يصبح شاذا نوعا ما ، متقلبا نوعا ما . . .

ستـلا : وكيف ؟

أميــديه : لو أن حادثا من هذا القبيل يُعَد في هذا البيت ، فمن البديهى ألا نمزق الغلاف الرقيق الذى يحيط . . بالصمت والحياء عن طيب خاطر . . ولكن يبدو أن هذه التخمينات المتضارية لاتجيب على شيء .

آرنــو : ليس في امكانك أن تعرف يا أبى ، فلعل إيفيلين لم تكن تريد أن تقول لك شيئا .

أميــديه : (في لهجة قاطعة) لا أريد كلمة واحدة بعد ذلك عن هذا الموضوع ؛ أعتقد بالحرف . . . . . . أحلم (فترة صمت) . لقد لفتت نظرى — هذه الأيام — صديقتى العزيزة جدا مارى — إستيل دى بويجرلان — إلى أن أمكما الثانية تتآلف في صعوبـــة مـــع حياة العزلـــة والتأمل التى تحياها هنا .

ستللا : أنا لا أحبها كثيرا . . هذه الحياة . . وكنت على وشك أن اسألك عما إذا كانت هناك وسيلة للرحيل إلى إيطاليا بعض الوقت في سبتمبر .

أميديه : إلى إيطاليا ؟ ولماذا إلى إيطاليا يا ستللا ؟ وما جدوى هذه الرحلة الباهظة التكاليف ؟

ستللا : الحياة ليست غالية هناك ، والسفر بالتخفيضات...

أميديه : في هذه اللحظة التي نحرص فيها على أن نفرض على أنفسنا كل ضروب التقشف . لقد أوقفت – لأسباب اقتصادية – اشتراكي في مجلتين للفنون كنت أواظب على قراءتهما طيلة السنوات العشر الماضية . ثم ، ماذا تريدين أن تفعلي في إيطاليا ؟ لقد لاحظت منذ زمن بعيد افتقارك إلى الصمود في المتاحف والمعارض .. وإذا كانت المناظر هي التي تغريك بالسفر إلى هناك ، فصدقيني لن تجدي فيها شيئا أبدع مما تضمه بلدنا فرنسا ، في أقصر نزهة تقومين

ستللا : ولكنني أعرفها ..

أميديه : أتعرفين حقا معنى المشاهدة ؟ اني لأسال نفسي : ما معنى النظر إلى الأشياء ؟ عندما جعلتك تأخذين

فيما مضى دروسا في الرسم ، فهل واظبت عليها ·
إنك تفتقرين إلى المثابرة ، ولعل هذا هو أخطر
عيوبك ، وأخشى أن يؤدى بك ذلك إلى ضروب
شتى من خيبة الأمل . وبهذه المناسبة ، آن الاوان
لكى ألفت نظرك بكل مافي وسعى ، وحان
الوقت لتحديد موقفك من الشاب آلان دى
بويجرلان .

ستللا : ولكنه يا أبى ، مجرد زميل لطيف، ولا شىء
أكثر من ذلك .

أميديه : (نافد الصبر) ستللا ، أرجوك ، لاداعى لتلك
الكلمات التى لاتعنى شيئا . ولن أزيدك علما
حين أؤكد لك أن هذا الفتى الحاكم يُكِنّ لك
مشاعر غاية في الرقة . ومسلكه في حضورك
لايترك مجالا لأدنى شك ، وفضلا عن ذلك ،
أكدت لى والدته ما فطنتُ إليه . وقد أجد من
الصعب على — بكل تأكيد — أن أكون حُكْما
على شاب ربما كان التحفظ هو سمته المميزة .
غير أننى ارى فيه بعض الملامح التى اقدرها في
والدته منذ . . عشرات السنين . أجل ! كنا
نلعب سويا أمام تلك الصور في منتزه « مونسو »

الذى لاتحبونه على الاطلاق ، دون أن أدرى لذلك سببا . واحسبنى قد لاحظت أيضا عند آلان دى بويجرلان ذلك التواضع ، ذلك النزوع إلى الاحترام ، الى مراعاة مشاعر الغير ، تلك الصفات التى تنقص معظم معاصريك يا صغيرى آرنو ، نقصا يدعو الى الأسى . أنا لا أتحدث عنك في هذه اللحظة ، لأن حالتك خاصة جدا . . وأيا كان الأمر ، لا أغالى ان حذرتك من اتجاه معين — أينبغى أن اسميه تسويفا ؟ . . يمكن أن يؤدى أحيانا إلى الخلاعة .

آرنو : أوه ! أبى ، إن ستللا ليست خليعة ، ولا أرى فيها شيئا من ذلك .

إميديه : لا ينبغى أن نتلاعب — حتى لو كان ذلك عن غير قصد — بمشاعر — أيا كان موضوعها فهى تستقر في أسمى مكان من الطبيعة الانسانية .

ستللا : ولكن ، ليس ذنبى ، إذا كان آلان . . .

أميديه : سنعاود الحديث في هذا الموضوع على راحتنا . فها هن السيدات قد ظهرن .

المنظر الثالث عشر

نفس الأشخاص ـ مدام شارتران ـ مدام دي يو يجرلان

مدام شارتران : تا ، تا ، تا ، لعلهم لا يأتون ليرووا لى حكايات . أما أنا ، فقد رأيت هتلر ، رأيته كما اراكم الآن ، في بيرويت ، في الصيف الماضى . .وإنى لأؤكد لكم أن له لَسَمْتا ، وبساطة !. . وإنه لساحر . وإن المرء ليدرك على الفور أنه إزاء شخصية ، وفضلا عن ذلك ، كدنا أن نتعارف عند الأميرة « ماشان » التى كانت ابنة أخيها تنزل في فندقي . . على أى حال ، لا أهمية لذلك .

مدام دى بويجرلان : (مرتاعة) ألم يلق ذلك بالرعب في نفسك ؟

مدام شارتران : أنا ؟ ولماذا ؟ انني لست خجولا . أتدرين ، ما كان ينبغى عمله ؟ دَعْوَتُه بكل بساطة ـ إلى باريس لزيارة المعرض . وأقول لك إن الباريسيين كانوا سيفتنون به . لقد جعلوا منه شيئا مخيفا ، وهذا أمر شائن .

مدام دى بويجرلان : ولكن ، أتعتقدين أنه كان سيقبل الدعوة ؟

مدام شارتران : طبعا ، بكل سرور ، إنه رقيق ، ذلك الرجل ، وما عليك إلا رؤيته .

مدام دى بويجرلان : ومع ذلك فانه يوم ٣٠ يونيو . .

مدام شارتران : (في تهكم) أكنت هناك ؟ وهل لديك مصادر خاصة للمعلومات ؟ أما أنا ، فلا يعنيني ما يقال .

مدام دى بويجرلان : ولكن الصحف . . . .

مدام شارتران : الصحف أتعرفين كيف تعد الصحيفة ؟ كلا ؟ طيب ، أنا أشك فيها . ولكي نعود إلى صديقنا أدولف ، ينبغي أن يمكث شهرا على الأقل . ثم أن يتناول عشاءه عنـــد هؤلاء ، وأولئك . . وسيرى شيئا من رجالنا البواسل الذين لايعرف عنهم شيئا . أنا مثلا ، كم يضايقني ذلك ! سأقول له : « مارأيك ، يا مسيو هتلر ، إنك لن تعلن علينا الحرب ! كلا ، طبعا ، فليست هذه أعمالا تليـــق بك . كان ذلك معقولا في الماضى ، أما اليوم ، مع كل تلك المخترعات ، والعلم . . . هيا بنا هيا بنا ! . . . »

مدام دى بويجرلان : إن جدتك رائعة ، يا صغيرتى ستللا .

أميـــديه : إن والدتى تتمتع بحيوية ، بل أضيف ، بتفاؤل يقلقنا ويسعدنا في آن معا . إنها أكثرنا شبابا ، نحن جميعا .

مدام شارتران : طبعا . ليس هذا بجديد .

أميـــديه : ولكن ، انت ، ياماری - إستيل ، أتثير السياسة في نفسك حقا شيئا من الاهتمام ؟

مدام دی بوبجرلان : لأنها تمتزج امتزاجا فظيعا بوجودنا ياعزيزى أميديـــه ، وحين يكون للمرء ابن في الثالثـــة والعشرين من عمره . . .

أميـــديه : دون شك ، دون شك .

مدام دی بوبجرلان : وحين يفقد المرء زوجه بسبب الحرب . . .

أميـــديه : أجل ، زوجك ألبيريك المسكين .

مدام دی بوبجرلان : من الصعب ألا يطارد الانسان التفكير فيما يمكن أن يحدث .

مدام شارتران : (في لهجة حاسمة) أرجوك ياصديقتى الصغيرة ، الصغيرة ، أن تَدَعِى الأفكار الثابتة ، وإلا انتهى الأمر بدخول أحد الملاجئ ، وهذه مسألة لاتسر على الاطلاق ، وخاصة بالنسبة للوسط

الذى نعيش فيه . وحين فقدت إرنست ، اعتقدت بكل بساطة انى صائرة إلى الجنون . . . ولكننى استأنفت الحياة، فليس من حق الانسان أن ينساق وراء أحزانه .

مدام دى بويجرلان : لايملك الناس جميعا ما تملكين من مرونة ، ياسيدتى العزيزة .

مدام شارتران : هذا معناه أن الناس لم يعودوا يعرفون ما الارادة .. أتسمعيننى : الا — را— دة .

أميديه : ومع ذلك ، يبدو لى أن مارى — استيل حين قررت تربية ذلك الصبى الكبير ذى العينين الزرقاوين — هل هما زرقاوان حقا ؟ كلا ، بل لونهما أزرق—حاد — حين قررت ذلك . عرفت كيف تُبْدِى علامات على تكريس ينطوى على إصرار ، ويقترب من البطولة . وانى لاحتفظ بذكرى بعض أمراض الطفولة — كالحصبة أو السعال الديكى — حين كنت طيلة ليال عديدة . . .

مدام شارتران : كان من الأفضل لها أن تتخذ ممرضة . فما جدوى تحطيم صحة المرء بجوار المرضى ؟ فإن عليهم

فيما بعد أن يقوموا برعايتك . هذا شئ لا تقبله أفكارى .

أميـــديه : هناك ضرب من الافراط ــ سواء أكان معقولا أو لم يكن ــ يجوز إعجابى دائما

مدام دى بويجرلان : (في شيء من الخبث) الشيء الساحر في أميديه هو أنه يتحدث كما يكتب تماما ، وما أروع خطاباته ...

أميـــديه : لا أحب أن اخالفك الرأى يا مارى ــ استيل ، ولكننى أعتقد بالأحرى أننى أكتب تماما كما أتحدث . ولا تنسى أننى تلقائى كبير .

(صمـــت)

مدام شارتران : الواقع ، ياستللا ، أن هناك امرأة اشبه بالجنية « كارابوس* » تزعم أنك ضربت لها موعدا .

ســـتلا : آه ! ...

مدام شارتران : قلت لها أن تنتظرى في حجرة المكتب الصغيرة . أظن أنها جاءت لعمل ما ؟

ســـتللا : (بانفعال) لماذا لم تخبرينى بهذا من قبل ، يا جدتى ؟

---

* Corobosee ، وهي جنية يصفها الفولكلود الفرنسي بانها عجوز حيزبون حدباء لا تصنع سوى الشر .

مدام شارتران : (في ضحكة تقلد بها الغولة) « حُدْب الفالــو الصغار* »، شيء من هذا القبيل . . وان كان أن انصحك ، فلا تتركي نفسك عرضة لاحتيالها .

ســتللا : ليس هذا ما تعتقدينه .

(تخرج)

مدام شارتران : على كل حال ، اصحبيها الى هنا ، الساعة الآن الحادية عشرة والنصف ، وسأذهب للجلوس في حجرة الكتب الصغيرة مع كتبي ، فالجو هنا شديد الحرارة .

مدام بويجرلان : أتقرأين بغزارة ؟

مدام شارتران : انني أعيد قراءة الكتاب المجيدين : فولتير ، رينان ، والقلم في يدي . . هذه طريقتي الخاصة في الصلاة . هأ . . هأ . . هأ !

أميــديه : وأنت ، ياماري ــ ستيل ، أرجو ألا تكوني قد أهملت المطالعة . . .

مدام دي بويجرلان : انا لم أعد أقرأ بتاتا ، رأسي قد أصابها الصداع . .

---

* هذا عنوان اغنية شعبية قديمة و « الفالو » مقاطعة فرنسية قديمة ، يضمها الآن اقليم الواز . (المترجم)

هذه الحوادث كلها .. ان أحدا لم يكن يتنبأ بوقوعها .

أميـــديه : انك تجنحين الى المبالغة ، ياماري ــ استيل ، فليس الناس جميعا مخطئين . وعندما اقرأ بعض الرسائل التى كتبتها إلى أسرتى عام ١٩١٢ ، وكنت حينذاك في الخامسة والعشرين ، ارتاع من صفاء بصيرتى ، ولعلك تسمحين لى أن اقرأ عليك بعض فقراتها يوما مـــا على سبيل حـــب الاستطلاع .

ســـتللا : (مقبلة ، وتوجه الكلام إلى الآنسة فرو التى تتبعها) مـــن هنا يـــا آنسة ، من فضلك ، دعينى أقدمك .

أميـــديه : (عند رؤية الآنسة فرو) آه !

ســـتللا : أقدم اليك أبى ، جدتى ، مدام شارتران ، مدام دى بويجرلان ، الآنسة فرو . ربما كان من المستحسن ان أصحب الآنسة إلى حجرتى .

أميـــديه : كلا .. اطلاقا .. سأعود على الفور .

ســـتللا : ولكن ، يا أبى .

الآنسة فرو : لا أريد ازعاج أحد .

مدام دى بويجرلان : (إلى ستللا) تذكرى اننا نعتمد عليك غدا لتذوقه ؟ وعلى آرنو أيضا ، بالطبع .

ستللا : ولكننى ، لا أدرى ان كنت أستطيع .

مدام دى بويجرلان : لاتخلفى وعدك يا حبيبتى ، فسيحزن آلان أشد الحزن وأنا لا أراه على ما يرام في هذه الايام إلى اللقاء .

(مُصَافَحَات بالأيدى)

أميديه : سأصحبك حتى عربتك ياماري ــ استيل .

مدام شارتران : أما أنا فسأعود إلى شعبى اسرائيل . . إنه عمل مثير . آه ! من هؤلاء اليهود . . . ومع ذلك و فمسيو هتلر لم يخطئ تماما . . هيابنا ، إلى اللقاء .
(تومئ برأسها ناحية الآنسة، وتخرج من جهة اليمين)

المنظر الرابع عشر

ستللا ــ آرنو ــ الآنسة فرو ــ ثم اميديه

الآنسة فرو : (تنتصب أمام آرنو) إنه شديد الشبه بأمه المسكينة ! .. لدرجة أنني لو صادفته في الطريق لتعرفت عليـــه .

آرنـــو : لقد التقينا من قبل يا آنسة ، على ما يبدو لى .

الآنسة فرو : منذ زمن بعيد جدا .

ســـتللا : (بصوت مرتجف) كنت اعتقد بالأحرى أننى أنا التى اشبه أمى .

الآنسة فرو : شيء في نظرة العين ، وفي رنة الصوت أيضا . أما هو ، فيأخذ منها الوجه البيضاوى ، والثغر ، والذقن . . .

ســـتللا : هذا حق .

آرنـــو : إن أوجه التشابه ، تبدو لى دائما غير واضحة . . .

الآنسة فرو : انى أردد ماتقول ، بأعلى صوتي.

ســـتللا : اجلس يا آنسة . إننى في غاية من السرور لأنك

تمكنت من الحضور . . . فقد كنت أخشى . . منذ ذلك اللقاء عند آل موريس . . كم كان أمرا غريبا . . غير متوقع .

الآنسة فرو : ليس بالنسبة لى ، فقد كنت أعرف .

ستللا : كيف ؟

الآنسة فرو : إننى نفسانية كبيرة . . وأملك ضروبا من الحدس لاتخدعنى أبدا ، أتفهمين .

آرنو : إننى أشفق عليك يا آنسة . . .

الآنسة فرو : وهذا في حد ذاته ميزة عظيمة ، ولكن ينبغى أن أن يكون المرء جديرا بها . . ثمة رياضة كاملة للروح . .

ستللا : هذا شيء خارق للمألوف.

الآنسة فرو : إطلاقا . . فليس هناك ماهو أبسط من ذلك ، على شرط أن يكون المرء خاضعا للتوجيه . .

ستللا : لتوجيه مَنْ بالضبط ؟

الآنسة فرو : ينبغى أن يكون المرء سالكا ، هذا كل مافي الأمر.

ستللا : سالكا في أى شيء ؟

الآنسة فرو : اذا انعقدت فيما بيننا — على ما اتعشم — أواصر

علاقات وطيدة في المستقبل ، فسوف أعيرك كتبا . . هندوكية ، بوجه خاص ، وأمريكية . . وسأجعلك تقابلين أشخاصا مُعْجِزين . إنه عالم بأكمله ليس لديك عنه أدنى فكرة .

ستللا : ولكن حتى يحين ذلك الوقت يا آنسة ، نحب أشد الحب أن . . أليس كذلك يا آرنو ؟ انى اعتمد عليك يا آنسة . . اعتمادا لاتدركين مداه . فما من أحد يحدثنا إطلاقا عن أمنا . . وانت – كما قلت لى – عرفتها جيدا ، و . .

أميديه : (عائدا من الحديقة) أرجو معذرتك يا آنسة ، كدت أبدو لك جِلْفا لايعرف المجاملة .

ستللا : إذا كنت في حاجة إلى هذه الحجرة ، فمن الممكن أن نصحب الآنسة إلى غرفتى .

أميديه : أبدا . أتسمحين لى يانسة أن اسألك عن سبب تشريفنا بهذه الزيارة المفاجئة ؟

الآنسة فرو : إذن ، فأنتِ لم تخبرى والدك بشيء من لقائنا في بيت آل موريس ؟

ستللا : كلا . . على ما أعتقد .

الآنسة فرو : شيء غريب .

آرنو : لكل منا يا آنسة وجوده ، وعلاقاته . .

الآنسة فرو : جميل : ولكن مادخل الأسرة في كل هذا ؟

أميـــديه : أفهم من هذا انك التقيت بابنى عند . . . شخص ثالث .

ســـتللا : عند جان موريس ، يا والدى .

أميـــديه : هذا الاسم لايعنى بالنسبة لى شيئا على الاطلاق . وعلى كل حال ، لا أهمية لذلك ، في هذه اللحظة على الأقل . هل تجاذبتما أطراف الحديث؟

الآنسه فرو : هذه الطفلة لم تكن مجهولة عندى ، فقد كنت مدرسة أمها العزيزة ، وموضـــع سرهـــا . . . (تلوح علامات التساؤل على وجه أميديه) كلا ، ياسيدى ، انا لا أضيف إلى ماتعلمه شيئا . . فلقد التقينا مرارا ، في ظروف لم تنسها . وفضلا عن ذلك ، لست ممن يمكن نسيانهم ابدا ، ياسيدى ، فثمة علامة تميزنى ، وأنا أعرفها .

ســـتللا : لقد كنت أنـــا التى توسلت إلى الآنسة فرو أن تحضر لرؤيتى ، عندما علمت أنها تقطن في الضواحى عند بعض الاصدقاء ، فلدينا — أنا

وآرنو – عدد من الأسئلة التى نريد أن نوجهها إليها .

أميـــديه : آرنو ؟ . . . أسئلـــة ؟ . .

آرنـــو : لقد تعذبت ستللا عذابا شديدا فى هذه الأيام الأخيرة .

ســـتللا : أرجوك ، يا آرنو ، ليس الآن . . إذا سمحت – يا آنسة – يمكن أن نصعد إلى غرفتى ، وهناك ننعم بالهدوء التام .

أميـــديه : لن أسمح بذلك . هل لى أن اسألك يا آنسة ، إن كنت قد حاولت مراسلة طفلىّ ؟

الآنسة فرو : (فى ازدراء) رسائـــل ! . . . أنـــا لا أومن إلا بالحضور وجها لوجه . . وفضلا عن ذلك ينبغى أن ينضج الحدث ، أو اللقاء ، كما تنضج الثمرة . هذا ماعلمتنا إياه – ضمن اشياء كثيرة – مدام هيلين سيدنى .

أميـــديه : ومن تكون مدام هيلين سيدنى هذه ؟

الآنسة فرو : ألا تعرف من تكون مدام هيلين سيدنى ؟

أميـــديه : كلا يا آنسة ، وليس لدى عنها أدنى فكرة .

آرنـــو : ولا أنا أيضا ، وإنى اف ث .

الآنسة فرو : رجل يقول عن نفسه إنه مثقف ، ويجهل وجود شخصية هى أعظم الكائنات التى ظهرت على الأرض في قوة الاشعاع — فلا عجب أن تعيش أوروبا التعسة — بعد ذلك — في حالك الظلمات ! انظروا .

(تخـــرج صورة فوتوغرافيـــة من حقيبتها ، يشرئب آرنو وستللا للنظر فوق كتف أبيهما.)

أميـــديه : أواثقة أنت من أن هذه امرأة ، يا آنسة ، انها أشبه بالبولدوج ، أو بأحد رجال الكهنوت .

الآنسة فرو : عفوا ياسيدى . ، ان مدام هيلين سيدنى هى المُوَلّدة وفقا لروح رادا مورتى . .

أميـــديه : كريشنا مورتى .

الآنسة فرو : لاتحدثنى عن هذا الدجال . . . إنها وفقا لروح رادا مورتى ، الملاك الفادى الذى سوف ينتزع العالم من براثن المادية .

أميـــديه : وهل تحتفظين أيضا بصورته ؟

الآنسة فرو : في بيتى . . وهو يهم بلعب الجولف .(ينفجر

آرنو ضاحكا) بحق السماء ، لاتضحك ، يابني. فهذه الضحكة التي اطلقتها تخترق قلب أمك المسكينة التي تراك وتسمعك من أعماق العالم الآخر . . .

ستللا : أبي ، أتوسل إليك ، هذا محال ، لايمكن أن يستمر الحال على هذا المنوال ، أشعر بأن رأسي تنفجر ، ماذا يضيرك لو تركتني بضع لحظات مع الآنسة فرو ؟

أميديه : بل على العكس ، عندي من الأسباب التي تجعلني لا أسمح بهذه المحادثة الخاصة ــ أقواها وأشدها حسما .

ستللا : ولكن ، هذا هو الجحيم بعينه ، فليس من حقك . . .

أميديه : ليست المسألة مسألة حق ، بل مسألة واجب مقدس .

ستللا : أنت لاتعرف ما أريد أن أسأل الآنسة عنه .

أميديه : إن ما أجهله بوجه خاص ، هو أنها ستكون قادرة على الاجابة على اسئلتك .

ستللا : أهناك اذن ماتخشاه ؟

آرنو : أرجوك يا آنسة ، ألا ترين أن شقيقتى على شفا انهيار عصبي ؟

الآنسة فرو : كثيرا ما اوضحت مدام هيلين سيدنى الدور الصحى الذى تقوم به الصدمات في الانطلاقة الروحية .

أميديه : حسبك يا آنسة ، لقد سمعنا ما فيه الكفاية . تسدين إلى معروفا بمغادرة هذا المنزل .

الآنسة فرو : (فيصوت بالغ الحدة) لن أفعل شيئا من ذلك ياسيدى ، وما عليك إلا أن تدق الجرس لخادمك لنرى إن كان سيجرؤ على وضع يده على امرأة لاحول لها ولاقوة .

المنظر الخامس عشر

نفس الأشخاص – ايفيلين

إيفيلين : ماذا حدث ؟

ستللا : إيفيلين ، تعالى لنجدتى ، يا إيفيلين . . .

أميديه : أى عزيزتى إيفيلين ، ليتك ظهرت قبل ذلك

بيضع دقائق ! إذن ، لكنت تلقيت من فم الآنسة توكيدات مطمئنة إلى أبعد حد ، يبدو أن العالم على وشك الخلاص . . .

إيفيلين : ماذا ؟ ماذا ؟

أميديه : على يد سيدة لها سحنة البولدوج ، وملاك يلعب الجولف .

آرنو : إيفيلين ، أرجو أن تصحبي ستللا ، فهي لم تعد تقوى على الوقوف .

الآنسة فرو : إني راحلة ، إني راحلة . . لقد فكرت مليا أي جديد استطيع ان اخبركم به ؟ (إلى آرنو) يخيل إلى أنك قد بلغت سن الرشد ؟ . . .

آرنو : (مذهولا) وما العلاقة ؟

الآنسة فرو : هل بلغت سن الرشد ؟

آرنو : إنني في الرابعة والعشرين .

الآنسة : إذن ، فقد تسلمت الخطاب . . .

ستللا : أي خطاب ؟

آرنو : أي خطاب ؟

الآنسة فرو : الخطاب الذي تركته أمك قبل وفاتها ، واوصت

موثق عقودها أن يسلمه إليك بمجرد بلوغك سن الرشد .

آرنـــو : ماهذا الاختلاق ؟

الآنسة فرو : اسأل والدك ، إن كان ذلك اختلاقا .

أميـــديه : لن أقدم حسابا لمعتوهـــة .

الآنسة فرو : ليس أيسر عليك ياصغيرتي ستللا من أن تكتبي إلى مسيو جاردفو ، موثق عقود أمك ، ومن السهل عليك العثور على عنوانه ، ورقم تليفونه. . هيا،هيا.. سأتركتكم،وأنا مطمئنة ، إنكم الآن في رعاية طيبة . . واذا اقتضى الأمر ، ابعثوا إلى بطالعكم في الوقت المناسب ، إلى اللقاء جميعا.

(تخـــرج)

المنظر السادس عشر

أميديه ــ ايفيلين ــ آرنو ــ ستللا

ســـتللا : ماهذا الخطاب ؟ آرنو ، تقسم لى . .

آرنـــو : ستللا !

ســـتللا : إذن ، فقد أخفـــوه . أبى !

أميـــديه : أنا لا أقيم وزنا لاتهام مأفون . . .

ســـتللا : (تتحسس جبينها براحتها) هذا صحيح ، إننى مجنونة ، إيفيلين ، لقد أصبحت مجنونة . . أنا أيضا . . (إلى أميديه) هذه غلطتك . لماذا لم تشأ أن تقول لنا شيئا على الاطلاق ؟

أيفيـــلين : هدئى من روعك ، ياصغيرتى ، أتوسل إليك. ...

ســـتللا : ذلك المرض الذى لانهاية له ، غير المفهوم . . أكان مرضا عقليا ، عقليا ، كما يقولون ؟ولكن، ماذا يحملنى على الاعتقاد في ذلك ؟ ثمة اناس يُسْجنون دون سبب ، لأنهم يعوقون غيرهم . . . لاتنكر ذلك . انا اعلم ان هذه أمور تقع ، وقد قرأت عنها . ومنذ تلك اللحظة ، لم أعد أحيا . .

آرنـــو : إنك تهذين ، يا صغيرتى ســـتللا ، أقسم على ذلك.

ســـتللا : وما الذى يسمح لك بأن تؤكد ذلك ؟ من أدراك؟

آرنـــو : هذا مشهد روائى .

ســـتللا : أنت جبان ، وربما كنت متواطئا معهم ، إننى احتقرك ، أنت ، ودينك الذى يتقبل كل شىء ، ويحتمل كل شىء ، ولا يسعف أحدا ، ولا يناضل في سبيل أحد .

إيفيلين : ولكنك جائرة ، شنيعة ، وستندمين على ذلك يا صغيرتى . .

ستللا : (إلى أميديه) انى مصرة على أن تخبرنى بالحقيقة : ماذا حدث ؟ لماذا لم نرها ثانية على الاطلاق ؟

إيفيلين : (إلى أميديه) أميديه . . . ليس من حقك . . .

أميديه : لاتخافي ، يا إيفيلين .

ستللا : (إلى إيفيلين) وأنتِ أيضا ، تتخلين عنى . . آه ! هذا فظيع . . أمى ! أمى ! (إلى أميديه) إذا رفضت الكلام ، فسأرحل . . سأختفى . . . ولن يمنعنى من ذلك انسان . . .

أميديه : أصغى الىّ ياستللا ، للمرة الاخيرة . إنك بهذا المطلب الشاذ . . .

ستللا : لا أريد عبارات منمقة !

أميديه : تزعمين ـ دون أن يخامرك الشك ، وهذا ماأسلم به . . . اتهام ضميرى بارتكاب عمل شائن .

ستللا : ضميرك ! ليتك تعلم أن الأمر يستوى لدى !

أميديه : إنك تتحملين بهذا العمل مسئولية شديدة الخطورة.

ســتلا : وداعا .

(تعدو صوب الباب)

إيفيــلين : ســتللا !

(تجاهد للامساك بها ، غير أن ستللا تتملص منها .)

أميــديه : كانت تريد ذلك منذ أمد بعيد .

إيفيــلين : آرنو ! بحق السماء !

آرنــو : لم يعد في استطاعتنا أن نحول بينها وبين الكلام .

أميــديه : ســتللا ، هناك رواية قرأتِها — دون موافقتى — منذ بضعة شهور .

ســتللا : لست أدرى عمّ تتحدث ، لامجال للفوازير . . .

أميــديه : اذن ، فسأكون صريحا بقدر ما تطلبين منى . . . كان ذلك على أثر محاولة لدس السم . . .

ســتللا : ماذا ؟

أميــديه : كدت أروح ضحيتها — وبعدها كنت مرغما على طلب احتجاز امك التعسة .

ستـــتللا : محاولة لدس السـ . . . هل أرادت أن تدس لك السم ، لك أنت ؟

أميـــديه : وكان لدى الدليل القاطع – وهى نفسها سلمت به . . . وهكذا لم تكن عندى وسيلة أخرى لحمايتنا نحن الثلاثة .

(صمت . ستللا تتهاوى – محطمة – فوق مقعد ، آرنو يركع على ركبتيه ، وقد أخفى رأسه بين يديه)

إيفيـــلين : (تتجه نحوهما ، وتضمهما الى صدرها) أيا طِفْلَىَّ الحبيبين . . أيا طِفْلَىَّ ! . . .

الفصل الثانى

نفس ديكور الفصل الاول

المنظر الاول

اميديه – يتحدث في التليفون – ثم ايفيلين وآلان

(ما أن يدخل آلان الحجرة ، حتى تستلفته النظرات التى يصوبها أميديه ، وهو يبدو كأنه يوجه الكلام إلى آلان بقدر ما يوجهه إلى محدثه)

ميـــديه : ماذا تقول ياجارجييه ؟ إننى لا أسمعك جيدا . احتقار ؟ أوه ! حتى ولا هذا .

لان : (في صوت خافت إلى إيفيلين) ، ولكن ، أخشى ياسيدتى أن أكون قد أزعجتكم .

إيفيلين : أبدا ، أبدا ، فعندما يبدأ زوجى في اسطوانة من اسطواناته . . .

آلان : أيطيب له ذلك ؟

إيفيـــلين : إنه يشعر دائما بالسعادة ، إذا وجد له مستمعا .

أميـــديه : (في التلفون) معذرة ياجارجييه ، فانهم يحدثون ضوضاء إلى جانبي . كلا . . . أؤكد لك أن هؤلاء الناس لايثيرون فيّ حتى الاحتقار . وإنما هو نوع من اللامبالاة الخالصة التي لايشوبها شيء . . وربما كان ذلك ضربا من المغالاة . .ولكن ، لا وجود لهم – في بساطة . . كيف ؟ ينبغي عليك أن تطلب فحص جهازك . جارجييه . . . لا وجود لهم من حيث المبادئ التي تتحكم في عالمي .

آلان : (في صوت هامس) من يكون جارجييه هذا ، ياسيدتي ؟

إيفيـــلين : إنه شخص مشلول ، ثقيل السمع ، مجموعة من المنوعات الانسانية ، المثيرة نوعا ما ، ولكنه لين العريكة إلى أبعد حد . وهو يوحي بالبلاغة ، ويطلبنا دائما بالتلفون . .

أميـــديه : لقد بعث إلى أحدهم يابنته منذ وقت قريب . .

إيفيـــلين : أوه ! . . ربما لتقوم معي ببعض التمهيدات . . لا أدرى ، فلم أفسح لها مجالا للكلام . . الواقع ، إنه لا وجود إلا لشيء واحد على أكبر جانب من

الاهمية ، يقول لك ابنى إنه الخلاص ، وأعتقد أنا أنه توافق الانسان مع نفسه . . نوع من الحالة الموسيقية تكون فيها الروح .

آلان : إن ما يقوله مسيو شارتران يبدو لى غاية في الابداع.

(ترمقه إيفيلين في دهشة)

إيفيـــلين : (في صوى خافت) إلى اللقاء .

(تخـــرج)

أميـــديه : لن يمر ذلك دون شيء من الكآبة . . ولكن ، صفاء النفس ياجارجييه ، صفاء النفس . لم اسألك عـــن اخبارك بعـــد . (دون أن ينتظر الاجابة) إنها هى نفسها ، مفهوم ، ولكن دون تفاقم . . إنه هذا ، دون تفاقم . إنك رواقي ، يا جارجييه ، إننا من معدن واحد ، ومع ذلك ، ينبغي الاعتراف بأن القدر قد أحسن الحكم باخضاعى . . كيف ؟ التليفون يرهقك ؟ . . . ولكن ، لماذا لم تخبرنى بذلك من قبل ياصديقى الطيب . . فلعلىّ كنت أحاذر من تعذيبك . . حسبت أننى أرفه عنك ياجارجييه ، كنت تستطيع أن تبـــين لى خطئى منذ مدة . ألف

معذرة . استرح ، ياصديقى الطيب ، استرح .
(يضع السماعة) هذا شيء لامثيل له (إلى آلان،
وفي دهشة مفتعلة) أنت هنا ، ياصغيرى آلان ؟

آلان : أرجو معذرتك ، إنها مدام شارتران التى أذنت لى بالحضور . جئت لأسأل عن أخبار . .ستللا. . .

أميـــديه : ستللا ، ليست مريضة ، على ما أعلم . . .

آلان : كان ينبغى عليها أن تحضر امس لتتناول معنا الشاى ولكنها بعثت بمن يبلغنا أنها متوعكة . . . فانتابنى القلق . .

أميـــدية : أجل، أجل،تذكرت الآن ، إنه شيء من التعب مرجعه إلى بدايات الحر ، فلا شيء يمكن أن يؤخذ مأخذ المأساة . (فيابتسامة بشوش) ، هدئ من روعك . . . هل أخطروها بمقدمك ؟ لاشك أنها تحرص على أن تطمئنك بنفسها .

آلان : (في حماس) كلا ، كلا ، لاداعى لذلك الآن . فأنا لااريد اغضابها .

أميـــديه : إن افراطك في رعايتها لايمكن إلا أن يؤثر عليها أشد التأثير .

آلان : أوه ! لست أدرى . (يتفحصه أميديه في عطف ظاهر ، فيخفض آلان عينه) انها أحيانا. محيرة قليلا ، ألا ترى ذلك ؟

أميـــديه : كلا ، فأنا لااستطيع القول بأن أولادى يحيرونني.

آلان : آرنو ، شيء مختلف ، فهو دائما على وتيرة واحدة ، وإن المرء يعود ليجده كما تركه . على حين أن ستللا . . لايستطيع المرء أن يتنبأ أبدا . . لقد بدت في أول الأمر واثقة ، بل أستطيع أن أقول ودودا ، أثناء نزهة بأكملها ، وفي اليوم التالى أراها باردة ، بل تكاد أن تكون غريبـــة عني . وأحيانا أخرى ، تتغير فجأة أثناء الحديث ففى لحظة تكون معى ، وبعد لحظة واحدة ، تشرد بعيدا لا أدرى أين .

ميـــديه : صدقنى ، إنه لاينبغى أن تعير هذه النزوات . . هذه التقلبات في مزاج فتاة صغيرة — اهتماما مبالغاً فيه .

آلان : إننى أتوه في الافتراضات . . إننى أتعذب . .

أميـــديه : (في لهجة حاسمة) أنت مخطئ . وأعتقد ان الجسد هو سبب الكثير من هذه الاختلالات .

آلان : (مضطربا) ـ الجسد ؟

أميـــديه : لقد أثبتت لى التجربة أن النساء يعتمدن عـــلى تكوينهن العضوى إلى درجة لاتستطيع نحن — الرجال أن نتخيلها ايه ! أجل ، وهذه هى الفدية التى نقدمها مقابل كل مايمكن أن نحبـــه في تلك المخلوقات الرقيقة الساحرة .

وإياك أن تظهر لهن أنك لاحظت شيئا : فهذا شيء لايغتفرنه لك .

إنهن لايرضخن أبدا لحالة من العبودية — يحكمن عليها خطأ — بأنها مهينة لكرامتهن . ولما كن قادرات على الاختلاق بفطرتهن ، فانهن يلتمسن دون عناء مبررات لتقلبات المزاج التى لامبرر لها في حقيقة الأمر .

فتظاهر بأنك مصدق لها ، وحينئذ ستجد نفسك في خير حال .

آلان : أنت تعرف النساء معرفة تدعو إلى الاعجاب .

أميـــديه : الاحرى أن تقول « المرأة » ياصديقى الشاب ، المرأة هى المرأة ، على الرغم من اختلاف —

المظاهر . هناك استثناءات بالطبع ، وأملك الرائعة ، واحدة منها .

ألان : ولكن ، ستللا . . .

أميـــديه : ستللا ، كغيرها من الفتيات ، تكاد تكون امرأة بالامكان . وعليك أنت أن تكملها ، أو أن تجعلها بالفعل .

آلان : عليّ أنا ، ياسيدى ؟ أقلت : عليّ أنا ؟

أميـــديه : بلا شك : وهل جعلتُ من العاطفة التى أكنها نحوك سرا قط ، أو من الرضا الذى أشعر بـــه حين أراك تصاهر أسرتنا ؟

آلان : لم تكن قد عبرّت من قبل عن مشاعرك — ياسيدى — بمثل هذا الوضوح . . ولكن ستللا ستللا نفسها . . ألديك أسباب للتفكير في . . ؟ لأنها لم تصارحنى بشىء إطلاقا . . .

أميـــديه : أنا لم أصرح بذلك ، بل اعترفت به . في مثل سنها ، يحاول المرء أن يحيط نفسه بشىء مـــن الغموض . غير أن لدى أسبابا تحدونى إلى التفكير في أنها تنتظر منك شيئا آخر غير التنهدات ، والتحفظات ، والتلميحات الرقيقة .

(تدخل إيفيلين دون ضوضاء ، أثناء الشطر — الأخير من الاجابة)

آلان : ينبغي ألا يساورها أدنى شك . . .

أميـــديه : هذا لايكفى ، صدقنى ، ياصغيرى آلان . ستللا لاتختلف عن غيرها في شيء ، فهى في حاجة إلى أن تشعر بمن يمسكها ، ويقودها ، بيد حازمة ، مسئولة . .

آلان : اذن ، فلو كنت في مكانى ياسيدى . . .

أميـــديه : أجل ياصديقى ، كنت « أحرق سفائنى » .

إيفيلين : أما أنا ، فأعتقد على العكس من ذلك ، انك ترتكب خطأ لو اتبعت هذه النصيحة .

أميـــديه : ولكننى ، لاأعلم ياإيفيلين — أن آلان قد طلب مشورتك .

آلان : وماوجه الخطأ في ذلك ، ياسيدتى ؟

إيفيلين : ستللا ليست على مايرام في الوقت الحاضر ، وهى في حاجة إلى رعاية كبيرة ، وطلب — الزواج . . .

أميـــديه : إيفيلين !

إيفيلين : أهناك موضع آخر ؟ . . هذا الطلب قد يسبب لها انهيارا قاتلا .

أميــديه : يالها من مبالغة ! أتعتقدين ! حقا أن ستللا — تجهل المشاعر التى يكنها آلان لها ؟

إيفيلين : ليست هذه هى المسألة .

أميــديه : أما أنا فأرى أن التعبير بصراحة في نهاية الأمر ، سيدفع صديقنا الشاب إلى اصلاح موقف لايبدو لى خاليا من الوبال . (إيفيلين تهز كتفيها .) إن هزة الكتفين ليست ردا ياايفيلين .

آلان : ألديك من الأسباب ياسيدتى مايدفعك إلى التفكير في أن ستللا سترفض ؟

إيفيلين : لاأعتقد انها في حالة تسمح لها في هذه اللحظـة باتخاذ قرار يلتزم به وجودها بأسره . وأعتقد أنها ستقول لا ، خوفا من الارتباط .

أميــديه : لاينبغى أن تصدرى حكما مسبقا على ردها ، فأنت تفسدين — بخفة — أخلاق طفلة تحتاج إلى كل شجاعتها لمواجهة مثل هذا الموقف .

إيفيلين : أرى انى لاأراعى الوفاء إن أنا أخفيت عنه —

هواجسى .

آلان : ولكن ، ربما كان مالاترينه ياسيدتى . . . اننى لا أستطيع احتمال هذا الشك ، فهو يحطمنى . ويخيل إلىّ في بعض الأحيان أن الرفض أفضل بالنسبة إلى من هذا التأرجح بين الأمل والقنوط..

إيفيلين : انها ستللا التى أطلب منك أن تفكر فيها الآن . فلا تضعها في موقف يدفعها إلى أن تطلب من نفسها مالا يمكنها أن تعطيه .

أميديه : كلما أمعنت التفكير في هذه المسألة يا إيفيلين ، بدا لى موقفك في هذه اللحظة فريدا من نوعه .

إيفيلين : إن أماً ، أو اختا كبرى . . لن يكون لها موقف آخر غير موقفى .

أميديه : أتوسل اليك ياإيفيلين ، لا داعى لهذا الكلام الماسخ .

آلان : سيدتى ، لماذا لا تكونين مخلصة حتى النهاية ؟

إيفيلين : وكيف ؟

آلان : أشعر أنك تقفين ضدى . ولكن ، أعلنى ذلك بصراحة . . .

إيفيلين : لاتتعلق المسألة بما استطيع أن أتمناه أو أن أخشاه .

آلان : بلى ، ياسيدتى ، بالضبط ، فان ستللا لن تقرر شيئا دون استشارتك ، وانت تعرفين ذلك.

إيفيلين : في الظروف الحالية ... لن أستطيع إلا اقناعها بالعدول عن رأيها .

آلان : (في مرارة) كنت اعرف ذلك .. كنت أعرف ذلك .

أميـــديه : وماذا بعد ، ياإيفيلين ...

إيفيلين : أعتقد أننى أحلم ، أجل ، أعرف ذلك .

آلان : (في صوت متهدج) أمن الممكن أن أعرف علة هذا العداء ؟

إيفيلين : أى آلان المسكين ، إنك لاتفكر فيما تقول . لاأعتقد أنك تستطيع أن تمنح ستللا السعادة ..

أميـــديه : (رافعا ذراعيه إلى السماء) السعادة ! كلمة من تلك الكلمات الكبيرة التى لاتعنى شيئا .

إيفيـــلين : لست من رأيك ، يا أميديه .

آلان : على كل حال ، ما الذى يسمح لك ياسيدتى بتأكيد انني غير قادر على اسعادها ؟

إيفيلين : انا لا أؤكد شيئا ، ولكنى أعتقد ان ستللا كائن هش في حاجة إلى المساندة والمعونة والحماية . .

آلان : اتفقنا . ومسيو شارتان قال بنفسه الآن . . .

إيفيلين : وأظن أنك أنت نفسك يا آلان ، من مصلحتك أن تتزوج فتاة أقوى ، أو على الأقل اكثر استقرارا ، أكثر . . اتزانا ، إن أردت الدقة .

آلان : إنك تحملين لنا — نحن الاثنين — كثيرا من الازدراء .

إيفيلين : أقسم لك ، بأنى لا أحمل لكما أدنى ازدراء .

آلان : ربما ، من الشفقة ؟ وهى ليست افضل على الاطلاق كلا ، كلا ، ياسيدتى ، لاتحتجى ، أؤكد لك أنى أفهم جيدا . ولكن ، ثمة شيء لاتدركينه . . فاعلمى ، أنى مثل الكثيرين من رفاقي ، أعرف أى مصير ينتظرنى ، اعرف انى سأقتل في زمن قصير جدا . وفضلا عن ذلك ، فقد تنبؤوا لى بهذا المصير . . أوه ! لاتبتسمى . فانا لا أهرج . واعترف بأن هذه الفكرة صعبة الاحتمال حين نفتقر إلى الايمان . . صعبة.. جدا . . جدا . وهكذا تدركين ، انى إذا لم أتمكن من الحصول على

الشيء الوحيد الذى يهمنى . .فلامبرر للاستمرار في الحياة . . وفي هذه الحالة أوثر أن انتهى منها على الفور ــ ويكون ذلك بمثابة خلاص ، على كل حال .

إيفيلين : ياصغيرى آلان ، هذا ضرب من الابتزاز .

آلان : فليكن ذلك ، إذا شئت ، فأنا لا أخشى الألفاظ . . إطلاقا . فلو أنك صدقت أن أمى قد جعلتنى ألجأ إلى الابتزاز ــ هى أيضا ــ منذ نعومة أظفارى . . . إذن ، لبدالى هذا الأمر طبيعيا جــدا . . . . هــذا كل ما أردت أن أقوله لك.

إيفيلين : أرجو على الأقل ، ألا يكون لديك هذا الضعف . . الذى لايغتفر ، فتستخدم هذا السلاح مع ستللا .

آلان : ولم لا ؟ . . ان لم يكن لدىّ خير منه . .

إيفيلين : طيب ! ها أنت بسبيلك إلى اثبات كم كنت على صواب حين اعتقدت أن هذا الزواج سيكون نكبة كبرى .

آلان : إنها الحياة ــ ياسيدتى ــ التى تعدّ نكبة . .إلى اللقاء ، ياسيدى .

أميـــديه : لاعليك ، يا صديقى ، لاعليك . . .

آلان : (على شفا الانخراط في البكاء) ــ كلا ، كلا ، لا تستبقنى .

(يخرج)

المنظر الثاني

ايفيلين ــ اميديه

أميـــديه : ياله من مشهد موثر !

إيفيـــلين : (في هدوء) أما أنا ، فأراه حقيرا .

(فترة صمت)

أميـــديه : مازلت أبحث عن تفسير لجمود في الحساسية لايمت إلى الانسانية بصلة .

أيفيـــلين : افعل ما يحلو لك .

إميـــديه : أخشى أن اكون قد اكتشفته ، حقيقة .

أيفيـــلين : آه ، نعم ؟

إميـــديه : إن ذلك الحقد الذى تضمرينه لصديقىّ العزيزة جدا مارى ــ إستيل ، قد أسقطتِه الآن على

ابنها . وهذا منطقى جدا . (صمت) بل انك لاتكلفين نفسك عناء انكاره . .

إيفيـــلين : وما جدوى ذلك ؟ مادام يسعدك كل هذه السعادة. تلذذ يا أميديه الطيب ، تلذذ .

أميـــديه : ماذا تعنـــين ؟

إيفيـــلين : لذة الاعتقاد في أنني غيور ، تافهة ، وضيعة . لكل منا ملذاته . فلماذا أتجشم عناء تبديد وهمك ؟ سيكون ذلك متعبا جدا ، وصعبا جدا ــ ولن يكون في جملته عملا خيرا .لقد اكتشفت هناك اعتقادا صغيرا مريحا يبعث الدفء في أوصالك . .

أميـــديه : ولكن ، هل ترين من الطبيعى أن ابصر ستللا بنوع تلك الرعاية . . .

إيفيـــلين : وهنا ، أنصحك بالاحتراس .

أميـــديه : إن الكشف الرهيب الذى كنت مرغما عـــلى الافضاء به إليها . . .

إيفيـــلين : ها أنت ذا تعود إليه من جديد .

أميـــديه : . . . أن اقتل في مهده أى شك محال ومبهم قد يساورها ضدى ، وأعتقد ــ فضلا عن ذلك ــ

أنك خليقة بالسعى إلى اثارته في نفسها .

إيفيــلين : كـــلا .

أميــديه : من المؤكد أنها مستعدة اليوم لأن تحسب حسابا للتحذيرات التى قد أكون مسوقا إلى توجيهها إليهــا .

إيفيــلين : ضدى أنا ؟

أميــديه : هذا يتوقف تماما على موقفك . فلو انك لم تحاولى التأثير عليها . . .

إيفيــلين : هذا واجبى ، ولن اقصر في اداله . أتستطيع أن تخبرنى — يا أميديه — إلى أى غاية يرمى هذا التحيز العجيب لشاب معتل الاعصاب ؟ . . أنا اعرف ، أنه ابن سيدة ممتازة ، أبدت نحوك دائما مشاعر غاية في الرقة ، ولكنك اعلنت أخيرا منذ لحظة أن ستللا في حاجة إلى يد حازمة ، مسئولة ، فهل تستطيع — بعد كل ماسمعناه لتونا — أن تعتقد لحظة واحدة في أن لهذا الفتى إرادة ، أو سيطرة على نفسه ؟ . .

أميــديه : إنها عملية استمالة ، ولن اتبعك في هذا الطريق .

إيفيــلين : لأنك تؤثر الراحة .

أميـــديه : إنك غريبة كل الغربة عن حياة العواطف ، ياعزيزتى إيفيلين ، إلى درجة لاتستطيعين أن تتخيلى معها القلق الذى يمكن أن تلقى فيه تلك العواطفنفسها تميل إلى الرومانتيكية نوعا ما .

إيفيـــلين : أنا لا أعرف غير شيء واحد : ان وراثة ستللا من ناحية امها . . .

أميـــديه : لاداعى لهذه الرطانة العلمية ، أتوسل إليك .

إيفيـــلين : وسواء جلبت وراءها أو لم تجلب ، خطرا حقيقيا على عقلها ، فانه من المستحيل ألا يسيطر عليها خوف السقوط يوما من الايام في ذلك المقدور ، الذى قد يكون وهميا . وفي هذه الظروف ، من واجبنا المطلق أن نحميها من كل ما يمكن أن يوهن . . لا أدرى . . من مقاومتها الباطنة .

أميـــديه : إنك تتحدثين كواحد من اولئك المهرجين الذين يسمونهم محللين نفسانيين

إيفيـــلين : أنت تراوغ ، وأنا أدرك ذلك . إنى اتحداك أن تعارضنى بحجة واحدة صحيحة .

أميـــديه : ما أبعدك عن معرفتى لو أنك لم تلاحظى بعد مقتى الشديد للجدل . إذ أفضل الاستناد على

نور داخلى معين . ولست بنادم — على الأقل حتى الآن على ما يبدو لى — لأنى استمعت إلى نصائح شيطانى المألوف ، مفضلا إياها على تحذيرات . الخبراء المختصين . إنك تملكين كل ما يحتاجه الخبير يا عزيزتى إيفيلين : الصرامة الظاهرة . والعناد ، و . . دعينى أقلها لك ، ربما أيضا نوع من العتمة الباطنة . ويبدو — على العكس من ذلك — أنى أملك هوائيات . . قد تبعث هذه الكلمة على الضحك، ممكن، ولكن الشيء الذى . .

إيفيلين : لست ارى أنك قد برهنت فيما مضى على هذه الشفافية العجيبة فى البصيرة ، يبدو إذن أنها وصلتك متأخرة . . أجل ، فان زواجك الأول . . .

أميديه : أعتقد انى طلبت منك مرة واحدة وإلى الأبد ، أن تستبعدى هذا الموضوع من أحاديثنا .

إيفيلين : آه ! هنا تخونك ذاكرتك ، يا أميديه . ففى الأيام الأولى من زواجنا . . . (تضحك) أستطيع أن أؤكد لك أنك لم تدع مناسبة لاصطحابى وراءك داخل تلك المملكة الخاصة . . بل كنت

تغريني بتوجيه الأسئلة اليك ـ ولم تتخذ هذا الموقف الجديد إلا لأنني لم ارحب بأسرارك كما كنت تتمنى تماما .. أجل ، لأنك شعرت بأنني أقل استعدادا للعطف عليك ، من العطف على ضحيتك ، أجل ، وأنا مصرة على ماأقول .. ضحيتك ...

أميـديه : يبدو لى أن هذا يمكن أن يكفى ، ياإيفيلين . ها هى أمى ، وما من أحد أجدر منها بالحكم بيننا

المنظر الثالث

نفس الاشخاص ـ مدام شارتران

مدام شارتران : ماهذا ؟ ما هذا ؟ ماذا يحدث ؟

إيفيلين : لاشىء ذو أهمية .

أميـديه : أشك ، ياأماه ، في أنك من هذا الرأى ، والأولى أن تحكمى بيننا .

مدام شارتران : (بادية الاهتمام) لاأحب كثيرا أن أضع أصبعى بين (البصلة) وقشرتها * . وعلى كل حال ، لامانع من النظر .

* فى الاصل بين الشجرة ولحائها او قشرتها . (المترجم) .

إيفيلين : لست على استعداد للاذعان لرأيك .

إميــديه : تعترفين اذن بأن أمي سوف تستصوب رأيي .

أيفيلين : انى على يقين من ذلك .

مدام شارتران : إذن ؟

أميــديه : أيدهشك أن أقول لك إن الشاب آلان دى — بوجرلان . . .

مدا م شارتران : ماذا ! انه مغرم بستللا . فعندما تكون حاضرة ، يرنو إليها في هيام .
ثم ماذا ؟

أميــديه : لقد أبدت إيفيين منذ لحظة عنادا عجيبا في تثبيط عزيمة هذا الشاب المسكين .

مدام شارتران : يالها من فكرة عجيبة ! ماذا صنع لك ياإيفيلين ؟ هيه ؟ . . أما أنا فينبغى أن أقول إنه قد ضغط قليلا على أعصابى في بعض الأحيان بميوله — العاطفيه ، ويؤسفنى أنه قد عين في تفتيش الشئون المالية .

ولكنه ماكان ليلقى أية صعوبة في « العثور على

الجبن في البنك » بفضل علاقات أمه . (الى أميديه .) وماذا بعد ؟

أميـــديه : (في ضحكة قصيرة يشوبها الامتعاض) إنك تتخيلين صورا مدهشة جدا ياأمي في بعــض الأحيان .

مدام شارتران : أية صورة ؟ . . . ومجمل القول ، انه شخص لابأس به ، فهو يملك المال ، والآمال الجميلة .. ثم إنه ينبغي أخيرا — ولنتكلم بصراحــة فيما بيننا — أن نرى الأشياء كما هي ، وليــس المقصود أن نتشدد ونعمل على تعقيد المسائل .

إيفيلين : ماذا تقصدين ؟

مدام شارتران : لاداعي للمواربه ، فانت تفهمين جيدا أن الناس جميعا يعرفون أن امها كانت نزيلة إحــدى المصحات العقلية . . وعليك استخلاص النتائج.

أميـــديه : إن أمي — بنظرتها الواقعية إلى الموقف ، على صواب تماما ، فيما اعتقد .

إيفيلين : لقد رضيت فعلا بتزويج ابنتك بأبخس الأثمان .

أميـــديه : عفوا : فان ابن ماري — إستيل . . .

إيفيلين : كان ذلك منذ مدة طويلة !

أميـــديه : تستطعين أن تلمحى ، ياأمى ، كيف تفقـــد ايفيلين في هذا الموقف كل ماتملكه من هدوء الأعصاب .

مدام شارتران : انى لأتساءل لماذا (تضحك) أى ضير يعـــود عليها في هذا كله ، آخر الأمر ؟

إيفيلين : انت لاتفهمين شعورى نحو ستللا . ولن أسمح لأحد بتحطيم وجودها .
لقد تألمنا في هذا البيت بما فيه الكفاية .

مدام شارتران : من أين أتيتِ بهذا يا إيفيلين ؟ لقد عشنا هنا دائما حياة غاية في اللطف .

إيفيـــلين : حين أتحدث عن العذاب ، فمن الواضح أنى لا أعنيك أنت .

أميـــديه : احكمى على النية .

مدام شارتران : في زمنى لم يكن العذاب الاخلاقي يا صديقتى الصغيرة يثير من الضجة أكثر مما يثيره وجع في الأسنان ، أو مغض كلوى .. وكنا حينذاك على صواب . وفضلا عن ذلك ، بما أنك لست أكثر مسيحية منى ، فأنا لا أرى . . .

إيفيلين : أرجو ألا اكون عديمة الاحساس تماما .

أميديه : انك في سبيلك الى ذلك يا ايفيلين ، وهذا أمر لا أستطيع اخفاءه عليك . وذلك الحنان المفرط الذى تحملينه لابنّى لم ينشأ إلا من رغبتك للكيد الموجه ضدى ، واخشى ، أن يكون موجها ضدك أنت يا أماه .

إيفيلين : كيد ! إنك تُعيرنى مشاعرَ مصنوعةً على مقاسك انني . . .

أميديه : أهذا اعلان حرب ؟

إيفيلين : إذا أردت .

أميديه : فليكن ، فلقد أحببت دائما المواقف الواضحة .

مدام شارتران : أجل ، وأما أنا ، فأريد سكينة نفسى . واذا أخذت هذا الكلام على محمل ما ، يا إيفيلين ، فسأذهب إلى الفندق ، على نفقتك طبعا .

(تضحك)

إيفيلين : (توجه كلامها بصوت متهدج إلى آرنو الذى يدخل في هذه اللحظة) آرنو ، هل لك في أن تأتى معى إلى الحديقة ، بضع دقائق ، فلا بد أن أتحدث إليك .

آرنــو : ألم تنزل ستلا بعد ؟

أميــديه : لا أعرف .

مدام شارتران : إنها فتاة صغيرة تصغى إلى نفسها أكثر مما ينبغى .

(يخرج آرنو بصحبة إيفيلين)

المنظر الرابع

اميديه ـ مدام شارتران

(ينظر أميديه في الاتجاه الذى خرجت منه إيفيلين ، تستولى عليه رعشة لايملك المرء إلا أن يشك في تلقائيتها ، وحين لاتعيرها أمه التفاتا ، يبالغ فيها أميديه باصدار صوت مسموع ، ثم بسعال مصطنع وكأنه مريض في أشد حالات المرض)

مدام شارتران : ماذا بك ؟ أأنت مريض ؟

أميــديه : مرضا لايصيب الجسم .

مدام شارتران : اذن،فكل شيء على مايرام. لقد أصبحت زوجتك في حالة لاتسمح بمعاشرتها ، وإنى لاتساءل : كيف سينتهى هذا كله . ؟

إميـــديه : « قليل من الصبر ، وينتهى كل شيء على أسوأ حال » كما قال أحد الظرفاء .

مدان شارتران : يالها من فلسفة ساحرة ! لابد أنه كان يعانى من معدته ، ظريفك هذا .أما أنا ، فأرى أن الأشياء سوف تسير على مايرام بوجه عام ، هذا إذا لم نفقد الاتجاه إلى الشمال .

أميـــديه : أمن الممكن معرفة ماتقصدينه بهذا القول ،ياأماه؟

مدام شارتران : هـــذا أمر غاية في البساطة . أعنى القدرة على الاستمتاع . فأنا شخصيا لا استيقظ من نومى دون أن أقول لنفسى أولا : يا صغيرتى أميلى ، ماذا تستطيعين أن تفعلى اليوم لامتاع نفسك ؟ ودائما أجد ما يجلب السرور إلى نفسى . وفي اليوم الذى لا أجد فيه بغيتى ، لا يبقى أمامى إلا اللحاق بأجدادى بأسرع السبل .. هيه ، هيه ..

أميـــديه : ولكن ، ألا تعتقدين مع ذلك أن التفكير في الآخرين .... ؟

مدام شارتران : خطير . فنحن لانستطيع بكل تأكيد أن نمتنع عن التفكير في الآخرين .ولكن ينبغى ألا نسعى إلى اسعادهم على الرغم منهم ، كما لاينبغى — على الأخص — أن نضع انفسنا في مكانهم ، فليس هذا ممكنا ولا طبيعيا . إنى أومن — في الحياة — بالمقاعد ذات الأرقام . إليك إيفيلين مثلا مثلا ، إنها لم تفهم بعد هذا ، وذلك ما يجعلها غير محتملة . فاذا عرفنا — بالاضافة إلى ذلك ، أنها كانت تريد أن تكون مشرفة اجتماعية . . أدركنا أنه حب التدخل ، ولاشيء سواه .

أميـــديه : لو أخذت بآرائك ، يا أمى ، لما بقى لى — على ما اعتقد ، الا أن احزم متاعى . فأنا لا أعرف ان « المتعة » تحتل مكانا — ايا كان نوعه — في وجودى . . . الخراب .

مدام شارتران : تاتاتا ، ليس خربا إلى هذا الحد .

أميـــديه : إننى وحيد جدا ، يا أماه .

مدام شارتران : أنت ؟ إنك تصحب معك دائما معرضا صغيرا للتحف . وأنت لاتحيا إلا من أجل هذا المعرض،

أوه ! إنني مطمئنة تماما ، لأنك ستحتفظ به حتى لايكون ثمة ظمأ . لاينبغي أن تحسبني بلهاء .

أميـــديه : (بعد هنيهة) إنني أشدّ وحدة عما كنت اعتقد يا اماه .

المنظر الخامس

نفس الأشخاص ـ ستللا

(تبدو شديدة الشحوب ، وملامح وجهها مشدودة كشخص لم يذق طعما للنوم)

أميـــديه : (في رعايـــة مسرحية) هـــل استطعت أن « تستريحي » قليلا ؟ (تهز ستللا رأسها بحركة تدلّ على النفي) إنني اتساءل ، أمن الممكن أن أعطيك منوما خفيفا هذا المساء .

مدام شارتران : أوه ! كل هذه العقاقير تعمل على تسميمك . ما عليها إلا أن تتمشى قليلا بعد العشاء : فهذه وصفة لايعلو عليها شيء .

أميـــديه : (في لهجة موثّرة) الطفلة المسكينة لاتستطيع الوقوف على ساقيها .

مدام شارتران : كم تستطيعون مضايقتى جميعا ، بهذا الحال الذى أنتم عليه !

(تخرج)

المنظر السادس

ستللا ــ اميديه

(ستللا غائصة في مقعد وثير ، تنظر أمامها في الفــراغ)

أميــديه : أقرر ، ياصغيرتى المسكينة ــ أوه ! دون دهشة ــ أنك لم تملكى بعد زمام نفسك ، لماذا لم يسمح لى بأن أجنبك هذا كله ؟ . . .

ســتللا : اسمع يا أبى ، أريد أن أطلب منك شيئا . . أنا أدرك أن هذا لايبدو لطيفا . . ولكنك تتخذ طريقة للتعبير عن نفسك . . . في هذه اللحظة لا أستطيع . لو شئت أن تبذل مجهودا للحديث ببساطة تامة . . . أنا شقية غاية الشقاء . . ضائعة أشد الضياع ، أتفهمنى . . . ؟

أميــديه : (في رفق) أجل يا ابنتى ، انك مرهقة جدا . .

سأرغم نفسي على ذلك ، وإن كنت لم أفهم جيدا . . .

ستللا : شكرا (صمت) الخطاب الذى تحدثت عنه الآنسة فرو ، أأنت على ثقة تماما ؟ . . . وعلى كل حال ، لم تعد لدى الشجاعة على قراءته . . وإن كنت أشعر بالحاجة إلى أن . . اتمثله . .

أميديه : لاينبغى أن تفكرى في هذا الأمر .

ستللا : لماذا ؟

أميديه : لقد عاشت أمك في عالم غريب كل الغرابة عن عالمنا . . عالم لاسبيل إلى التفكير فيه .

ستللا : منذ البداية ؟ . . . عندما تزوجتها ، ومع ذلك . . .

أميديه : أى ابنتى . كنت أوثر أن أراك تواجهين المستقبل مستقبلك أما ذلك الماضى المظلم الذى لا تستطيعين اقتحامه فلا يمكن إلا أن يقذف على وجهك بأبخرة . . . ماذا أقول . . . أبخرة قاتلة

ستللا : تذكر ، ياأبى ، ماوعدتنى به .

أميديه : (بلهجة حادة) لااستطيع ان اعبر عن نفسى — على كل حال — بلغة البرابرة ، ياستللا .

ستللا : أنت تطلب منى أن التفت إلى المستقبل ، ولكن يبدو لى أننى بلا مستقبل .

وليس أمامى سوى جدار ، هو بالضبط . . . الماضى .

أميديه : ذلك الماضى لاينتسب اليك .

ستللا : ولكننى أنا التى انتسب إليه ، حتى عطلاتنا الصيفية في الانجادين . . .

أميديه : وماذا بعد ؟

ستللا : حتى التقينا بإيفيلين . . كانت أمى ممتزجة بكل افكارى . . بل لقد أهديتها . . هذه الافكار . وحتى بعد ذلك ، كانتا اثنتين ، وهذا كل ما في الامر . . أو بالأحرى . . . إيفيلين ، كنت واثقة أن أمى هى التى أرسلتها إلىّ . واعتقدت أن ثمة شيء يحرسنى . . وظننت أننى لا أستطيع العيش إن لم أشعر بأن هناك من يرعانى . لاأقصد الله ، فأنا لست مثل آرنو ، وإنما شخص حقيقى . . . ولهذا قلما كنتُ أضع أىأسئلة . . أخاف . . لست أدرى من أى شيء بالضبط ، ولكننى كنت خائفة . وفي هذه الأيام الأخيرة كبر

ذلك الخوف ، حتى كان ذلك اليوم . . والآن ، يبدو لى أننى كنت ضحية خيانة شنيعة . وربما كان أشنع مافيها ، أن أحدا لم يقترفها . . كلا ، فمن المفروض ألا أتهم أحدا . أليس كذلك ؟ . . كل مافي الامر ، أشعر كأننى انزلق ، فاحاول أن اتمسك ، فلا استطيع ، إذ لاأجد سندا أتكئ عليه . (صمت) لماذالاتجيب بشيء ؟

أميديه : ياابنتى ، أنت وأنا ، شخصان منكوبان ، كنت أقول ذلك منذ لحظة لجدتك المسكينة التى بلغت من العمر عتيا بحيث لاتستطيع ادراك معنى ذلك القول . . . ستللا ، نحن متشابهان بصورة عجيبة .

ستللا : حقا ؟ ماكنت لاعتقد ذلك . فإيفيلين تقول إنك تشبه جدتى .

أميديه : ياله من ضلال ! أنت وأنا ـ ياستللا ، من أولئك الأشخاص النادرين جدا ، الذين كتب عليهم العذاب لأنهم لايحيون الابقلوبهم . . أجل ياابنتى ، إننى أفضى إليك في هذه اللحظةبأعمق أعماق نفسي . بالقلب وحده .

ستللا : كنت أعتقد أن العقل والثقافة ، بالنسبة إليك. . .

أميديه : لايزيد هذا كله عن أن يكون قشا أو أوراقا يابنة .. القلب ، ياستللا ، القلب ! . .
(يضغط على نطقه لكلمة قلب) .

ستللا : لابد أنك تألمت كثيرا (لايرد عليها أميديه إلا بتنهيدة عميقة ، تأخذ في الخفوت شيئا فشيئاً) وهي أيضا ؟

أميديه لقد كانت تنتمي إلى نوع آخر لانشترك معه في شيء.

ستللا : ومتى . . .أدركت ذلك ؟

أميديه : عندما تزوجتها . كنت أحيا بلا اوهام ياستللا . وكنت احتفظ دائما بتلك الميزة الحزينة وهي أن اتنبأ بالأمر دون أن احاول منعه .

ستللا : ولماذا لم تحاول ؟

أميديه : إنه حب المصير Amor forti . أتدرين ما تعنيه هذه العبارة ؟

ستللا : كلا .

أميديه : واأسفاه . ثمة جهل يعد من قبيل التهاون ، من من رثاثة الهيئة .

ستللا : يونسفني . . .

أميديه : لاعليك . . . ياصغيرتى ستللا ، أحب أن أعقد معك نوعا من التحالف .

ستللا : ولم لا ؟ ضد من ؟

أميديه : ضد لاأحد . . . أو بالاحرى : ضد ذلك الإله الذى لاوجه له ، والذى لانستطيع حتى اتهامه ، وما هؤلاء الناس حولنا إلا دمى له . . وما أكثر المهرجين !

ستللا : لست أدرى عمن تتحدث .

أميديه : بل أولى بك أن تفكرى في أولئك الذين قدر عليهم الارتباط بنا . وأفكر بوجه خاص في صديقتنا العزيزة جدا مدام دى بويجرلان التى تستطيعين أن تجدى عندها في تلك الظروف صدرا حنونا .

ستللا : أوه ! يا أبتاه ! . . .

أميديه : وأفكر أيضا في شخص قريب منها أشد القرب . أهناك حاجة إلى ذكر اسمه ؟

ستللا : لاجدوى من هذا كله .. اخبرنى : هل يعرفون ذلك الأمر الرهيب ؟

أميديه : سبق لى أن اطلعت مارى – إستيل بنفسى على كل شيء .

ستللا : ماكان ينبغى لك .

أميديه : في بعض الساعات السوداء ، كانت ملاذى الوحيد . فهل قررت أنه من الافضل الإفضاء إلى آلان بهذا السر؟ جائز ! والحق أننى لم اتقص هذه المسألة ، فبينهما علاقة حميمة بدت لى دائما في غاية من الروعة .

ستللا : إذن ، فهو محيط بكل شيء ؟ ..

أميديه : يكاد يكون ذلك مؤكدا ... (تخفى ستللا رأسها بين راحتيها) . ولكن هل أفسدت – معرفته بهذا السر مشاعره نحوك ؟

ستللا : وما العلاقة ؟

أميديه : ينبغى ألا أخفى عليك ، فان كثيرا من الشبان قد يعرضون في شيء من الذعر عن انسانة ...

ستللا : آه ... ولماذا ؟

أميـــديه : ستللا ، لعلك لاتشكين في ذلك ؟

ســـتللا : اذا شئت أن تحدد جيدا .

أميـــديه : أوثر اعفاء نفسى من ذلك .

ســـتللا : ألأن أبناء . . . المرأة المجنونة يكونون مهددين بذهاب عقولهم ؟

أميـــديه : ثمة فكرة مسبقة — في هذا المجال — على الأقل راسخة جدا ، وثابتة الأصل جدا . فالحقيقة أن آلان الشهم يدافع في عزم صادق عن حبه . أجل ، ياستللا ، هذه كلمة ينبغى أنتستمعى إليها دون أن ترتعد فرائصك .

ســـتللا : لقد قلت إنها فكرة مسبقة : فلماذا ؟

أميـــديه : لايمكن أن يتعلق الأمر بشيء آخر .

ســـتللا : أأنت على يقين من ذلك ؟

أميـــديه : من أشد الخطر أن يشك المرء في ذلك . والاعتقاد في مثل هذا الخطر يزيده استفحالا .

ســـتللا : وهل هو موجود ؟

أميـــديه : فلنحاذر من ذلك الإله الذى لا وجه له .

ستللا : (في تقزز) آه ! .. النوم .. ليتني استطيع النوم .

أميديه : سأحمل إلى حجرتك هذا المساء قرصا منوما ، عملا بنصيحة جدتك الطيبة .

ستللا : (بانفعال) أتحبني قليلا يا ابي ؟ أخبرني بالحقيقة ، أنا لا أطالبك بعبارة من تلك .. فحينما تقول عبارات معينة ، فكأنما ثمة شيء لاأدرى ماهو .. شيء لاسبيل إلى قهره ، يكذب تلك العبارات كلما مضيت في الحديث .. « ليس هذا حقا .. ليس هذا حقا ، ليس هذا حقا » ، وكأنها حركة البندول .ربما لم تكن هذه غلطتك .. أجل ، ربما كان ذلك .. ضربا من الضعف .

ولكن ، أتشعر به ؟ إني أخاف أشد الخوف من أن أكون ظالمة .. سيكون الأمر شنيعا جدا إذا أنا أسأت فهمك لمجرد أن ... (يضع أميديه يده في كف ستللا . فترة صمت) شكرا ياأبي شكرا على سكوتك . أجل ، إنني أشعر بأنك كنت على صواب : نحن متحالفان، ولكن ضد أي شيء ؟ ضد أي شيء ؟ استمر في سكوتك ، فلا

تجيب عليّ . . (بصوت خافت) لعلني —.
أصغى إلى . . . روحك . . للمرة الاولى . .
لاتقل شيئا ، لاتقل شيئا ، سأغمض عينيّ .

(تتمدد على الأريكة وقد أدارت وجهها نحو الحائط)

أميــــديه : أيتها الساحرة . . الصغيرة ! (انتفاضة مــن ستللا تكشف عن الانطباع الأليم الذى تبعثه فيها هذه اللهجة الزائفة . يبتعد أميديه على أطراف قدميه ، يفتح الباب دون جلبة ، يظل الباب مواربا لحظة واحدة ، نستمع بعدها إلى صوت آخر .) شكرا . (يعود إلى ستللا ، ممسكا بخطاب في يده .) هذه رسالة أحضروها من توّهم إليك . من آلان دى بويجرلان .

(في حرص مفرط) سأضعها هنا . . على هذه المنضدة الصغيرة . . فاقرئيها عندما تشعريــن بالراحة .

(يخرج)

المنظر السابع

ستللا – ثم آرنو

(تبقى ستللا في بادئ الأمر بلا حراك ، ثم يبدو عليها أنها تريد التقلب على الأريكة لكي تستعيد وضعها الأول ، نشعر بأنها فريسة لقلق شديد ، إذ تتململ في جلستها .

وأخيرا تنهض بحركة مفاجئة ، وتتناول الخطاب ثم تفضه بحركة تشنجية ، وتجلس لكي تقرأه ، تهز رأسها أثناء القراءة . تضع الخطاب إلى جانبها بعد أن فرغت من قراءته ، ثم تستغرق في أفكارها ، وقد وضعت رأسها بين راحتيها ، يدخل آرنو في هذه اللحظة ، ثم يتوقف مأخوذا) .

ستللا : (وقد لاحظته) آه ! لقد أفزعتني . . .

آرنو : (في حنان) كيف تشعرين الآن ، ياستيل مازلت شديدة الشحوب .

ستللا : أين إيفيلين ؟

آرنـــو : لقد تركتها منذ لحظـــة .

ســتللا : أعرف ذلك ، فلقد رأيتكما من حجرتي — معا في الحديقة . وكانت تتحدث في انفعـــال ظاهر . . ماذا كانت تقول لك بكل هذه الحدة؟ أما أنت ، فكنت تبدو مرتبكا ، حائرا ، — مترددا .

آرنـــو : (في سرور) اذن ، فقد لبثت في النافذة — تراقبيننا ؟

ســتللا : كنت مندهشة . . . (جرس التلفون)

آرنـــو : سأرد انا . (يرفع السماعة) آلو ! أهذه أنت ياماجى ؟ كلا ، إيفيلين ليست هنا ، ولكنى اعتقد تمام الاعتقاد أنها في طريقها إلى رؤيتك . . . عفوا . . إلى اللقاء ياماجى .

(يضع السماعة)

ســتللا : ألا تعتقد أنها تتقرب من ماجى لمجرد مضايقـــة أبينـــا ؟

آرنـــو : إن ماجى هى التى جاءت إلى أورشان ، وسأجعلك تلاحظين . . .

ستللا : أيا كان الأمر ، فأنت أيضا منحاز إلى صفها ...

آرنو : كيف ؟

ستللا : لقد قلت إنك ترى ماجي فاتنة .

آرنو : وماذا في ذلك ؟

ستللا : إن لها عينين على ناحيتي رأسها ، وفما أشبه بفم السمكة ... ولكنني أعلم جيدا أنك لم تنظر إلى امرأة قط في حياتك ولا حتى إلى إيفيلين .

آرنو : سيان .

ستللا : والدليل على ذلك : مالون شعرها ؟

آرنو : أقرب إلى البني ، على ماأظن .

ستللا : إطلاقا .. بل مائل إلى الحمرة . إن شعر إيفيلين مائل إلى الحمرة .

آرنو : إذا كان ذلك يرضيك ...

(صمت . يتفحص ستللا)

ستللا : أنت طائش يا آرنو ، ولطيف إلى أقصى حد . وعندما كنا أطفالا ، كنت تغضب أحيانا ، وهذا لم يعد يحدث لك الآن اطلاقا . لعله نوع من الشيخوخة .

آرنــو : (مبتسما) استمرى . (مشيرا إلى الخطاب) أهذه الرسالة هى التى وضعتك فى تلك الحالة . . البركانية الثائرة التى أراك عليها ؟

ستــلا : بل إنها تسبب لى سرورا عظيما . فلقد أصبحنا مخطوبين رسميا ، ابتداء من هذه اللحظة . أنا فى غاية السعادة .

آرنــو : غير أن عينيك مليئتان بالدموع .

ستــلا : ما معنى الدموع ؟ من الممكن أن يبكى الانسان فرحا .

آرنــو : طبعا .

ستــلا : ماذا تأخذ عليه ؟ (تعبير استفهامى على وجه آرنو) أقصد ، على الآن .

آرنــو : لا شىء بكل تأكيد . . إننى أحبه كثيرا .

ستــلا : أنت تحب الناس جميعا ، وهى طريقة مسيحية للقول بأنك لا تعبأ بهؤلاء ولا بهؤلاء .

آرنــو : (فى سخرية محببة) بلى . فأنا لا أعبأ بك مثلا .

ستــلا : تعتقد أنك تمزح ، ولكننى أعرف جيداً أن هذه هــى الحقيقة . فلو وضعت فكرة فى رأسك ،

واستلقيت أنا في عرض الطريق ، لعبرت من فوقي ــ أوه ؟ وأنت تباركني .

آرنــو : (في قلق) أية فكرة ؟

ستــللا : أية فكرة كانت . مشروع زواج مثلا .

آرنــو : ها هو الاطمئنان يعاودني .

ستــللا : ألن تتزوج ؟

آرنــو : جائز .

ستــللا : ولماذا ؟ إنه شيء سخيف .

آرنــو : من الأفضل أن نتحدث عن الآن . هل ترويت في الأمر ؟

ستــللا : ثمة فرص كثيرة . وأنت تعرف أن الوقت طويل أمامي . فلن يأخذني على حين غرة .

آرنــو : كلا . . . ولكنني في دهشة إلى حد ما .

ستــللا : ولماذا . ؟

آرنــو : منذ بضعة أيام ، كان يخيل إليّ أنه يرهقك .

ستــللا : لسنا في حاجة إلى البحث عن شخص مُسَــلٍ لنتزوجه .

آرنـو : كنت تقولين لى : إنه رخو ، وانـه يفتقر إلى الحيوية ، وإلى الرجولة .

ستلا : أعتقد اعتقادا جادا انه سيكون شقيا لو رفضت.

آرنـو : أهذا سبب كاف يدفعك إلى القبول ؟

(صمت)

ستلا : أهي إيفيلين التى وضعت في رأسك هذه الأفكار؟

آرنـو : وكيف ؟

ستلا : الان ، في الحديقة . . .

آرنـو : اعترفي بانك تغيرت فجأة يا ستيل .

ستلا : ممكن .

آرنـو : ولماذا ؟

ستلا : أترىَ أنه لم يحدث شيء . . يدعو إلى الدهشة منذ يومين ؟

آرنـو : لا أرى معقد الصلة .

ستلا : ومع ذلك ، كنت تعلم . أليس كذلك ؟

آرنـو : (بعد تردد) أجل .

ستلا : من ذا الذى أنبـأك ؟

آرنــو : أفضى إلىّ أبى ببضع كلمات . . . منذ أمد ليس بعيدا .

ستللا : أما أنا ، فقد تركونى أتخبط في جهلى . لماذا ؟ وعند ما كنت أسألك ، كنت تتظاهر بأنك لاتعرف شيئا أكثر منى . . آه ! كم كذبت على ياآرنو ! وهذا الخطاب الذى تحدثت عنه العجوز المأفونة . . من أدرانى بأنك لم تتسلّمه ، وبأنك قرأته ، ومزقته ؟

آرنــو : أقسم لك بأن شيئا من هذا لم يحدث . ولكى أريح ضميرى ، اعترف بأننى اتصلت تلفونيا بموثق العقود ، فعلمت أن هذا الخطاب لم يوجد على الاطلاق .

ستللا : ليس لدى أى باعث يدفعنى إلى تصديقك . إن دينك يحبذ الكذب على سبيل الاحسان . الاحسان! يالها من كلمة فظيعة ! مهينة . مهينة .

لماذا كتموا عنى كل شىء ؟ مم كانوا يخافون ؟ أليست لى نفس الحقوق ؟ أهو المشرف على ضميرك الذى اوصاك بذلك ؟ أم إيفيلين . . أى دور تلعبه إيفيلين في هذا كله ؟

آرنو : ليس من حقك الارتياب فيها .. إنها تحبك من كل قلبها .

ستللا : وهاهى قد قدمت لك الدليل على هذا ، أليس كذلك ؟ هذا هو الموضوع تماما . . إنهم يعاملوننى . . كما لو كنت مجنونة فعلا . .

آرنو : (مذعورا) — ستللا !

ستللا : إنك تنظر إلىّ ، أنت وراء القضبان . . كيف لاتدركون انكم تدفعون بى إلى الجنون ؟

آرنو : (في قلق متزايد) لاأريد أن تحبسى نفسك في هذه الفكرة . . إنها تحطمك ياصغيرتى ستيل .

ستللا : وماذا أنت فاعل لانتزاعها من نفسى ؟

آرنو : ليتك توافقين على الحضور أحيانا . . إلى القداس . . .

ستللا : هذا بالضبط مالا ينبغى أن يقال . . دواء — وقاية . هذا ماتعرضه علىّ . . . أما آلان ، فيحبنى ، باختصار إنه يمد إلىّ ذراعيه ، دون أن ينتابه الخوف . إن كان هناك من يستطيع انقاذى ، فلا بد أن يكون هو . . إنى أناديه . . وتستطيع أن تسمع ما سأقوله له .

آرنـــو : كلا ، كلا . . .

ســـتالا : لن تحول بيني وبين . . . (ترفع سماعة التلفون) الخامس عشر ، من فضلك .

آرنـــو : ستللا ، أصغى إلىّ .

ســـتللا : (في التلفون) أهذه أنت ياسيدتي ؟ أيستطيع الآن أن يأتي إلى التلفون ؟ .

خرج ؟ أوه ! . . ولكن حين يعود ، فليتكرم بطلبي ، هناك مانع ؟ أجل ، لدى رسالـــة عاجلة ينبغى أن انقلها اليه . هل أنت بخير ؟ . . (بصوت مرتجف) سآتى لأقبّلك في آخر النهار .

(تضع السماعة)

المنظر الثامن

نفس الأشخاص ــ ايفيلين

إيفيـــاين : إلى من كنت تتحدثين بالتلفون ؟

ســـتللا : (في جفاء) حسبتك عند ماجى .

إيفيـــلين : كلا .

ســـتللا : انه آرنو الذى أنبأني بذلك . لقد اتصلت بالتلفون وهى في انتظارك .

إيفيلين : هل أعاد آرنو على مسامعك الحديث الذى دار بيننا ؟

ستللا : لاشىء من ذلك .

آرنو : (إلى إيفيلين) لقد تلقت ستللا في التو رسالة من الآن . .

ستللا : تستطيع أن تقول انه طلب للزواج . وقد قبلته .

(صمت)

إيفيلين : (في صوت خافت ، متألم) ماذا صنعت لك ؟

ستللا : كيف ؟ أنا لا أفهم سؤالك ؟

إيفيلين : اللهجة التي ترفضين بها – ياعزيزتى . الاجابة على : ؟

ستللا : إنى مرهقة أشد الارهاق ، وانت تعرفين تماما أنى لم أذق للنوم طعما .

إيفيلين : آرنو ، ألا تستطيع أن تشرح لى ؟

ستللا : لن يكون ذلك في حضورى .

إيفيلين : آه ! تعرف أن . . .

ستللا : سيتضح كل شىء ابتداء من هذا المساء. (بغتة) أأستطيع أن أعرف لماذا لقنت آرنو ذلك الدرس؟

آرنو : أنت مستحيلة .

ستللا : ولم هذه المراوغة ؟

إيفيلين : منذ يومين ، وأنت تتهربين مني .

ستللا : كنتُ في فراشي .

إيفيلين : كأن شيئا قد انقطع بيننا ، دون أى سبب . انكسر . ذلك القرار المخبول ، أجل ، إنى متمسكة بهذه الكلمة . . المخبول ، الذى اتخذته ضدى . ولو أننى أيدتك ، لعدلتِ عنه .

آرنو : أعتقد أنك مخطئة يا إيفيلين . فمنذ أن علِمَتْ ستللا ، تتخيل أن وجودها ينطوى على خطر يهددها ، قدر محتوم عليها ، وأنت تفهمين ما أعنى . وتعتقد أنها أُبعدت فعلا عن الاتصال بالبشر . . منبوذة . . وها هو آلان يعرض عليها ملاذا ضد هذا الارتياب في الآخرين . . ضد ما يساورها من قلق . . . ولهذا فانها تندفع نحوه .

ستللا : كفى .

إيفيلين : لقد خمنتُ هذا . . ولكن ، هذه هى الفكرة التى ينبغى بالضبط القضاء عليها . . انصتى إلى . . حبيبتى .

كثيرا ما راقبتُك وأنت مع آلان : رأيت أنه يبعث الملل إلى نفسك ، ويسبب لك الارهاق ، وسيفعل ذلك بك دائما . إنى على يقين من ذلك وهذا ما أعرفه . إنه واحد من أولئك المخلوقات الذين يقضون حياتهم في التحسر على نفسه وفي استدرار عطف الآخرين . وهذا الأمان الذى تطلبينه منه ، لن يعطيك إياه . بل على العكس ، انه لا يملك إلا أن يُسْلِمَكِ إلى تلك القوى المجهولة الموجودة فيك ، مثلما توجد في كل واحد منا . . مثلما توجد في كل واحد منا ، دون أى اختلاف . وفي سعيك إلى الهرب منها ، تتخلين عن نفسك . .

ستلا : الأمر أشد تعقيدا بالنسبة لى .

إيفيلين : إنك تبعثين اليأس إلى نفسى . .

ستلا : ولكن ، لم كل هذا الاصرار ، في نهاية الأمر ؟ . . ولماذا لاتدركين انك تقاتلين ضد أبى في هذه اللحظة ؟ فكرة واحدة تسيطر عليك ، هى إيذاؤه ، وجرحه وتحطيمه . . . لم أعرف انسانا قط ، اقل من ذلك كرما .

آرنـو : ستللا ! (صمت)

إيفيـلين : أقسم لك انك لمخطئة . . . فانا لاأظن – أولا – أنه متمسك بهذا الموضوع التمسك الذى تحسبينه . فلديه مشاغل أخرى (حركات من ستللا) كلا . اعرف أنك الآن في اللحظة الحاسمة من حياتك ، هذا كل مافي الأمر . . .

ستللا : هذا غير صحيح . فالزواج التعس ، يمكن أن تنفصم عراه . ولى صديقتان طلّقتا بعد ستة أشهر من زواجهما .

إيفيـلين : أعرفهما ، إنهما امرأتان ضالتان . غير أنك تقولين أى كلام ياحبيبتى . . . أتتخيلين – مصادفة – أن آلان يمكن أن يدعك ترحلين ؟ إنه سوف يتشبث بك ، ولن يتراجع أمام أى ابتزاز . . وسيكون هذا هو الجحيم بعينه . ستللا ، لقد وقعَتْ هنا ، ومنذ زمن بعيد ، أحداث مريعة ، ولا أريد أن يبدأ كل هذا من جديد .

لن أسمح به .

ستللا : وما حقوقك ؟

إيفيلين : للحنان كل الحقو ق .

ستللا : الحنان ! انت امرأة قاسية ، ياإيفيلين ، وقد لاحظت ذلك منذ زمن طويل .

إيفيلين : ان التفكير في سعادتك لم يفارقنى قط . انا لا أومن إلا بالسعادة ياستللا وأرتاب في اولئك الذين ينكرونها فهذا مريع للغاية ، ويبيح كل شيء .

ستللا : (إلى آرنو) إنها تقصده هو أيضا بكلامها في هذه اللحظة .

إيفيلين : ستللا ، لقد أخذت منذ يومين ترددين أن أباك ضحية ، وجعلت تتغذين على ذلك الاعتقاد ، ولهذا تنظرين إلىّ بهاتين العينين القاسيتين . وبعد ، ليس ذلك صحيحا .

ستللا : انى امنعك من اتهامه . آرنو ، تقدم لنجدتى !

آرنو : هذا كله فظيع ، ياإيفيلين ، كيف لا تردين إنك وأنت تحاولين معاونتها . . .

إيفيلين : أنت لاتريد أن تفهم أن هناك غلطة تُضنيها ؛

ستللا : كلا .

إيفيلين : غلطة تسممها . . . وسوف تقضى عليها . أقسم لك أن هذه اللعنة لم تحل بك

ستللا : ماذا تعنين ؟

إيفيلين : إن أمك لم تكن ما تعتقدين . لم تكن مريضة...

ستللا : كانت مجرمة إذن ؟

إيفيلين : ولا هذا .

ستللا : لقد أرادت قتله .

إيفيلين : لقد أرادت أن تعيش . . بكل بساطة .

(تطلق ستللا صرخة وتهوى غائبة عن وعيها بين ذراعى آرنو)

ستار

الفصل الثالث

نفس الديكور ـ الساعة الثامنة والنصف مساء

المنظر الاول

آرنو ـ مدام شارتران في ثياب السفر

مدام شارتران : أكانت خالتك ماتيلد هى التى ردت بنفسها على التلفون ؟

آرنـــو : أجل ، ياجدتى . .

مدام شارتران : ولكن أأنت متأكد من أنهـــا سمعتك جيـــدا ؟ إن سمعها قد ضعف كثيرا ، وإن كانت لاتريد أن تعترف بذلك . هل بدت عليها الدهشة ؟

آرنـــو : لابصفـــة خاصـــة .

مدام شارتران : إذن ، فهى لم تفهم ماقلته لها . لابد من تذكيرها فها أنت ترى أننى سأحل على بيتها في الساعـــة الحادية عشرة مساء دون أن يكون هناك أى ـ استعداد لاستقبالى ! سيكون أمرا لطيفا .

آرنـــو : القلق يستولى عليك دون جدوى ، ياجدتى . أنا على يقين تماما من انها تنتظرك .

مدام شارتران : أنت على يقين ، أنت على يقين ! ماذا قالت بالضبط ؟

آرنـــو : لا أتذكر الكلمات طبق الأصل .

مدام شارتران : (ثائرة) ياصديقى الطبيب ، سأبقيك — أنت — معى . ان لك طريقة غريبة فى أداء المهام . . . (لا يتأثر آرنو بما تقول) إنك تجعلنى أغلى !

المنظر الثاني

نفس الأشخاص — اميديه

أميـــديه : حسن ، أراك وقد امتشقت أسلحتك ، يا أماه .

مدام شارتران : لم تفهم ماتيلد شيئا . وسأجدها نائمة ، والخادم أيضا . لن أجد مفرا من قضاء الليلة فى الفندق .

أميـــديه : طبعا لا يا والدتى ، طبعا لا ، إنك تعذبين نفسك بلا مبرر ، هذا شيء أنا مقتنع به . سوف تستقبلك خالتى ماتيلد بذراعين مفتوحتين .

مدام شارتران : (تضحك مستهزئة) بمرض التهاب أعصابها . .

والقول بأنه ينبغي تحمل شكاياتها من الصباح إلى المساء . . سيكون غريبا . .

أميـــديه : الجميع هنا يأسفون لما عقدت عليه عزمك مـــن تركنا . . أتوسل إليك يا أمي أن تعيدى النظـــر في قرارك .

مدام شارتران : لست ألعوبة .

أميـــديه : ومع ذلك . اعترف بأن تغيير الهواء قد يفيدك . والواقع أنني لست راضيا تمام الرضا عن صحتك.

مدام شارتران : ولهذا السبب تبعث بي إلى شارع ميرمونسيل ؟

أميـــديه : ليس من شك أن الأميرة « تيكى » ـ بالاضافة إلى ذلك ـ ستدعوك إلى فياريجيو كما فعلت في العام الماضى .

مدام شارتران : أشكرك . . إنها مدللة . . بلهاء . . ما حكاية هذه السيارة التى لم تصل بعد !

أميـــديه : لن تتأخر . (إلى آرنو) هل اتصلت تلفونيـــا بلاندرى ؟

مدام شارتران : أوه ! إن المرء لا يفهم ما يقول ، مع ذلك الهوس الذى أصابه بتمتمة الصلوات ، فَقَدَ عادة الكلام

في وضوح وتميز . وإذا فاتني القطار ، تكون المأساة قد تـمـّت فصولا .

أميـــديه : في هذه الحالة تعودين للمبيت هنا ، يا أماه . . ولن تكون هذه مصيبة كبيرة .

مدام شارتران : أبدا . أنا لست ممن يُلـْعَبُ بهم كالأتان (فترة صمت) ألن تتكرم ستللا بتوديعي ؟

آرنــو : أظن ، أنها نائمة يا جدتي .

مدام شارتران : مضطربة تماما . . سينتهي هذا كله أسوأ ختام .

آرنــو : أسمع صوت السيارة . أتحبين أن أرافقك إلى المحطة ؟

مدام شارتران : مطلقا . . .

أميـــديه : إنه أنا الذي سيضع جدتك في القطار . تعالى يا أمي الحقيبة على السلم . إني في دهشة من أن إيفيلين لم تأت لتوديعك ، يا أمـّاه .

مدام شارتران : أنت مندهش ؟ أما أنا ، فلا ، ثم إننا قد التقينـــا على العشاء ، وهذا أكثر من الكفاية .

(تخرج ، يتبعها أميديه وآرنو ، نسمع صوت رحيل السيارة ، يعود آرنو إلى الحجرة ، ويتناول كتابا ، ثم يجلس . تدخل إيفيلين في هدوء) .

المنظر الثالث

آرنو ــ ايفيلين

إيفيلين : هل رحلا ؟

آرنو : أجل ، حالا . يخيل إلىّ أنك سمعتهما. (صمت)

إيفيلين : (بصوت مرتجف) أأنت حانق على يا آرنو ؟ (حركة تملص من آرنو) وأخيرا أتلومنى ؟

آرنو : أعتقد أنه بالنيات الطيبة . . .

إيفيلين : هل أسأت اليها ؟

آرنو : أخشى ذلك .

إيفيلين : (محتدة) ومع ذلك ، لم يكن من حتى أن أدعها ترتكب حماقة .

آرنو : حماقة ؟ ماذا نعرف ؟

إيفيلين : أنت لم تفهم إذن انها لا تريد الزواج من ذلك الفتى الذى يبعث فيها الملل ، والذى ستمقته في الغد ــ إلا على سبيل اليأس والفرار من نفسها فحسب .

آرنــو : كم أنت على يقين . . . من كل شيء !

إيفيــلين : أى آرنو المسكين ، إنكلاتريد التسليم بأنالخبرة شيء صلب جدا ، بل إنها الشيء الوحيد الصلب .

آرنــو : أنت على صواب ، فانا أرفض التسليم بذلك

إيفيــلين : أظن ، انها على عكس ما تسميه بالايمان .

آرنــو : بل إنى أسميه بالأحرى الأصل ، ولكن ، أهمية لذلك .

إيفيــلين : وبالنسبة للآخرين ، ليس من حق المرء — في كل الحالات — أن يتساهل
أعنى في الخبرة .

آرنــو : الآن ، فهمت جيــدا . ولكن ، يبدو لى . . لاأدرى كيف أعبر عن نفسى . . يبدو لى أنك تحسبين نفسك — تطوعا — مسئوليته عن الآخرين

إيفيــلين : من الأيسر بكل تأكيد أن يتنصل المرء مــن

آرنــو : لست متأكدا من ذلك .

إيفيــلين : تروَّ في الأمر . .

آرنــو : ليس الصعب هو تحمل المسئولية ، بل وضعها في مكانها .

إيفيلين . لا أفهم شيئا . أما أنا ، فأعتقد أن الاغراء الذى يراودنا نحن البشر المساكين ، هو دائما الامتناع ، والتساهل . . .

آرنو : إنك تؤمنين بالفعل .

إيفيلين : بكل كيانى .

آرنو : لاشك أنك على حق ، ولكن ، أأنت واثقة من رؤيته حيث يكون ؟

إيفيلين : نحن هنا نتجادل . . .

آرنو : أوه ! كلا ياإيفيلين ، أنت مخطئة .

إيفيلين : هل تتحمل أنت مسئولية الموافقة على هذا الزواج ؟

المنظر الرابع

نفس الأشخاص ـ ماجي

ماجى : انتهزت فرصة خروج زوجك فأتيت لأقول لك كلمة يا إيفيلين . صباح الخير ، ياآرنو . (إلى إيفيلين) لقد انتظرتك حتى العشاء .

إيفيلين : معذرة ياماجى ، لم أتمكن من الذهاب إليك. فستللا ليست اليوم على مايرام إطلاقا .

ماجى : (في عدم اكتراث) ماذا بها ؟

إيفيلين : بل سأطلب منك أن تسمحى لى بلحظة : إذ ينبغى ان أرى اذا كانت تحتاج شيئا .

ماجى : ليس أمامى سوى بضع دقائق .

إيفيلين : سأعود حالا .

(تخرج)

المنظر الخامس

آرنو ـ ماجي

ماجى : يبدو أنك شديد الحزن .

آرنو : ليس بوجه خاص .

ماجى : هذا فظيع !

آرنو : كيف ؟

ماجى : هذه طريقة للاعتراف بأنه من المألوف . . . أوه ! أفهم من هذا أن الحياة هنا تخلو من البهجة. وكثيرا ماأتساءل : كيف استطاعت إيفيلين أن تتحملها . وفضلا عن ذلك . . . (تتوقف عن الكلام) وهذا أيضا لغز .

آرنــو : ولكن ألا ترين أننا نتطور هاهنا متحسسين طريقنا بين ألغاز . . لا أدرى . . وكأننا في حجرة مظلمة ، وسط أثاث لانميزه ، ونخشى أن نصطدم به .

ماجى : أبدا ، لا ، ليس لدىّ هذا الانطباع على الاطلاق . . وان كنت أجد أنه شيء لا يطاق .

آرنــو : لسنا مُخَيَّرين .

ماجى : سيان . ينبغي القول بأن أبي يتمتع بعقلية واضحة ، كما أنه مرب عظيم . ولا توجد الكلمات الــتى يمكن أن أعبر بها عن كل ما أنا مدينةٌ به إليه . ثم ، كل تلك المطالعات التى جعلنى أعكف عليها منذ أن كنتُ في الثانية عشرة . . .

آرنــو : والقلم في يدك ، على ما أظن .

ماجى : لن تصدق ما أقول . . فأنا لم أقرأ كتابا قــط يستحق العنــاء دون تدوين ملاحظاتى . أنا لا أتحدث إليك عن الروايات ، فأنا أمقتها . . وهذه صفة أخرى اشترك فيها مع أبى .

آرنــو : إن أذواقك جادة إلى أبعد حد .

ماجى : أكره الشعور بأنى أضيّع وقتى .

آرنــو : جميل جدا .

ماجى : كانت إيفيلين مثلى ، فيما مضى ، ومنذ أن تزوجت ، لست أدرى .. لقد لاحظت أن الزواج يصاحبه عندنا في أغلب الأحيان ، توقف في التطور .

آرنو : وعند الرجال ؟

ماجى : لا أدرى . (صمت) انك تستدرجنى إلى نقطة ليست لديك عنها أية فكرة .

آرنو : آسف .

ماجى : لماذا ؟

آرنو : لا بد أنه احساس بغيض ، ألا أستطيع . . . الاندراج في فئة . أليس كذلك ؟

ماجى : ليس ذلك فحسب ؛ كلا ، بكل تأكيد . . بل سأفضى اليك باعتراف يدهشك . . إننى كثيرا ما أفكر فيك ، أتعرف لماذا ؟ توجد بغرفتى نسخة من « الفارس » الموجود في متحف آنفرس كما تعلم ، وأنا أرى أنك تشبهه . أتفهم ماأعنيه؟

آرنو : كلا . فأنا لم أسافر كثيرا .

ماجى : يا لها من متع تلك التى تحرم نفسك منها !

آرنو : لست محبا للاستطلاع .

ماجى : هذا مالا أستطيع أن أفهمه . الحياة قصيرة كل القصر ! فكيف لا تشعر بالحاجة إلى .. لست أدرى ، أنا .. إلى جَمْع ...

آرنو : انطباعات جميلة ؟

ماجى : ذكريات جميلة يا آرنو ، هذا ما أريد !

آرنو : تلك الكنوز ، لن نحملها معنا .

ماجى : إلى أين ؟ ما أشد غرابتك ! إليك مثلا أبى ، خلال أمسيات الشتاء ، إنه يعيد قراءة دليل كل بلد زارها ، وهو يعيد النظر إلى البطاقات البريدية ، والصور التى التقطها لتلك الرحلات .

آرنو : هذا نوع من الجَرْد .. أما أنا ، فإن ذلك يفعمنى حزنا .

ماجى : أبدا ، بل إنه يشعل العاطفة . والحق ، أريد أن أقول لك ، إنك تعيش فيما يشبه الكهف .

آرنو : لا أعتقد أن هذا صحيح على الاطلاق يا ماجى . فاذا أصررت على أن أعقد مقارنة ، قلت بالأحرى إننى أعيش فوق عباب البحر .. أما أنت .. فإنك تؤثرين الأرض الثابتة .

ماجى : لم تدرك ما أعنيه يا آرنو ، إننى أعبد الرحلات البحرية .

المنظر السادس

نفس الأشخاص ـ مدام دي بويجرلان

مدام دى بويجرلان : مساء الخير ياآرنو . . يا آنسة . . أليس آلان هنا ؟

آرنـــو : كلا ، ياسيدتى ، إننا لم نره منذ بداية هـــذا العصر .

مدام دى بويجرلان : لقد أردت أن اتصل بكم تليفونيا ، ولكننى لم أنجح في الاتصال .

آرنـــو : كان علىّ أن أتحدث طويلا بالتلفون مع باريس من أجل جدّتى ، التى غادرتنا منذ لحظـــة . . .

مدام دى بويجرلان : هكذا فجأة ، على غير انتظار ؟

آرنـــو : أجل .

ماجى : (تنهض) لن تعود إيفيلين إلى النزول ، أرجو أن تحمل إليها تحياتى وآمل ألا تزداد صحة أختك سوءاً .

مدام دى بويجرلان : ستللا ؟ . .

آرنـــو : كانت قد استيقضت لحظة عصر هذا اليوم ، ولكنها لم تشعر بأنها على مايرام ، فعادت إلى الرقاد من جديد .

ماجى : إلى اللقاء ، ياآرنو ، كلا ، إنى ارفض ـ بكل تأكيد ـ أن اجدك بحارا ، مهمـا كانـت الظروف .

(يرافقها آرنو حتى الباب)

المنظر السابع

آرنو ـ مدام دي بويجرلان

مدام دى بويجرلان : آرنو ، انى أتعذب ، ولن تستطيع أن تعرف إلى أى مدى .

آرنـــو : لاأعتقد أن هناك مايدعو لذلك ، وهذا ماأؤكده لك . فانت تعرفين جيدا أن آلان كان مغرمـا دائما بتلك الجولات الطويلة المنفردة .

مدام دى بويجرلان : ولكنه يتعب الآن أسرع من الماضى . . وقـد أحسست طيلة تلك الأيام الأخيرة ، بأنه في أشد حالات التوتر والقلق . . . وقد قلت انه حضر:

في بداية العصر ، ولكنه لم ير ستللا ، عــلى ما أظن ؟

آرنــو : كلا ، ولكنى أعرف أنه تحدث مع والدى ومع إيفيلين .

مدام دى بويجرلان : وهل والدك هنا ؟

آرنــو : لقد رافق جدتى إلى المحطة ، ولكنى اعتقد أنه لن يتأخر في العودة . وستنزل إيفيلين حالا .

مدام دى بويجرلان : وأنت ياآرنو ، ألم تر آلان ؟

آرنــو : كلا .

مدام دى بويجرلان : ألاتعرف إذا كان . . . ؟
(لاتكمل جملتها)

آرنــو : هاهى إيفيلين .

المنظر الثامن

نفس الأشخاص ـ ايفيلين

إيفيــلين : هل رحلت ماجى ؟ (إلى مدام دى بويجرلان) مساء الخير ، ياسيدتى .

آرنــو : كلفتنى ماجى بأن اخبرك بأنها لم تستطع انتظارك .

إيفلين : يا لها من مخلوقة غريبة الاطوار.

مدام دى بويجرلان : أعتذر عن مجيئى في هذه الساعة غير المناسبـة ، غير أن آلان لم يعد ، فراودنى أمل غامض — بأننى قد اجده هنا . يقول لى آرنو انك رأيتـه بعد ظهر اليوم .

إيفيـلين : هذا صحيح .

مدام دى بويجرلان : هل لى أن اسألك عما إذا كان قد بدا لك .. مشغولا بوجـه خاص ؟ (تتردد إيفيلين) ، أرجوك ياسيدتى ، لاتخفى عنى شيئا .

إيفيـلين : من المؤكد أنه كان منفعلا جدا . ولكنك — تعلمين بلا شك أنه قد كتب رسالة إلى ستللا بعد محادثتنا . . .

مدام دى بويجرلان : لقد اتصلت بى تلفونيا : وكانت تريد أن تتحدث إليه عن ذلك الخطاب دون شك . فأجبت عليها بأنه غائب ، وهنا قالت لى إنها ستأتى لتقبيلى في آخر النهار ، ولكنها لم تأت . وعلى كل حال ، وأيا كانت المشاعر التى أوحى بها خطاب آلان إليها ، فانه لن يعرف عنها شيئا مادام لم يتم بينهما اليوم اتصال .

إيفيـلين : ليس من شك أن . . .

مدام دي بويجرلان : ان مايهمني اذن ، هو أن أعرف بالضبط في أى حالة كان عقب تلك المحادثــة . . .

إيفيــلين : منفعلا جدا ، هذا ماأعيده عليك ، على أن نوع الانفعال . . . . غير المعقول الذى كان فريسة له ، لم يمنعه من كتابة تلك الرسالة التى لايمكن إلا أن تكون طلبا للزواج .

مدام دي بويجرلان : وبعد ؟ ماهي النتيجة التى تخرجين بها من هــذا كله ؟

إيفيــلين : انه لم يقرر العودة لأنه ينتظر عند عودته الــرد الذى سيحدد مصيره نهائيا . . أجل ، إنه يؤجل اللحظة الفاصلة .

آرنــو : هذا محتمل جدا .

مدام دي بويجرلان : أنت ياآرنو ، أكنت تتصرف على هذا النحو ؟

آرنــو : إن كل منا ــ آلان وأنا ــ طبيعتين مختلفتين أشد الاختلاف .

مدام دي بويجرلان : ألديك من الأسباب مايدفعك إلى التفكير في أن ستللا قد ردت عليه ؟

آرنــو : أنا على يقين من أنها لم تفعل .

مدام دى بويجرلان : ألا أستطيع أن أراها ؟

لى إيفيلين : أطلب إليك بالحاح أن تنتظرى يوما أو يومين . إن حالتها تزعجنى .

مدام دى بويجرلان : حالتها الجسمية أم المعنوية ؟

إيفيلين : يستحيل التمييز بينهما . (صمت)

مدام دى بويجرلان : آرنو . . . ألك . . . شىء من التأثير على آلان ؟

آرنو : كلا ، للأسف ، ليس لى أدنى تأثير .

مدام دى بويجرلان : أنت تعلم أنه كان طفلا شديد الورع ، ثم ، لست أدرى .
فأساتذة الليسيه ، والزملاء والمطالعات . . منذ عامين حسبت أننى ألاحظ عليه عودة إلى حماس الصبا . وتمكنت من إرساله إلى الأب فوريه للتحدث إليه مرتين أو ثلاث مرات ، ولكننى أخشى ألايكون الأب قد نجح في توجيهه . بل يبدو أنه ثبط همته .
أما أنت ، ياصغيرى آرنو ، فلدى الشعور دائما بأنك لو تعهدته . . .

إيفيلين : يالها من كلمة فظيعة !

مدام دي بويجرلان : فقد تحصل منه على وعد بمواصلة أداء الشعائر بانتظام ، إنه لم يكن يريد الاشتراك في طقوس عيد الفصح . فاذا قبل التناول ، فقد تتخلى عنه بعض الأفكار الشنيعة .

آرنــو : تقصدين . . فكرة الانتحار .

مدام دي بويجرلان : (بصوت خفيض) أجل .

إيفيــلين : أعتقد أنه لاينبغي عليك اطلاقا أن تأخذى تهديداته مأخذ الجد ، فلدى انطباع واضح بأنه يتلاعب بها .

مدام دي بويجرلان : (بصوت مرتجف) وحتى لو كنت على صواب فليس من الخير أن تتحدثى على النحو الذى تتحدثين به . .

إيفيــلين : يبدو لى الأمر على عكس ذلك . . .

مدام د بويجرلان : كلا ، كلا ، ومع ذلك فلست مندهشة . . لأن هذا التلاعب ــ كما تقولين يمكن أن يصبح مع طول الوقت شيئا قاتلا .

آرنــو : سألت نفسى في بعض الأحيان ، أليس من واجبك أن تصحبيه بعيدا جدا . فتقومى معه برحلة طويلة ، إلى مصر ، والهند . . .

مدام د بويجرلان : على هذا ، فأنت تكاد تكون على يقين من أن ستللا سترفض .

آرنـــو : على العكس ، فقد رأيتها بعد ظهر اليوم عازمة على الزواج منه . غير أن ستللا ليست في حالتها الطبيعية ، كما قالت لك إيفيلين ، فهى نفسها لاتعرف ماتريد . وينبغى — على ماأعتقد — أن نترك لها وقتا تستجمع فيه شتات نفسها .

مدام دى بويجرلان : انت لاتحسب حسابا للظروف ، ياآرنو ، انت تفكر في المجرد .
وهذه الرحلة التى تزكيها ، ستكون عقوبة — بالنسبة إليه . إنه لايكاد يستطيع احتمالى ، فى معظم الأحيان يتناول كل منا طعامه بمفرده .
وانى لأحسب هذا تكفيرا عن ماض ثقيل جدا .
فمنذ وفاة زوجى ، تعلم جيدا ، انى قد كرست له حياتى ، ولم أكن أعرف كيف أخفى عنـــه ذلك ، وهذا أمر لم يغفره لى .
قرأت كتبا لهؤلاء النفسانيين . . أولئك المحللين النفسيين الذين يتحدثون عنهم كثيرا في هـــذه الأيام . بيد أن الحياة أكثر تعقيدا مما يظنون ،

بل أكثر فظاعة . وربما كان آلان يشعر نحوى
بذلك النوع من العاطفة . . هذا ممكن جدا ،
وربما كان هذا هو سبب بقائه طاهرا فترة أطول
من سواه . أوه ! إننى واضحة جدا . . واضحة إلى
أبعد حد . . . ولكنه — أضمر لى حقدا عميقا ،
ربما لم يشعر به هو نفسه، كل ما يعرفه هو أننى
أزعجه . . . وليس هذاذنبى ، كما أنه ليس ذنبه
وكثيرا ما فكرت . .أجل ، لقد تحدثت عن
هذا إلى قساوسة ، ولكنهم لم يفهموا ، ولـــم
يريدوا . . . وكأن العذاب الانسانى لاحق له في
أن يتجاوز حدودا معينة . وحين يصل إلىماوراء
تلك الحدود ، فانه يتمخض عن نفس النتائج
التى تنجم عن ذنب كبير . ولهذا فانه . . —
يعاقب . ولو أننى تَعَزّيتُ في يسر عن وفاة
زوجى ، لكانت هناك اهتمامات أخرى في
حياتى ، وماكنت أثقل على ابنى آلان المسكين .
والآن . . . (تمسك عن الكلام ، وقد أصابها
الاعياء)

آرنـــو : (في ألم عميق) ألم يفهموا ؟

مدام دى بويجرلان : تعنى القساوسة ؟ كلا ، فهذا مناقض أشـــد

التناقض لتعاليمهم . . أوه ! إنهم على حق بكل تأكيد ، وأنا التي أسيء التفكير .

آرنـــو : كلا ، ولكن ، لعلك لاتتجهين مباشرة إلى الأعماق . وهذا العذاب الذى تتحدثين عنه ، والذى يصل إلى وراء ماتسمح به الطبيعة . . . لاأتصور انه خطيئة ، بل امتياز شديد الوطأة ، وينبغي أن يصاحبه شيء من الزهد . وإلا كان محاباة للذات . . محاباة غير مشروعة .. هدامة .. لا بالنسبة للذات وحدها ، بل على الأخص ، بالنسبة للآخرين .

مدام دى بويجرلان : (في عمق) لاريب أن هذه هى الحقيقة . شكرا ، ياآرنو . —

إيفيـــلين : (التي لم تستطع مداراة شيء من التوتر) أطلب منك – ياسيدتي – أن تفكرى في ستللا ، فهى التي ينبغى أن تشغلنا بوجه خاص في هذه اللحظة. وحين صعدت إليها منذ لحظات ، وجدتهـــا محمومة ، بل تكاد تهذى . فاذا كان آلان – وهذا ماأخشاه – قد ضغط عليها في ذلك الخطاب الذى لاندرى محتواه – بهذا الابتزاز . . .

مدام دی بویجرلان : أرجو أن تسحبي هذه الكلمة .

إيفيـــلين : إنها للأسف الكلمة الوحيدة المناسبة .

آرنـــو : إيفيلين ، أنت مخطئة ، تذكرى . . .

إيفيـــلين : (إلى مدام دى بويجرلان) إن من واجبنا الصارم — أنت وأنا — أن نحمى ستللا ضد هذا الاستغلال إنه لاشعورى ، ولذلك السبب فهو خطير . والواقع أن ستللا لو كتبت إليه في هذا الوضع الراهن للأشياء — فان من واجبك إخفاء خطابها.

مدام دی بویجرلان : هذا جنون .

إيفيـــلين : إنك لاتريدين أن تنظرى إلى الحقيقة وجها لوجه.

مدام دی بویجرلان : وأنت نفسك ، أأنت واثقة إلى هذا الحد ؟. . .

إيفيـــلين : انها لم تخفنى قط .

مدام دی بویجرلان : ولكن هل . . (بلهجة مختلفة) تحدث أميديــه أيضا مع آلان ؟

إيفيـــلين : بضع دقائق .

مدام دی بویجرلان : وهل يشاطرك . . هواجسك ؟

إيفيـــلين : أنت تعرفين أميديه : إن له منظوره الخاص به .

مدام دى بويجرلان : ماذا تقصدين بهذا ؟

إيفيلين : تعلمين مثلى أنه لم يشعر قط بشعور الآخرين .

مدام دى بويجرلان : لقد لاحظت أنك لم تجيبى علىّ . آرنو . . .

آرنو : إن أبى يحب الآن كثيرا .

إيفيلين : أنت تعرفه تمام المعرفة ، فلا قيمة للانسان في نظر أبيك إلا بصورته هو نفسه التى يتأملها في قاع عينيه . ولكى تكون هذه الصورة متملقة قليلا . . .

مدام دى بويجرلان : (في خشونة متزايدة) ومن المفهوم أنك — تحكمين على نفسك بأنك منزهة تماما عن هذا ... الضعف ؟

إيفيلين : كيف ؟

مدام دى بويجرلان : ومع ذلك ، فالنفور الفظيع الذى يثيره في نفسك. لا تنكرينه . . يأتى طبعا من أنك لم تجدى في — عينىّ أنا . . انعكاسا يرضيك .

إيفيلين : أنت صديقة أميديه ، وأعرف انك لم تهتمى اطلاقا بأن تكونى صديقتى . وإنى لأذكر جيدا زيارتى الأولى لك في شارع « كورسل » . .

آرنـــو : إيفيـــلين ، كيف لاتشعرين بأن هذا كله .. أكثر من مؤلم ؟

مدام دى بويجرلان : الحقيقة هى أنك منذ اليوم الأول شعرت بأن فى نظرتى سؤالا لايعجبك .

إيفيـــلين : أى سؤال ؟

مدام دى بويجرلان : أمن الضرورى حقا أن أوضحه ؟

إيفيـــلين : أى ســـؤال ؟

آرنـــو : أرجوك ياسيدتى ، ألا تعجينى . كونى من الخير بحيث لاتجيبين .

مدام دى بويجرلان : أظن أننا لانستطيع الاتصال تلفونيا ؟

آرنـــو : لقد تجاوزت الساعة التاسعة .

مدام دى بويجرلان : سأعود ، فربما كان الآن فى طريق عودته .

آرنـــو : هذا محتمل . . . وسأتصل بك تلفونيا صباح غد لكى أتأكد من أن كل شىء على مايرام . . غير أننى لست قلقا .

مدام دى بويجرلان : شكرا ، ياصغيرى آرنو . إنك طيب .

آرنـــو : الواقع ، أننى أستطيع أن أرافقك .

مدام دى بويجرلان : كلا ، فان معى سيارتى . ولاجدوى من ذلك على الاطلاق .

(تخرج مع آرنو ، الذى يعود بعد لحظة)

المنظر التاسع

ايفيلين ـ آرنو

إيفيلين : (في غلظة) امقت ان أراك في دور الملاك . (صمت) أتنضم إلى صفها ضدى ؟

آرنو : إنى أكن لها إعزازا كبيرا .

إيفيلين : لقد لاحظتُ ذلك .

آرنو : وأنت تعلمين ـ أنت نفسك ـ أنك ظالمة .

إيفيلين : لقد أحسست دائما بأن لديها نوعا من التحيز .

آرنو : كلا ، ياإيفيلين ، لا أعتقد ذلك . إنها لم تكن تبغى سوى الترحيب بك .

إيفيلين : الترحيب ! يالكلماتك ! . .

آرنو : كل مافي الأمر ، أن هناك شيئا لاتستطيع تفسيره ولما كانت في غاية الاستقامة . .

إيفيلين : انها تتمتع بكل الصفات الحميدة .

آرنـــو : كلا ، بالطبع ، إن لها فضائل عظيمة ، وضعفا عميقا ، ولكنها تقيم بينهما شيئا مـــن التوازن.

إيفيـــلين : وهذا السؤال الذى توسلت إليها ألاتوجهه إلى، أنت نفسك أنت . . .

آرنـــو : لقد أردت زمنا طويلا ان احول عنه فكرى . وهذا لم يعد اليوم ممكنا ، إيفيلين ، اعتقـــد أنه لم يعد لنا الحق في ذلك على الاطلاق .

إيفيـــلين : نحن .

آرنـــو : أنت وأنا .

إيفيـــلين : أتريد ان تتحدث عما حدث في الآنجادين ؟

آرنـــو : (في رفق) عن زواجك ، بكل بساطة . . كانت هناك انسانة مجهولة تثقل على وجودنا . ومادمت لم تلق ضوءاً على هذه المجهولة ، فان حبك لستللا لايمكن إلا أن يتحول ضدها .

إيفيـــلين : أنا لاأفهم شيئا على الاطلاق .

آرنـــو : وأنا لست متأكدا من فهمه ، ولكننى أراه .

إيفيـــلين : إنى احسدك على توكيداتك .

آرنــو : كلا ، ياإيفيلين ، الناس لاتستطيع أن تحسد إلا الممتلكات ، وأنا لاأملك شيئا . إن إملاقى تام ، وأنا نفسى ، حين أتأمله ، أشعر أحيانا بحزن لااسم له . مما يدل على . . .

إيفيلــين : على ماذا ؟

آرنــو : على أنه لاوجود لشيء نملك حق النظر إليه .

إيفيــلين : وددتّ لو كنت مكانك .

آرنــو : وهذا أيضا وهم . وذلك لأنك تتصورين شيئا لاوجود له ، أو لانستطيع في نهاية الأمر أن نتخيله أبدا . . (برهة) ألا تريدين تفسير ذلك لى ؟ أؤكد لك أنه ليس حب الاستطلاع ، وإنما هو ضرب من القلق ، وإن لم يكن قلقــا شخصيا على الاطلاق بل هو قلق عليك .

إيفيــلين : (على مهل ، وبصوت مكتوم) لن تستطيع ان تدرك تلك الاسابيع من التمرد التى اجتزتها حين وصلت إلى « سيلقابلانا » . فكثيرا ماقلت لكم ذلك ، إننى كدت أعتقد العزم على الافتراق عن أبى ، والرحيل إلى فيينا . . ولم أكن أدرى لماذا كانت فيينا تجتذبنى ، وتخيفنى في الوقــت

نفسه . قلت لنفسى ، سأضيع فيها ، سأضيع فيها ... وأخذت أردد ذلك بنوع من الرضا المنقبض اليائس . وخيل إلى أنني لم أحب أحدا ، وانني قد نَفَدْتُ عبر كل العواطف . . وطبيعى ، كان هناك ذلك الحب اليائس لذلك الطبيب . . . ولم تبق لى منه سوى المرارة . . رماد أتمرغ فيه ، كما يتمرغ المرء في الرمال . . وعندما رأيتكما انتما الاثنين . . . ولن أنسى أبدا ذلك اليوم في آخر شهر يوليو ، عندما التقينا بالقرب من بحيرة تشيبا ، وأنت تتذكر تلك العودة — الطويلة . . وكأنما كان قلبي يبدأ الحياة من جديد . . . كانت تستبد بى رغبة في الضحك والبكاء . . لست أدرى . لقد دخلتما — انتما الاثنان في حياتى . كما لو أنكما دخلتما حجرة حزينة ، ففتحتما مصاريعها ، ونوافذها ، وحينذاك اقتحمتها الشمس .

آرنــو : ولكن ، ياإيفيلين . . .

إيفيــلين : ولم تتحدثا إلىّ عن أبيكما على الفور أو على الأقل لم تصفاه لى . فكونت عنه فكرة مبهمة ، مبهمة نوعاما ، ولكنها كانت تعجبنى ، أو على

الأقل . . . ثم كان محوطا بجو . . لاأدرى كيف أعبر عنه . . . بنوع من الأبهة الروحية . . أوه ! إننى أمقت هذا الآن ، ولكن ، لماذا لاأعترف بأننى خدعت بها في أول الأمر ؟ — وسرعان ماأدركت أن فكرة خطرت على بالك وعلى بال ستللا ، وعلى بالى أنما ، وأنها استقرت فيكما . لقد تبينتمانى ، وكنتما ترغبان فيّ . وأحسست بأننى محتفى بها . أجل ، إنه هذا ، وكأننى قد ألقيت مرساتى ، وفي خلال تلك الاسابيع عشت تحت سيطرة ثابتة هى ألا أخيب ظنكما . ومن أجل هذا ، كان لابد أن . . . أعجبه ، والطريقة الوحيدة هى ألا انظر إليه — كثيرا ، وألا أدع حقيقة محيرة أتوقع حدوثها تنفذ تماما إلى نفسى . وهذا اشبه بحالتنا حين نبتعد لكيلا نتنفس رائحة معينة . غير أن هذه مقارنة لم تخطر على بالى إلا الآن . . . (صمت . آرنو يثقل عليها) أتراك تحكم عليّ ؟

آرنـــو : وإنما أحاول الفهم ، وأن أتذكر جيدا . . .

إيفيـــلين : في بعض المراحل الحاسمة ، يبدو وكأننـــا نسير في مسالك ضيقة تبعث على الدوار : فلا نتقدم إلا بفضل الغريزة ، وبشرط أن ننظر ... من هنا ، لامن هناك . . وعلى الأخص ،لامن هناك . . . ثم ، إنى أكذب على نفسى لو لم اعترف إلى نفسى أن الوان رعايته لى قد تملقتنى . . أجل ، وأرضت غرورى . فحتى الآن ، لم أكن قد اجتذبت إلا انتباه أشخاص عاديـــين أو أشخاص يبدون لى تافهين ، أصدقاء أبى ، وهم يبعثون على اشد الملل ، فنيون في أغلـــب الأحيان . أما والدك فانه يتمتع في نظرى بنوع من . . هذا مؤسف ، ولكنها الحقيقـــة . وبسببكما ، ولأنى كنت أحبكما ، لم أشأ أن افقد الثقة في نفسى . ها أنت ترى ياآرنو ، أننى لم أكن أفكر في تدبير أمورى .

آرنـــو : ولكنه هو . . هل حدث لك . . مرة واحدة . . أن فكرت فيه ؟

(صمت)

إيفيـــلين : (بصوت خافت) لاأدرى .

آرنـــو : ألاترين أن ذلك . . أمر مخيف ؟ . . لقد — أعلنت منذ لحظة آنه لايشعر بشعور الآخرين . . . فهل من حقك أنت أن توجهى إليه هذا الاتهام ؟

إيفيـــلين : (في حدة) أتوسل إليك ياآرنو ، ألا تكون على صواب بهذا الشكل الرهيب ، إذا لاأشعر بأنى اتحدث إلى كائن بشرى . . . إننى أحاول توضيح نفسى .

إنك تدرك ، كم هو مشغول بنفسه ، كما لو كان يبيح لك أن تضع نفسك مكانه .

آرنـــو : أجادة أنت فيما تقولين ؟

إيفيـــلين : (وقد أرهبتها لهجته) ، أجل ، على مايبدو لى.

آرنـــو : مشغول بنفسه . . ألم يخطر ببالك قط أن هـــذه سمة شخص هش جدا ، أعزل جدا ، نهم جدا أيضا ، وأشد مايكون تعاسة . . .

إيفيـــلين : لاأعتقد أن والدك قادر على الألم — على ماأسميه أنا بالألم .

آرنـــو : ماتسمينه أنت . . لابد لك من آلام مدموغة ، ياإيفيلين . . ثمة آلام أخرى ، كما توجد أمراض لم يعرف لها اسم بعد ، ولكنها ليست أقل فظاعة

أما أنا ، فأعتقد أن أبى رجل شقى إلى أبعد حد ، وأن شقاءه ليزداد بقدر ماتقل معرفته به . وذلك النوع من الظمأ المبهم الذى يلتهمه ، هو نفسه لايعرف عنه شيئا — والسبب هو أنه التهمه فلم يبق منه شيئا .

إيفيلين : لست أدري ، إنها نظرة من نظرات الروح .

آرنو : إنه يقين . . فلوأنك حاولت . . أن تفكى رموزه ، مستخدمة هذا الحاجز . . ولكن ، ربما كان الوقت متأخرا جدا .

إيفيلين : لاأرى شيئا في سلوكك تجاه أبيك قد كشف عن هذا الاعتقاد . المدهش . فأنت معه ، تبدى الاحترام ، وإن كنت متباعدا جدا . وخلاصة القول ، انك تعامله معاملة الغريب .

آرنو : أتعتقدين أنى لاأرى نفسى مذنبا حياله ؟ انه بالنسبة لى اشبه بجزيرة. لم أجد بعد وسيلة للوصول إليها . وإنى لأصلى كل يوم لبلوغها . . ثم — إنى — ياإيفيلين — مهما بدا ذلك غريبا جدا — لم أدرك شقاءه إلا في هذه اللحظة ، وبعد احتكاكى بك . . والشىء الغريب جدا هو أنك

لمحت شقاء ستللا ، ولكنك لم تكتشفى شقاءه هو ، مع أنهما متشابهان . . ولاينفصلان . وهناك بعيدا ، أبعد قليلا ، وراء هما ، ثمة شقاء آخر ، ضحية أخرى .

إيفيـــلين : أجل ، أعرف من تقصده .

آرنـــو : ولكننى — ياإيفيلين — أستميحك عذرا ، إن بدوتُ لك قاسيا جدا . . إذ يخيل إلىّ ، أنه لايحق لنا استغلال أولئك الغائبين ، وتقييدهم . . إن أمى ، ياإيفيلين . . . تلك الفعلة اليائسة التى اندفعت إليها ، كما نندفع إلى الموت . . .

إيفيـــلين : وبعـــد ؟

آرنـــو : طالما تساءلت : ألايمكن أن يكون أبى هوالذى أوحى إليها — في الواقع — بهذه الفكرة ؟

إيفيـــلين : ماذا تعنى ؟

آرنـــو : لأنه كان يتوقع ببساطة أن تقوم بها ، لأنه كان في حاجة إليها . . أتفهمين ؟ وكأنما كان لابد من وقوع حادث ليبرر في نظره الشفقة التى يشعر بها نحو نفسه . . وربما كان أولئك الذين نسميهم

مجرمين ، ليسوا في بعض الأحيان سوى . .
مفتونين . —
ولكن هـــذه الجريمـــة المستعارة التى لم تستطع التعرف على نفسها . . أعتقد أنها قد عزلتها عن نفسها . وهكذا ، اضطرب عقلها . . وضاعت حقا .

إيفيـــلين : من أين تأتيك هذه الأنوار ؟

آرنـــو : لن نعرف أبدا ذلك الجانب من الموت . وكونى على يقين من أنها ماكانت هى نفسها تستطيع التفسير — ولاهو أيضا . . أما انا ، فقد عاهدت نفسى منذ أمد بعيد ، على التسليم بهذا الجهل .

إيفيـــلين : بينك وبين نفسك ؟

آرنـــو : كلا . . وانما هو ميثاق وقعته .

إيفيـــلين : مع مَنْ ؟

آرنـــو : لاأشعر بالحاجة إلى التصريح باسم . . . شريكى ، كل ما أعلمه هو أنه حضور . . ليس حضورا انسانيا ، شخصاً لا أستطيع الحديث عنه ، ولكننى — بالنسبة إليه — « أنت » . إنـــه موجود . . وهو ساهر . . .

إيفيـــلين : عليك ؟

آرنـــو : من أجلى ، من أجلنا .

إيفيـــلين : هذا شيء لاسبيل إلى تصوره . ياله من سراب داخلى ذلك الذى تشيد عليه وجودك ! (آرنو لايبدى احتجاجا .) آرنو !

آرنـــو : عفوا . ماكان ينبغى على أن . . .

إيفيـــلين : كيف أستطيع أن أتعرف على نفسى داخل هذا التشابك المعقد الذى لاسبيل إلى الخلاص منه ؟ فتارة تصدر عنك . . لاأدرى . . سلطة تستعبدنى وتارة أخري يخيل إلى أننى أنصت إلى طفل معتوه. أيوجد فيك نسيج قديس أم لاتعدو أن تكو ن صاحب رؤيا ؟ أنا وحيدة ، انا ضائعة . (آرنو لاينطق بشيء ،ونشعر انهمستغرق في صلاة صامتة .) كم الساعة ؟ كيف لم يعد والدك حتي الآن ؟ . . . لكأننا خارج الحياة . فلا نسمع ركزا . . . ألن تتركنى أقترب منـــك ؟ لكى اتكلم لغتك التى لن تكون لغتى أبدا ، ياآرنو ربما . . . أجل ، ربما اخطأت على سبيل الكبرياء انظر ، انني أوافق على ذلك ، ولا أتشدد . إن

الطريق الذى سلكته حتى الآن لم يؤد بى إلى أى مكان . أحب أن اغير طريقى . ومادمت تتمتع بأنوار حرمت على ، فلماذا لاتقبل ارشادى ؟ سأكون طيعة . . متواضعة ، أؤكد لك . وربما تعلمت أن أكون أكثر إنصافا له — مادمت تعتقد أننى غدرت به . وإنى لعلى يقين فى هذه اللحظة من أنك على صواب . وكان ينبغى . . . كان ينبغى . . . (تنحنى نحوه . فى قلق .) آرنو ، لماذا لاترد علىّ ؟ لكأنك تشعر بخوف لاتريد أن تصارحنى به .

آرنــو : أنت مخطئة ياإيفيلين ، لاأشعر بأدنى خوف . . .
(تبقى الجملة معلقة)

إيفيــلين : لماذا أشعر بأنك لاتفضى إلىّ بكل ماتفكر فيه ؟

آرنــو : (بصوت متردد) ثمة قرار خطير استقر عليه عزمى منذ مدة . . . أو بالأحــرى . . كلا . ، لست أنا الذى اتخذته ، بل أشير به... علىّ . وأطلب منك أن توافقى عليه — ياإيفيلين . . . حتى لو أدهشك ، كما أخشى...

إيفيــلين : (فى اعياء) آه !

ارنـــو : سأدخل في سلك الرهبان خلال بضعة أسابيع .

إيفيـــلين : (في شبه صرخة يائسة) ليس من حقك .. كيف تريد أن ... ؟ (تشعر بنظرة آرنـــو عليها ، فتقول بصوت متلعثم) ينبغي أن — تتزوج ، ياآرنو ، وأن يكون لك أطفال .. ليس هذا ممكنا ... هذا ضلال .. سأمـــوت لوحـــدث ..

آرنـــو : (في رقة عميقة) تموتين ، ياإيفيلين ..— أتعرفين حقا مامعنى أن يموت المرء ؟

إيفيـــلين : (في شيء من الحدة المركزّة) سأموت لوحدث ذلك .

آرنـــو : أما أنا ، فمنذ أن استمعت إلى هذا الحكم ، يخيل إلى أنني استشف ماهو كائن .. وماسيكون. فبالموت ننفتح على ماعشنا من أجله على الأرض . هأنذا أقدم إليك الفكرة التي استمد منها غذائي.

إيفيـــلين : أنت لاتقدم لي سوى كلمات .

آرنـــو : إيفيلين ، ألم تسألى نفسك قط علام تعيشين ؟

إيفيـــلين : (في مرارة) —إنني كالآخرين ، لاعليك ،

لن أصمد إلا بشرط ألا تطلب مني ذلك . . .
(في صوت مختنق .) لقد حطمتني .

آرنـــو : بل أعتقد بالأحرى أنني انتزعت منك شيئا كان يمكن أن يخنقنا . (صمت)

المنظر العاشر

نفس الأشخاص ـ اميديه

إيفيـــلين : يالها من عودة متأخرة الا بد أننا في ساعة غير مناسبة.

أميـــديه : لقد تأخر القطار عن موعده ، ياإيفيلين . يالها من ليلة رائعة ـ نادراً مانفيد من تلك الليـــالى القمرية الساطعة ، المثيرة للأشجان ـ لقد عدت سائرا على قدمى . وأنت تعلمين أنني أسير بخطى واسعة ، مستغرقا في خواطرى . بيد أن ـ المصادفة شاءت ـ وأنت تقول بالأحرى العناية الالهية ياصغيرى آرنو ، وفي واقع الأمر لاتجانب الصواب ـ أن ألمح شيئا منحنيا على حافة مستنقع . .ولم أتعرف عليه لأول وهلة .
وخضوعا لدافع لاأدرى كنهه ، انحرفت عـــن الطريق ، واقتربت منه ، وكم كانت دهشتى

حين تبينت أن هــذا الحالم الخائر لم يكن سوى آلان . . إيه ، أجل ، آلان ! فوضعت يدى برفق على كتفه ، فالتفت ، ولن أنسى ماحييت تعبير الفزع ، والدهشة الحانقة الذى طالعتــه حينذاك في عينيه .

إيفيــلين : الحانقــة ؟

أميــديه : ذلك لأنى قطعت عليه خلوة لذيذة . . ولكنها قلقة . . أيضا .

إيفيــلين : كان يتجول نائما .

أميــديه : لم يكن يتجول نائما ياإيفيلين ، لاأحب كثيرا هذا الاستهزاء .. بل كان مستسلما لذلك النوع من السحر الخلاب الذى يصدر عن المياه الغافية . لست أدرى إن كنت تذكرين تلك الأغنية — السحرية ، ذلك اللحن لموسورسكى — عــلى ما أعتقد — الذى كانت تغنيه مارى — استيل فما مضى بصوت أخاذ . . .

آرنــو : ولكنك لاتريد ياأبى — أن تقول مع ذلك . . .

أميــديه : بلى ، بالضبط ، ولو تأخرت بضع دقائق ،

لانزلق هذا الطفل الحزين المسحور إلى الموت . .
وقد اقتنع هو نفسه بذلك ، فبعد أن انتزعته من هذا الخدر الخبيث ، وعنفته ببعض الألفاظ الودية . وإن تكن على شيءمن الفظاظة ، سألته في غاية من الحنان عما ينتظره في ذلك المكان ، وتلك الساعة ، عند المستنقع المسحور . ولست أذكر الكلمات التى استخدمها بالذات ، فقد كنت في حالة من التأثر السلبي ، وهذا شيء لاأنكره . وقد قال لى شيئا قريبا من هذا الكلام وهو أنني حاولت التوافق مع الأشياء توافقـا دقيقا لكي أصبح — أنا نفسي — في نهاية الأمر دون ندم أو احتجاج . . . شيئا . وقد عنفته — كما تتوقعون — وصورت له الألم المريع الذى تسببه هذه الفعلة لأمه العظيمة وهو يعلم أنـه بالنسبة إليها كل حياتها . . وأنصت إلىّ صامتا ، دون أن يبدو عليه الفهم ، وكأن نصفا منه مابرح هناك بين اعواد المستنقع ، على حين كان النصف الآخر يتبعني كأنه انسان آلى . ولم أتوقف طبعا إلا بعد أن وضعته بين يدى أمه المسكينة التى كانت تبكي من الجزع عليه . ومازلت احتفظ في أذنىّ بتلك الصرخة التى تكاد تكون لا إنسانية —

التى اطلقتها حين رأتنا نظهر في ذلك المخدع الأنيق حيث لبِثَتْ منذ ساعات طويلة تترقب عودة الابن الضال . .

إيفيلين : منذ بضعة دقائق ، على الأكثر ، لقد أمضت هنا شطرا من السهرة .

آرنو : لاأهمية لذلك ، ياإيفيلين .

إيفيلين : إنى أمقت المبالغة .

أميديه : وأعددّت له أمام عينى إبريقا صينيا للشاى المغلى ، سكبت فيه ملعقتين أو ثلاثا من الروم المركز ، وكنت مضطرا — رغم أن جسمى يحرم على ذلك — أن أقبل فنجانا مليئا من هذا الشراب المقوى . فلن يغمض لى جفن هذه الليلة ، ولكن لاأهمية لذلك على الاطلاق . أما الآن ، فلن يدفع لتهوره ثمنا اللهم إلا رشحا في الدماغ ، وتفتخر صديقتنا بأنها تستطيع أن تقضى على هذا كله ببعض أقراص من جنس الداء .

إيفيلين : العبرة بالخواتيم . ولكننى لاأفهم جيدا ، لماذا لم ينتظر ردّ ستللا على خطابه الذى كتبه إليها بعد الظهر ، قبل أن يتخذ ذلك القرار المتطرف .

أميـــديه : إليك مايثبت ــ ياعزيزتى إيفيلين ــ ومن يخطر له أن يلومك على ذلك ؟ ــ إلى أى حد يظل منطق معين للعواطف غريبا عليك . الانتظار ، ياإيفيلين ، الانتظار . . هذا العذاب الذى ــ لانجروء على تمنى نهايته ، فقد يكون في هذهالنهاية خيبة الأمل الأخيرة . . .

المنظر الحادى عشر

نفس الأشخاص ــ ستللا

إيفيـــلين : كيف حالك ، ياحبيبتى ؟ لم أكن أظن أنك ستنهضين هذا المساء .

ســتللا : استغرقت في نوم عميق لمدة ساعة . . وعند ــ استيقاظى . . لاأدرى . . أحسست كأن أمرا سعيدا قد وقع أثناء نومى . (ابتسامة من أميديه توجه حديثها إلى أميديه) ياله من تعبير غريب ذلك الذى يبدو على وجهك ، ياأبى !

أميـــديه : كلا ، ياستللا ، كل مافي الأمر ، أننى ألاحظ وجود . . مصادفات تبهر الانسان بحق .

آرنـــو : تصورى أن أبانا ، أثناء عبوره بالقرب مـــن المستنقع ، لمـــح آلان نائما على حجر . وأنت تعامين سهولة إصابة آلان بالبرد . . . وقد أيقظه أبى ، وهزه ، وأعاده إلى بيته في « جرينيريير » . وكانت مدام دى بويجرلان في أشد حالات العذاب . . وهكذا انتهى كل شيء نهاية حسنة .. كما ترين .

ستـــللا : ياالآلان المسكين ؟ هذا أفضل ، سأتصل به تليفونيا صباح غد ..

أميـــديه : أجل ، ياحبيبتى . .

ستـــللا : سيكون سعيدا . . لقد كتب لى رسالة .

أميـــديه : أجل .

ستـــللا : هل لاحظت ياآرنو ؟ . عند مايكون مسرورا ، يبدو كطفل صغير ، يود المرء لو أخذه بـــين أحضانه .

(تبكى في صمت)

آرنـــو : (في حنان ، وبصوت خافت) لماذا تبكين ، ياستيل ؟

ستللا : لست أدرى ، كل شئ قدا ختلط . . اختلاطاً مستعصيا . . في داخلنا نحن ، وفي خارجنا . إنى لأتمثل آلان راقداعلى تلك الصخرة،خائر القوى يائسا وأراه غدا سعيدا .. بل يكاد أن يكون مجنونا.. ولا أريد من بعد ، أن أتذكر كم ضايقنى في كثير من الأحيان ، وأثارنى . . إنى أمحو هذا كله . . فاهم . . .

آرنو : أجل .

أميديه : ياطفلىَّ المسكينين ، ثمة لحظات موفقة ، يتألف فيها نظام لاتلتقطه غير الأذن المرهفة ، البالغة الدقة . (ناظرا إلى إيفيلين .) أما بالنسبة — للموسقيين الأقل خبرة ، فتظل تلك التآلفات البديعة غير محسوسة .

إيفيلين : (بصوت متهدج) — إذا كنت أنا التى تعنينى ياأميديه ، فانت مخطئ . إنى أسمع مثلك نوعا من اللحن . . المعلق . . الممزق . . المبهم . . (بصوت أكثر انخفاضا) آرنو ، عندما تكون هناك ، سوف تصلى ، أليس كذلك ، لأولئك الذين يفتقرون إلى

الأمل ؟ حتى الموت ، لايدخر لهم وقت الحاجة أيّ . . أيّ . .

آرنــو : (في رقة يشوبها الوقار) إنك لاتعرفين يا إيفيلين . . انك لاتعرفين نفسك . . فكل شيء أمامك .

ســتللا : (تقترب) ماهذا الذى تقوله ؟ (إلى ايفيلين) أوه ! انني أعرف كل مايجول بخاطرك .

إيفيــلين : (في ألم) أنا لاأفكر في شيء ، ولم أعد قادرة على الحكم .

ســتللا : يا للأعجوبــة الكبرى !

آرنــو : ستللا !

إيفيــلين : بل أكاد لا أفهم ماحدث ، هل حدث شيء ؟ (يغلب النعاس على أميديه ، فيغمغم قائلا : «ليس هو الليل . . لاأهمية . . » ترمقه إيفيلين ، ثم تهز رأسها .)

آرنــو : (في عطف عميق ، وقد سدد عينيه على أبيه) قليل من الوقت ، ثم تتبدد كل هذه الجمل التى فتنته في السكون ، وهذا التصنع الذى خدعه سينحسر عنه ، وهناك ، يبقى وحيدا ، أعزل ،

بلا دفاع ، كطفل غلبه النعاس ، ومابرح محتضنا لعبته . وأمام الشخص الحى الذى يخطب ويلوح بيديه ، ليتنا كنا نعرف كيف نستحضر مضجع الغد ! . . (ينظرون إليه . تتغلب — الدموع على إيفيلين ، تنحنى ، وتطبع قبلة على جبين أميديه ، كما قد تفعل ذلك يوما ما ، في في المستقبل . . .)

باريس — مورجا
ابريل — يونيو ١٩٣٧

ماصدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١	مانويل چاليتش	سمك عسير الهضم
٢	چان آنوى	القبرة (چان دارك)
٣	هال پورتر	البرج
٤	تساو يو	عاصفة الرعد
٥	هارولد بنتر	١ ـ الخادم الاخرس ٢ ـ التشكيلة أو عرض الازياء
٦	جون وبستر	الشيطانة البيضاء
٧	تيرانس راتيچان	الاسكندر المقدونى أو قصة مغامرة
٨	ليبرى مونييه	سباق اللولو
٩	جون مورتيمر	استعدوا لركوب الطائرة وغيرها
١٠	فريدريش دورنيمات	النيزك
١١	يونسكو ـ اداموف ـ ارابال ـ البى	دراما اللا معقول
١٢	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ١ ١ ـ مس جوليا ٢ ـ الاب
١٣	نيقوس كازنتزاكى	عطيل يعود
١٤	بيتر فايس	انشودة انجولا
١٥	اوليفر جولدسميث	تواضعت فظفرت
١٦	موليير	(من الاعمال المختارة) موليير ـ ١ ● مدرسة الزوجات ● نقد مدرسة الزوجات ● ارتجالية فرساى
١٧	دوچلاس ستيوارت	عسكر وحرامية او نيد كيللى
١٨	وليم شكسبير	العين بالعين

تابع ماصدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١٩	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٢ الطريق الى دمشق ـ ثلاثية
٢٠	رومان رولان	١٤ يوليو
٢١	انجس ويلسون	شجرة التوت
٢٢	تيرانس راتيجان	روس أو لورانس العرب
٢٣	كارون دى بورمارشيه	حلاق اشبيلية
٢٤	وليم شكسبير	هاملت
٢٥	نويل كوارد	الحياة الشخصية
٢٦	سوفوكل	نساء تراخيس
٢٧	جبريل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبريل مارسل ١ ـ رجل الله ٢ ـ القلوب النهمة

فهرست

الموضـــوع	رقم الصفحة
١ ـ مقدمة عامة بقلم المترجم	٧
٢ ـ مسرحية رجل الله	٣٩
٣ ـ مقدمة مسرحية « رجل الله » بقلم المترجم	٤١
٤ ـ شخصـــيات المسرحية	٤٥
٥ ـ الفصل الاول	٤٧
٦ ـ الفصل الثانى	٩٥
٧ ـ الفصل الثالث	١٣٧
٨ ـ الفصـــل الرابع	١٧٣
٩ ـ مسرحية « القلوب النهمة »	٢٠٩
١٠ ـ مقدمة مسرحية « القلوب النهمة » بقلم المترجم...	٢١٣
١١ ـ شخصـــيات المسرحية	٢٢١
١٢ ـ تمهيد بقلـم المؤلف	٢٢٢
١٣ ـ الفصل الاول	٢٢٣
١٤ ـ الفصل الثانى	٢٨٣
١٥ ـ الفصل الثالث	٣٣٥

الكويت	١٥٠ فلسا	ليبيا	١٥ قرشا	مسقط	١٢٠ بيزا
السعودية	٢ ريال	المغرب	٢ درهم	اليمن الجنوبية	١٢٠ فلسا
العراق	١٥٠ فلسا	تونس	٢٠٠ مليم	اليمن الشمالية	٢ ريال
الأردن	١٥٠ فلسا	الجزائر	٢ دينار	البحرين	١٥٠ فلسا
سوريا	١ ليرة	القاهرة	١٥٠ مليما	الخليج العربي	٢ ريال
لبنان	١ ليرة	السودان	١٥٠ مليما		

مطبعة حكومة الكويت

في العدد القادم

ليلة ساهرة من ليالي الربيع

تاليف : انريكى خارديل بونثيلا

ترجمة وتقديم : الدكتور محمد الامين طه

ليست هذه المسرحية ، كما قد يوحى عنوانها ، شطحة من شطحات الخيال الرومانسى . بل هى من أرض الواقع الصلبة التى يقف عليها كل رجل وامرأته ـ أرض الحياة الزوجية بما يعتريها من شد وجذب .

وحبل الزوجية هنا مشدود لدرجة التوتر . والخلاف هنا ، ككل خلاف حاد بين زوجين ، يتسع لتدخل فى دائرته اطراف اخرى من أقارب ووسطاء . وتتسع الرقعة بالتالى لعدد من الشخصيات الطريفة والمفاجآت المسرحية .

وكل ذلك يتادى فى حوار سلس سريع متدفق بعيد عن كل مرهقات الذهن . كما يمتاز بالخفة والفكاهة حتى لتحسب المسرحية كلها دعابة ذكية اطلقها عربي سريع الخاطر مع أن كاتبها اسباني قح . وتسير الاحداث والحوار هذا السير الى أن تحل العقدة ويحل الوئام محل الخصام وتدرك الزوجة المشاركة انها ليست على ما كانت تتصور من ذكاء ولا زوجها على ما وصفته به من غباء انها كوميدية صرفـــة .

فى هذا العدد

من الاعمال المختارة

جبرييل مارسل : ترجمة وتقديم : **فؤاد كامل**

جبرييل مارسل احدى القمم فى الفلسفة الوجودية المعاصرة . وهو وسارتر على طرفى نقيض اذ أن وجودية مارسل ادت به الى التدين لا الى الالحاد . وفلسفة جبرييل مارسل لا تنفصل عن مسرحه ، فهما وجهان لعملة واحدة هي العملة التي يتعامل بها مع الوجود ، كما انهما وسيلتا تعبير يحاول به مارسل اماطة اللثام عن التجربة الانسانية .

ومارسل يكتب مسرحياته من داخل الواقع الفعلي نفسه ، ومن مركز مشكلاتنا الانسانية المحرقة . ووسيلته الى ذلك ان يضع الانسان ـ ذلك المخلوق من لحم ودم ـ فى مواقف تبين جوانبه المختلفة ، أو قل انه يضع الانسان فى تلك المحن والاختبارات التي تظهره على حقيقته ، ثم هو يتابع هذا الامتحان دون رحمة أو شفقة ، وبكل ما يملك من حدة وقدرة على الاستشفاف ، وان كان من النادر ان نحس منه رغبة فى الوصول الى نتائج ، كل ما يهدف اليه هو أن ينتزع من شخصياته الحد الاقصى من التفسير ، وأن يلقي الاض[illegible] الكاشفة على احوال تلك الشخصيات .